١٠ قروش
كتابي
أوسكار وايلد
سالومي
وكتب أخرى
حلمي مراد

« نيوبيد »

تمثال من روائع الفن اليونانى معروض
بالمتحف الاهلى الرومانى بروما
(اقرا اسطورة « نيوبيد » في الداخل)

أشواق الطفولة !

للرسام « رينولدز » (١٧٢٣ - ١٧٩٢)

كتابي

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية
يصدر اول كل شهر
صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الخامس والثلاثون (السنة الثالثة) : فبراير ١٩٥٥
الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة :اقرأ التفصيلات بالداخل
الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٣ يوليو ـ بالقاهرة
تليفون ٥٩٥٥٦ و ٦٥٦٠٨

« كتابى » يشترى الاعداد الستة الاولى من القراء !

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الأولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد ان يكون لدى البعض اكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. فقد رات ادارة «كتابى» أن تعلن عن استعدادها لشراء اى عدد من نسخ الاعداد الستة الأولى، تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشان، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا او بالبريد المسجل .

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الأعداد الى المشتركين : فى مصر والسودان بالبريد المسجل ، وفى الخارج بالطائرة . وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا – فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والحجاز والأردن الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية عن طريق مكاتب البريد MONEY ORDER وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة)

عزيزى القارىء ..

بهذا العدد يختتم ((كتابى)) عامه الثالث ، ويتاهب للدخول فى عامه الرابع ، وهو اقوى ما يكون عزما على المضى قدما فى طريقه المرسوم الذى قطعت لك عهدا به على نفسى منذ قدمت اليك العدد الاول ..

وقد تعودت أن أقف واياك فى نهاية كل عام من عمر هـذا الكتاب ، لأسائلك بالصراحة والاخلاص اللذين تعودتهما منى : ترى هل وفق ((كتابى)) فى كفاحه ، خلال العام المنصرم ؟

لقد وعدتك فى مثل هذا الشهر من العام الماضى بان اجيبك الى طلبك ، فاقدم لك جميع أعداد ((كتابى)) ممتازة ، بعد أن كان العدد الممتاز يوافيك مرة كل ثلاثة شهور ..

ورغم فداحة المشقة التى يقتضيها هذا المطلب ، فقد قبلتها راضيا ، مؤمنا ، وحملت نفسى اياها .. كى لا أضن عليك بامنية شعرت من حرارة رسائلك أنها تصدر .. من قلبك !

وهانذا قد قدمت لك خلال العام المنصرم اثنى عشر عددا ممتازا ، بدلا من ثلاثة ، فهل كانت هذه الاعداد جميعها ممتازة حقا فى نظرك ، كما كانت فى نظرى أنا على الاقل ؟.. ام لعل نظرتى اليها كان يشوبها التاثر بالمجهود المضنى الذى بذلته فى اعدادها - وهو مقياس لا يشترط أن تشاركنى اياه ، لانك انما تحكم على المادة التى تصلك .. دون أن تسأل نفسك كيف وصلت اليك ، واى جهد بذل فى اعدادها .. شانك شان الجالس فى مطعم ، يتناول ما يقدم اليه من طعام ، دون أن يعنيه فى شىء كيف أعد هذا الطعام ، واى ثمن دفع فيه ، واية كميات اخرى منه قد تلفت والقيت فى الطريق كى لا تصلك مشوبة باى عيب فى صنفها ، او صنعها ، أو ((ملحها)) ومذاقها ؟

اذا كنت قد لمست فى عدد من أعداد العام الذى انقضى ، او فى موضوع من موضوعاتها ، نقصا .. او ماخذا .. فمن حقى عليك أن أطالبك بأن تصارحنى به ، كى أتلافاه وأنا اعد لك برنامج العام الجديد ، الذى لن احدثك عنه الآن .. وانما سأدعه يتحدث اليك بنفسه فى أول كل شهر باذن الله ..

فلئن كنت قد قدمت لك فى العام الماضى أعدادا اعتقدت أنها ممتازة .. فاننى أرجو أن أقدم لك فى العام الجديد أعدادا تراها أنت ، وبحق .. فوق الممتازة !

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

كتابى

اعداد نفدت

كتابى الاول : ((خطايا الحب)) وكتب أخرى ، وكتابى الثانى : ((قلب عذراء)) وكتابى الثالث : ((الهاربة من الجنة)) وكتابى الرابع : ((حواء الجديدة)) وكتابى الخامس : ((احدب نوتردام)) وكتابى السادس : « جريمة حب » .

اعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى السابع ((عشيقة نابليون)) ، والثامن ((مذكرات كيوبيد)) ، والتاسع ((صنم تحطم)) ، والعاشر ((حديقة الله)) ، والحادى عشر ((عندما تحقد المرأة)) ، والثانى عشر ((لعبة الحب والموت)) ، والثالث عشر ((توبة خاطئة)) ، والرابع عشر ((ايها الربيع ترفق)) ، والخامس عشر ((الشيطان على الأرض)) ، والسادس عشر ((ليدى هاملتون)) والسابع عشر ((الارملة المرحة)) والثامن عشر ((حياة جورج صاند)) ، والتاسع عشر ((حياة سارة برنار)) ، والعشرون ((رباعيات عمر الخيام)) ، والحادى والعشرون ((حياة بيتهوفن)) ، والثانى والعشرون ((حياة موسولينى)) ، والثالث والعشرون ((كوخ العم توم)) والرابع والعشرون ((الزوج والعشيق)) والخامس والعشرون ((البوهيمية)) ، والسادس والعشرون ((فتاة لها ماض)) والسابع والعشرون ((ترويض النمرة !)) والثامن والعشرون ((فن الحب)) ، والتاسع والعشرون ((الجريمة والعقاب)) والثلاثون ((المنافق)) (طرطوف) ، والحادى والثلاثون ((أميرة مصر)) والثانى والثلاثون ((الأمطار)) ، والثالث والثلاثون ((افروديت)) ، والرابع والثلاثون ((أقنعة الحب السبعة))

◆ وتطلب من ادارة كتابى: ١٤ شارع ٢٣ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول)، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالص اجر البريد (المسجل) ما عدا الاعداد ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر والعدد العشرون وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ ملحوظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو اذونات البريد الخارجية . وتحرر الاذونات والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا .

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين
٢ ـ ذات الثوب الابيض
٣ ـ الغـالدون
٤ ـ الخاطئـة

وثمن كل من الاول والرابع عشرون قرشا خالص اجر البريد المسجل (نظرا لوشك نفادهما) ، والثانى ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش

نافذة "كتابي" تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

تعال معى الى بلاد المرح والخيال !

◆ وقفت بك فى العدد الماضى فى منتصف الطريق بين روما ونابولى ، حيث توقفت بنا سيارة (الأوتوكار) عند مقهى فاخر فى قرية من أصغر القرى الايطالية ، وهو مقهى يضارع فى معداته و ((نظافته)) أرقى ((بوفيهات)) العواصم الكبرى !

والآن تعال معى نواصل رحلتنا الى نابولى .. وكابرى .. وفلورنسا

السفر تثقيف ودراسة ..

◆ **تستأنف** السيارة المسير بعد هذه الاستراحة ، فاذا جذوع الاشجار التى تظلل الطريق على الجانبين قد دهنت باللون الابيض ، كى تلفت نظر السائقين أثناء الليل ! .. واذا أنت تلحظ كل حين مبنى حديثا قرمزى اللون تمر السيارة بمثله كل دقائق ، حتى يجاوز عدد هذه الأبنية المتشابهة عشرة أو نحو ذلك .. **فاذا سألت الدليل عنها أجابك أنها مراكز للبوليس والاسعاف أقامت الدولة واحدا منها كل عشرين كيلو مترا ، وزودتها بكافة لوازم العلاج وحفظ الأمن !**

وتبلغ السيارة الآن منطقة السهول المنبسطة الخضراء ، فيقول الدليل انها – ومساحتها نحو ٢٨٠ ميلا مربعا – كانت كلها جرداء ، حتى أقام موسولينى من المشروعات فى سنة ١٩٢٥ ما مكن من ريها وزراعتها .. وتمر بقرية « ألبانو » ثم قرية « فيلبرى » ، اللتين اشتهرتا بصناعة النبيذ وزراعة الكروم .. وهذا قصر اللص الشهير « فراديا فولو » ، الذى نسجت حوله القصص والاساطير ، وتدهش اذ تجد الدليل يتكلم عنه كما لو كان «علما» من أبطال التاريخ ، حتى ليذكر

لك أنه ولد سنة ١٧٧١ وقتل فى زهرة شبابه عام ١٨٠٦ !
.. وتعبر السيارة قنطرة فوق نهر (جاريليانو) ، فيقص عليك صاحبنا قصة المعركتين الحربيتين الحاسمتين اللتين دارتا على ضفافه ، وكانت احداهما عام ١٨٦٠ بقيادة غاريبالدى ، والاخرى بين الحلفاء وألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية.. ثم يشير لك الى قرية على الطريق فاذا هى مصيف (فورميا) الذى محي من الوجود تماما أثناء الحرب الأخيرة ، فيما عدا بضعة أبنية لا تتجاوز عدد أصابع اليد !.. وهذا خليج (جاييتا) ، الذى كان أهم ميناء أيام الرومان .. وهذه أطلال، هى كل ما بقى من مدرج ملعب رومانى (امفيتياتر) .. وتلك قرية (موندراجونى) التى اشتهرت بانتاج المأكولات المحفوظة .. وهذه مصانع (تشيريو) المعروفة بتعبئة عصير الطماطم .. الخ

.. وها نحن أولاء قد أشرفنا على مدينة نابولى ، التى تطالعك منها أول ما تطالعك حديقة حيواناتها المشهورة التى لا يوجد لها مثيل فى روما ذاتها .. ثم يدرج بك الأوتوكار فى شوارعها المرحة المشرقة التى تنبض بالحياة ..

المدينة المرحة الصاخبة !

◆ **ومدينة** نابولى ـ التى يبلغ تعداد سكانها مليونا وعشرة آلاف نسمة ـ تمتد على شاطىء البحر على شكل نصف دائرة، تحف بخليج من أجمل خلجان العالم .. ويشرف عليها من فوق قمة جبل قريب ، بركان « فيزوف » المشهور .. وهى تعتبر بمثابة المركز التجارى والثقافى للجزء الجنوبى من شبه الجزيرة الايطالى ، كما تعد ميناؤها من أهم موانىء ايطاليا . واسم المدينة مشتق من كلمة « نيابوليس » اليونانية ، ومعناها « المدينة الجديدة »

ونابولى مدينة مرحة ، صاخبة ، يخيل اليك ان اهلها لا تعانى قلوبهم هما أو يبالون بشىء غير يومهم الحاضر ، وغير الأخذ من دنياهم بأقصى نصيب من المتعة يجدونه فى متناولهم ! .. وهى فى مجال اللهو والمتعة من اكثر المدن اغراء للسائح الذى ينشد هذين الهدفين .. كما انها فى مجال الفن والثقافة غنية بالكنوز التى خلفها فيها عصر النهضة والقرنان الثالث عشر والسابع عشر ، فضلا عن كنوز مدينة (بومبى) القديمة التى هدمتها ثورة بركان « فيزوف » الكبرى عام ٧٩ – بعد الميلاد – (وهى الكارثة التى أوحت الى الاديب الانجليزى « لورد ليتون » بقصته المشهورة التى لخصتها لك فى العدد الثامن : « أيام بومبى الاخيرة ») – وتحتل تلك الكنوز الفنية اليوم جانبا كبيرا من « متحف نابولى الاهلى » ، الذى يجتذب الى المدينة كل عام عددا ضخما من عشاق الفن والتاريخ ..

والأجنبى الذى يقبل على نابولى لأول مرة ، يصدمه للوهلة الاولى ذلك الضجيج العامر بالحياة ، الذى تختلط فيه الاصوات العالية للالوف من البشر ، والسيارات ، ومواكب المارة الذين يتزاحمون بالمناكب .. واذا كان السائح من سكان بلاد الشمال الباردة ، سحره ضياء الشمس المشرقة ، والبحر الازرق ، والحقول الخضراء المحيطة بالمدينة .. أما بالنسبة للقادمين من الجنوب ، فان هذا الطابع يبدو عاديا شبه مألوف !

وقد عانت نابولى الكثير من التدمير وويلات الغارات الجوية خلال الحرب الاخيرة ، ولا سيما فى عامى ١٩٤٣ و ١٩٤٤ ، فقد تهدم الجزء الاكبر من الميناء ، وعدد كبير من المبانى والمنشآت والأماكن الاثرية ، (ومنها كنيستا « سانت كيارا » و « سان جيوفانى »)

مدينة أنشأها اليونانيون !

◆ وتاريخ نابولى عريق فى القدم ، حافل بالأحداث : فقد أنشأها ــ وسكنها فى البداية ــ المزارعون اليونانيون الذين كانوا يفلحون الارض المحيطة بها ، وكانت حالتهم الاجتماعية تقرب من حالة عبيد الاقطاع ، فهم يخدمون صاحب الارض ويعتبرون بمثابة تابعين له ، لولا انهم كانوا يمتازون على العبيد بأنهم احرار ..

وفى عهد الامبراطورية الرومانية صارت نابولى من المقاطعات الخاضعة لها ، بل كانت فى حكم المستعمرة .. ثم اجتاحها البربر ، فالأراجون (عام ١٤٤٢) ، فالاسبان (عام ١٥٠٤) .. وفى عام ١٧٣٤ استولى عليها « شارل دى بوربون » ملك اسبانيا وأسس فيها حكم أسرة البوربون .. ثم تعاقب عليها : الحكم الجمهورى ، سنة ١٧٩٩ .. فالحكم الفرنسى ، ايام نابليون (من عام ١٨٠٦ الى عام

كورنيش نابولى الرائع (او طريق كاراكيولى) الذى يحف بخليجها المشهور الذى يعتبر من اجمل خلجان العالم

١٨١٥) ٠٠ واخيرا دخلها غاريبالدى سنة ١٨٦٠ وضمها الى مملكة ايطاليا التى تم توحيدها فى ذلك التاريخ

ولا بد للزائر الذى يبغى الالمام بكافة معالم نابولى الهامة ، ومتاحفها ، واحيائها العصرية ، من ان يقضى فيها ثلاثة ايام على الأقل٠٠ واذا أراد أن يتزود منها بصور لحياة أهلها أعمق وأصدق مما يتراءى لصاحب النظرة العابرة ، كان عليه ان لا يكتفى منها بزيارة قصورها ومتاحفها وكنائسهـا ٠٠ بل يحاول التغلغل فى « روح » هذه المدينة الكبيرة بأن يترجل ، من السيارة أو الاوتوكار ، ويندس بين الجماهير الحاشدة ، تاركا تيارها الزاخر يتقاذفه على غير هدى ٠٠ وعندئذ يستطيع أن يستمتع بمباهج المدينة المرحة ، فيتبع العاطلين المتسكعين فى حى « الجاليريا » ـ او الممر التجارى المسقوف ـ أو فى شارع روما ٠٠ فى احياء المترفين وفى أزقة الفقراء ٠٠ على شاطىء « كيايا » ومقاهى ميناء « سانتا لوتشيا » العامرة بالعشاق والمتناجين !

المطعم الذى كان ينظم فيه « دانونزيو » أشعاره !

◆ **ولكل** حى من احياء نابولى مطاعمه المشهورة : ففى حى البحارة يطالعك مطعم « العمة تيريزا » ـ التى بدأت حياتها الكادحة ببيع شراب الينسون المخمر عند زوايا الشوارع ! ـ وقد غدا مطعمها الآن مشهورا بطبق « فاكهة البحر » الذى يقدمه لرواده ٠٠ ويروى لك أهل نابولى قصة الحرب الشعواء التى شنتها العمة تيريزا وهى جالسة فى مقعدها الهزاز ، ضد المطعم المنافس لها « البيرساليبرى » ! ٠٠ وعندما ماتت العمة منذ سنوات قليلة ، حمل أحفادها العلم ، وساروا على الطريق ٠٠

ومطعم « البيرساليبرى » المذكور يطل على خليج نابولى ، حيث يبدو المنظر منه ساحرا ، ولا سيما فى المساء ، حين

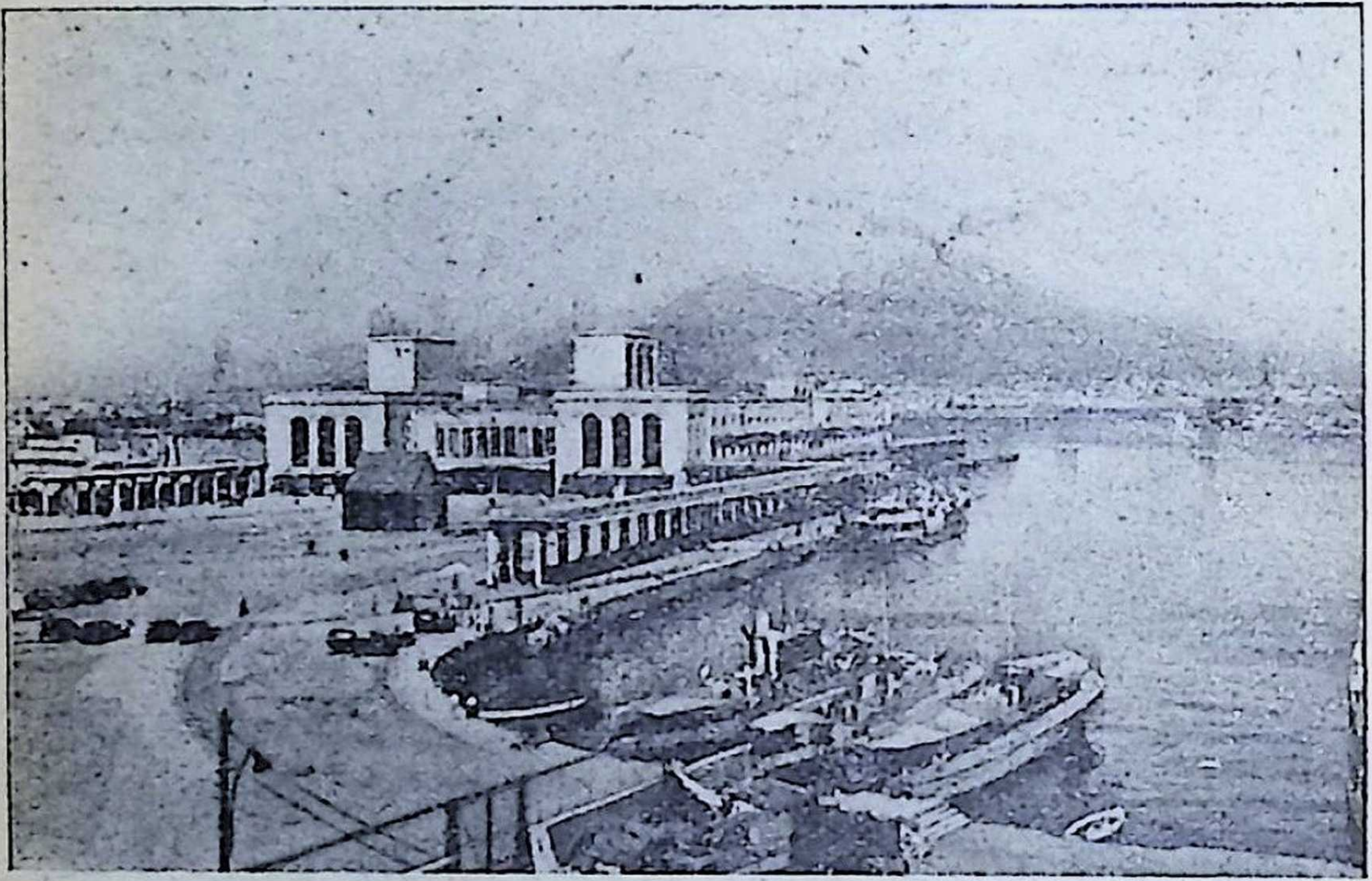

جزء من رصيف ميناء نابولى .. وفى أقصى الصورة بركان (فيزوف) يتصاعد منه الدخان

تنعكس اضواؤه اللامعة على صفحة الماء ٠٠ ورغم اتساع مساحة المطعم وازدحامه بالموائد ، فانك لا تكاد تجد فيه مائدة واحدة خالية ٠٠ ولعل من اسباب الاقبال عليه ، فضلا عن اشرافه على الخليج ، انك تستمتع فيه وانت تتناول الطعام ، بأغانى فرقة من المطربين ذوى الحناجر القوية ، الذين لا ينقطعون عن ترديد اغانى الأوبرات الايطالية ٠٠ فاذا فرغوا من كل اغنية طويلة مروا عليك بقبعاتهم ، كى تضع فيها ٠٠ ما تيسر !

أما اكثر مطاعم نابولى اناقة ، فهو مطعم « سيرو » الذى يقع فى وسط المدينة ، على قيد خطوتين من مسرح «سان كارلو» ٠

والى ما قبل الحرب كانت «الموضة» السائدة هى تناول الطعام فى مطعم «جامبرينوس» ، حيث كان الشاعر « دانونزيو » ينظم الكثير من أشعاره ٠٠ أما فى فترة الشاى فيشتد الاقبال ـ ولا سيما من النساء ـ على مشرب «كافليش» ، حيث تعزف فرقة موسيقية ألحان (الفالس) النمسوية المشهورة

ووجبة نابولى التقليدية هى ال « بيزا ألا نابوليتانا » ، وهى فطيرة تحشى بالطماطم و «الأنشوقة» والزيتون ، ثم تدهن بالزيت وتطهى فى الفرن ٠٠ والشراب المفضل فى المدينة المرحة هو « نبيذ كابرى » ، سواء الابيض الذى يتناولونه مع السمك ، أو الاحمر الذى يقدم غالبا مع اللحوم المشوية ٠٠

ورغم شهرة نابولى بالمرح واللهو ، فان اكثر ذلك يكون نهارا وفى ساعة مبكرة من الليل ، اذ يميل أهلها الى النوم

شرفة صممت هندستها على الطراز الرومانى ، تطل على شبه جزيرة (نيزيدا) بخليج نابولى

مبكرين ، حتى ان الكباريهات أو « علب الليل » فيها لا تكاد تجد اقبالا الا من السائحين ٠٠ اما من عداهم فيؤثرون الخلوات الحالمة فى ضوء القمر !

تمثال من صنع « فيدياس » !

◆ **وأشهر** متاحف نابولى كما سبقت الاشارة هو « المتحف الأهلى » ، الذى يعتبر من أغنى واشهر متاحف العالم ٠٠ **ومن أهم تحفه تماثيل : أفروديت ، وأبوللو ، وبيرينيس ، وديانا ، وزيوس ، ثم تمثال « هرمس » المشهور الذى ينسبون صنعه الى المثال اليونانى الأشهر « فيدياس » ـ الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد ! ـ وتمثال « معركة الاسكندر » الذى عثروا عليه بين أطلال بومبى سنة ١٨٣١ ، وهو مصنوع من الموزايكو الفاخر ، وكذا تمثال « افلاطون يتناقش مع تلاميذه فى حدائق الأكاديمية » ٠٠ هذا الى مئات التماثيل الاخرى المشهورة التى خصصت لها صالات وأبهاء فسيحة متعددة ٠٠**

أما صالات اللوحات الزيتية والرسوم المنسوجة على القماش، فحديثها يطول ٠٠ ويكفى ان من بين محتوياتها روائع متعددة للرسامين الخالدين : رفاييل ، وتيسيان ، وكوريجيو ، وفيلاسكيز ٠٠ الخ

وأما التحف التى تحتويها العشرات من كنائس نابولى الأثرية ، فيضيق المجال عن تعدادها ٠٠

ومن معالم نابولى الأثرية التقليدية : « القصر الملكى » ـ وقد شيده احد ملوك فرنسا ايام احتلالها لايطاليا ـ ثم قصر « اوف » الذى كانت تقطنه أسرة « انجو » الفرنسية ايضا ـ ومن الظواهر التى تلفت النظر فى منطقة جنوب ايطاليا المحيطة بنابولى ، كثرة القصور والقلاع القديمة التى شيدها نبلاء فرنسيون ، ايام احتلال فرنسا للبلاد ٠٠ ومن بين هذه

سحب الدخان تتصاعد من فوهة بركان (فيزوف) بنابولى .. وفى المقدمة منظر عام لجزء من الميناء

القصور ، القصر الذى تحتله الآن بلدية نابولى ! ـ كما ان من معالم المدينة الجديرة بالزيارة «جامعة نابولى للغات الشرقية» ، وهى جامعة عالمية مشهورة .. ثم دار الاوبرا .. وميدان غاريبالدى ، الذى يتوسطه تمثال ضخم للبطل الايطالى .. وشارع « امبرتو الأول » .. وفى احد ميادين المدينة نافورة كبرى أقامها « بيترو بزنينى » عميد أسرة برنينى المشهورة .. الخ

زر نابولى .. ثم مت !

◆ وقبل ان نغادر نابولى فى طريقنا الى (كابرى) ، تعود الى الذاكرة قصة الاسطورة القديمة التى يفخر بها أهل ذلك الاقليم ، الاسطورة التى تزعم ان الشيطان حين طرد

من الجنة وقذف به من السماء ، **انتزعت مخالب يديه ـ وهو يسقط ـ قطعة من الجنـــة ، ما لبثت أن انفلتت من يديه وسقطت على الأرض ٠٠ فحملتها نزوة الريح الى خليج نابولى ، حيث تألف منها قطاع الشاطىء الممتد الى كابرى ! ٠٠ اى ان ذلك الشاطىء** « **قطعة من الجنة !** » ٠٠ وهذه الاسطورة تلقى ضوءا على المثل الايطالى الذى يقـول « زر نابولى ثم مت ! » (VEDI NAPOLI POI MUORI) ، ويقصدو به أن من يرى تلك «العينة» من الجنة ، لا يخشى الموت !

عاصمة الانحلال الخلقى !

◆ **والآن** ، تعال بنا نمر على أطلال (بومبى) ! ٠٠ المدينة القديمة التى كان يقطنها ٢٥ الفا ، اكثرهم من أشراف الرومان واثريائهم « المتعطلين » ٠٠ وفجأة فى سنة ٧٩ (بعد الميلاد) ، ثار بركان فيزوف القريب ثورته الرهيبة ، فألقى من جوفه على المدينة وابلا من الحمم والاحجار النارية المدببة طمر المدينة بأكملها ـ الأمر الذى كان السبب فى المحافظة على معالم المدينة الرومانية المطمورة سليمة لم تعد عليها عوادى الزمن ، حتى اكتشفها المنقبون ـ على دفعات ـ خلال القرنين الماضيين ، وكان مفتاح هذا الاكتشاف عثور فلاح من قرية مجاورة ـ فى سنة ١٧٤٨ ـ على احد تماثيل المدينة القديمة ! ٠٠ وقد رفعت الانقاض عن ثلثى المدينة ، فتبين انها كانت محاطـة بسور منيع تتخلله الأبراج الحصينة ، ويبلغ محيطه ٢٦٠٠ متر ٠ **وقد أدى اكتشاف (بومبى) بدوره الى كشفين ثقافيين هامين : أولهما هو الوقوف على معلومات بالغة الاهمية عن هندسة البناء فى عصر الرومان ، وثانيهما الاســتدلال من النقوش المبتذلة الماجنة التى وجدت على جدران المدينة ، على مبلغ انحلال المجتمع فى ذلك العصر !**

قبة كاتدرائية فاورنسا المشهورة ، ومنظر عام للمدينة ٠٠ والقبة الاخرى الصغيرة لكنيسة يوحنا المعمدان (راعى فاورنسا)

والزائر لأطلال (بومبى) اليوم ، يرى بقايا الكثير من الحوانيت التجارية ــ فقد كانت المدينة مركزا تجاريا هاما ــ كما يلمس من بذخ القوم فى تزيين قصورهم وحدائقهم ، مدى ثرائهم الغابر ٠٠ ومن الرسوم اليدوية والكتابة المحفورة على الجدران ، يستطيع ان يتزود بفكرة عن حياتهم اليومية : فهنا مفاتحة بالحب خطها عاشق متيم ، وهناك حسبة قيدها صاحب حانة على الجدار ، أو رسم ساذج من يد تلميذ غرير ، أو اعلان عن برنامج حفلة المصارعة القادمة ٠٠ الخ

وبالمدينة فضلا عن الدور الخاصة ــ التى تعطى فكرة عن تصميم بيوت الرومان وأسلوب معيشتهم ــ مبان كثيرة عامة : كالملاعب ، والحمامات الشعبية ، المقسمة الى حمامات للرجال واخرى للنساء ، ثم حمامات خاصة ٠٠ وكلها مزودة باجهزة التسخين ، ودورات المياه ، وادوات ألعاب الرماية ٠٠ الخ ٠٠

كما عثر فى احد المنازل على ادوات جراحية ! ٠٠ وكان بالمدينة مسارح مسقوفة ، واخرى صيفية فى الهواء الطلق ، ومعابد للآلهة «أبوللو» ، وفينوس ، وايزيس ٠٠ وفى « فيللا ديوميد» وجدت عظام ١٨ شخصا ، وكانت جثة احدهم ملقاة بقرب باب الحديقة ، وفى يد صاحبها مفتاح ٠٠ والى جانبه جثة عبد يحمل فضة واشياء ثمينة !

وتضاء أطلال (بومبى) كل ليلة ، خلال أشهر الصيف ، بكشافات قوية باهرة !

فوهة الجحيم !

◆ ومن منطقة بومبى ، يبدو لنا الدخان المتصاعد من قمة جبل قريب ٠٠ انه بركان « فيزوف » ، قاتل الخمسة والعشرين الف نسمة من سكان بومبى ! ٠٠ وهو لا يبعد عن نابولى أكثر من ١٢ كيلو مترا ، ويعتبر أشهر براكين العالم ، واكثرها نشاطا ٠٠ بل انه الوحيد فى القارة الاوربية الذى لا تزال به بقية من نشاط : **فقد مارس نشاطه فى ربع القرن الأخير مرتين : الاولى سنة ١٩٢٩ ـ وقد دمر فيها نحو ٥٠ منزلا ـ والثانية سنة ١٩٤٤ ، وقد دمر فيها محطة الترام المعلق الذى كان ينقل الركاب من المدينة الى قمة البركان ، ويجرى اصلاح المحطة الآن** ٠٠ أما ثورات البركان فى العصور الحديثة فأهمها ثورة سنة ١٥٠٠ ، التى أعقبتها فترة خمود أو راحة كاملة استمرت ١٣١ عاما ! ـ وخلال تلك الفترة زرع سفح الجبل الى قرب القمة ، وكادت تغطيه الغابات ! ـ وفى ١٦ ديسمبر سنة ١٦٣١ ثار « فيزوف » ثورة أخرى رهيبة ، دمرت المنطقة المحيطة بسفح الجبل ، وبلغت السوائل البركانية البحر ، فأطالت الساحل ! .. ثم جاءت ثورات سنوات ١٨٧١ ، ١٩٠٦ ، ١٩٢٩ ، ١٩٤٤ .. ألخ

وزيارة فيزوف بالترام المعلق ستكون ممتعة حقا ، حين يتم اصلاح المحطة وتقويتها ، وهى تستغرق ٨ أميال ، يبلغ فيها المصعد ارتفاع ١٦٠٠ مترا ، مقسمة على ثلاث مراحل ..

((سورينتو)) .. المدينة الضاحكة !

◆ **ولندع** قمة فيزوف تبتعد وتبهت فى الفضـــاء .. ولنواصل طريقنا ، مارين بمصنع عالمى للمرجان ، يصنع مختلف الحلى ودبابيس « الكامى » التى تزين نحور السيدات .. فبحمامات (كاستيللا مارى) المعدنية المشهورة ، ومعناها : « قصر على البحر » .. **واخيـرا نشرف على (سورينتو) ــ المدينة «الضاحكة» ــ التى تعيش فى ربيع دائم ، راقدة فوق صخرة شاهقة ، فى احضان غابات الليمون والبرتقال .. ومن اجمل معالمها حدائقها العامة ، وذلك الجو الضاحك الذى يشيع فى ميادينها المزدحمة بالمقاهى وبالخلق ــ وكثرتهم من**

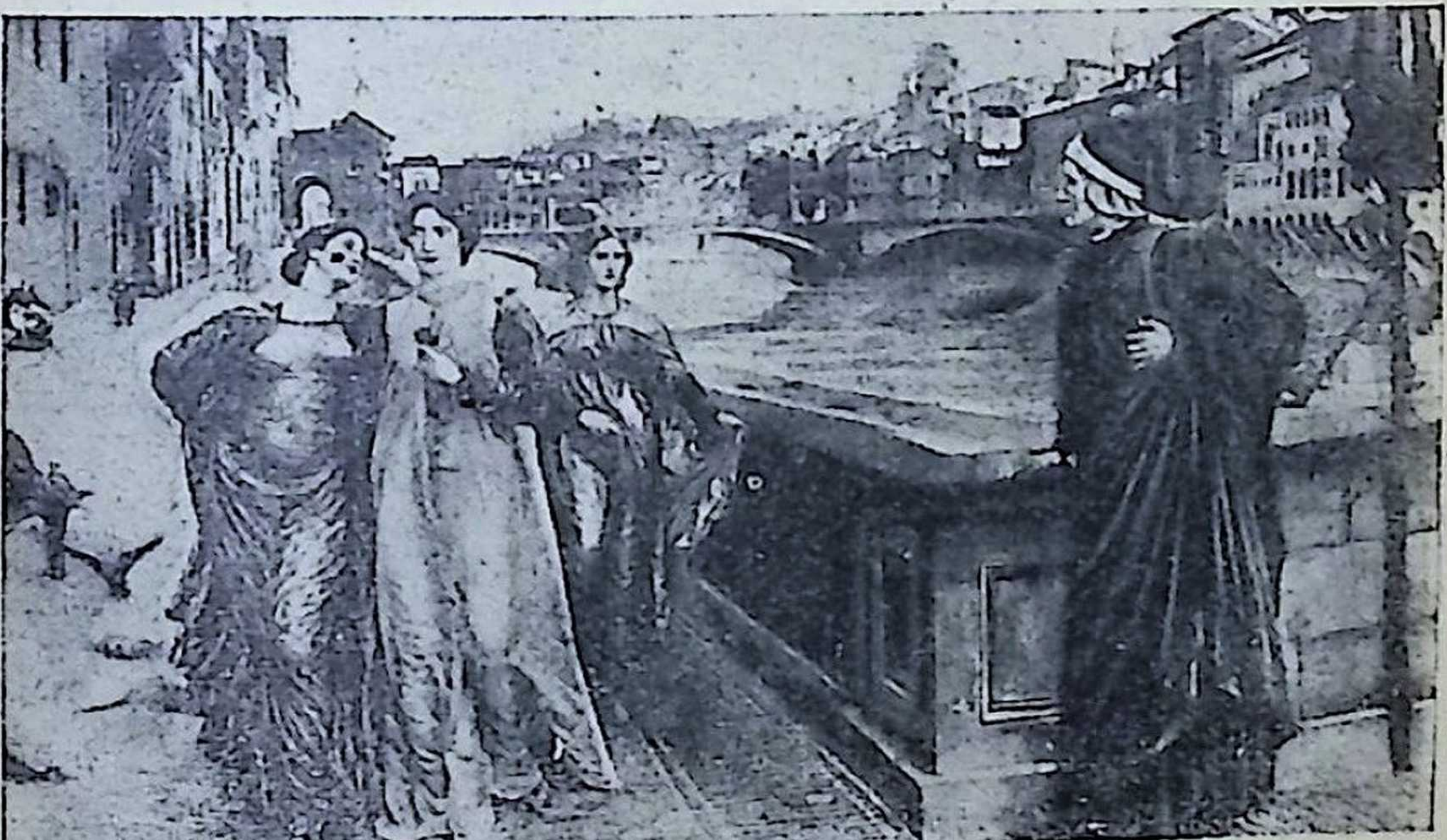

لوحة تمثل اللقاء الخالد لدانتى ومحبوبته بياتريس ، على قنطـرة (سانت ترينيتا)

السائحين - كما ان بها عددا من افخر الفنادق العصرية التى رصفت أرضياتها بالمرمر والموزايكو ، (وقد رسمت به لوحات فنية ملونة رائعة فى جمالها !) كما زينت جدرانها ونوافذها بأفخر الستائر وأحدث اساليب الاضاءة ! ٠٠ ولا تعجب لهذا البذخ ، فان سورنتو هى المحطة الاخيرة التى يتقاطر منها سياح العالم الى ٠٠ كابرى !

وبعد ان هبطت بنا السيارة من المدينة المعلقة فوق الصخرة ، الى شاطىء البحر ، عن طريق كورنيش حلزونى شديد الانحدار ٠٠ ألفينا أمامنا ، على رصيف الميناء الصغير ، عشرات الزوارق و « اللنشات » البخارية المعدة لنقل « الفضوليين » الى كابرى !

وأقول « الفضوليين » ، لأن الفضول هو فى نظرى العامل الاكبر والأول فى التشجيع على السياحة ، ولا سيما الى هذه الجزيرة ذات الشهرة العالمية !

وركبنا « اللنش » البخارى ٠٠ وبعد ساعة كان يدنو بنا من شواطىء الجزيرة الصخرية العالية ، التى تبدو اشبه بجدران عمودية شاهقة الارتفاع - اذ يبلغ ارتفاع قمة الجزيرة ٥٨٤ مترا ! - لكن « اللنش » بدلا من ان يتجه الى ميناء الجزيرة الفسيح - المزدحم بطائفة من افخر اليخوت التى يملكها اغنياء العالم من عشاق كابرى - دار حول الجزيرة الى ظهرها الخلفى ، حيث أنزلنا فى زوارق صغيرة لا يتسع كل منها لأكثر من ٥ أشخاص ٠٠ كى تمرق بنا الى داخل « المغارة الزرقاء » ! (انظر الصور فى العدد الماضى)

المغارة العجيبة !

◆ **والمغارة** الزرقاء من أولى معالم الجزيرة التى لا يستغنى عن زيارتها سائح ٠٠ وعليك ان تخفض رأسك الى أقصى ما تستطيع والزورق يدخلها بك ، والا ارتطم رأسك بسقف

المغارة فتهشم ! ـ فان ارتفاع فتحة المغارة لا يزيد عن متر ونصف فوق سطح الماء ! ـ وفى الداخل ، تجد نفسك تسبح بزورقك فوق بحيرة صافية ، شديدة الحلكة ٠٠ فهى بحكم كونها تجويفا فى الصخر ، ليس لها غير باب واحد ، هو الذى دخلت منه ٠ وبعد ان يجول بك الزورق دقائق فى انحاء المغارة ، يتجه نحو باب الخروج ، عائدا من حيث أتى ٠٠

وقد كان أول من اكتشف المغارة الزرقاء بطريق الصدفة ـ فى ١٦ مايو سنة ١٨٢٢ ـ صياد من أهل الجزيرة يدعى أوجست فيرارا ٠٠ لكن احدا لم يعبأ بحديثه عنها ، حتى دخلها الشاعر الألمانى « اوجست كوبيش » فى ١٧ اغسطس سنة ١٨٢٦ ، فتولى الدعاية لها حتى لفت الانظار اليها ٠ وأحيانا يتعذر دخول المغارة من هياج البحر ، حين تهب رياح الشمال ، الشرقية أو الغربية ٠٠ وأنسب وقت لزيارتها من حيث الضوء فى الداخل ، الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثالثة عشرة صباحا ، حين يتسلط على مدخلها اكبر نصيب من الضياء ، لكن افواج الزائرين لا تنقطع بالطبع عن زيارتها طيلة النهار ، ما دام البحر يسمح بدخولها ٠ وطول المغارة من الداخل ٥٤ مترا ، وعرضها ٣٠ ، وارتفاعها ١٥ ، ويبدو الضوء الضئيل الذى يدخل اليها ، على شىء من الزرقة المعتمة التى توحى بجو « سحرى » غامض ٠٠ واحيانا يدخلها البعض سابحين ، فتبدو اجسامهم تحت الماء فضية اللون ! ٠٠ ويوجد داخل المغارة ، الى اليمين ، «شاطىء» صغير يمكن النزول من القارب عليه وقضاء بعض الوقت ٠٠ وفى الخارج ، بالقرب من المدخل ، يوجد ممر ضيق ــ درب ــ يقود الى أعلى قمم الجزيرة ! ٠٠ كما يشرف على المدخل تمثال صغير للعذراء ، داخل صندوق من الخشب ، على شكل كنيسة صغيرة !

وتستطيع ان تدور حول الجـزيرة فى زورق شراعى ،

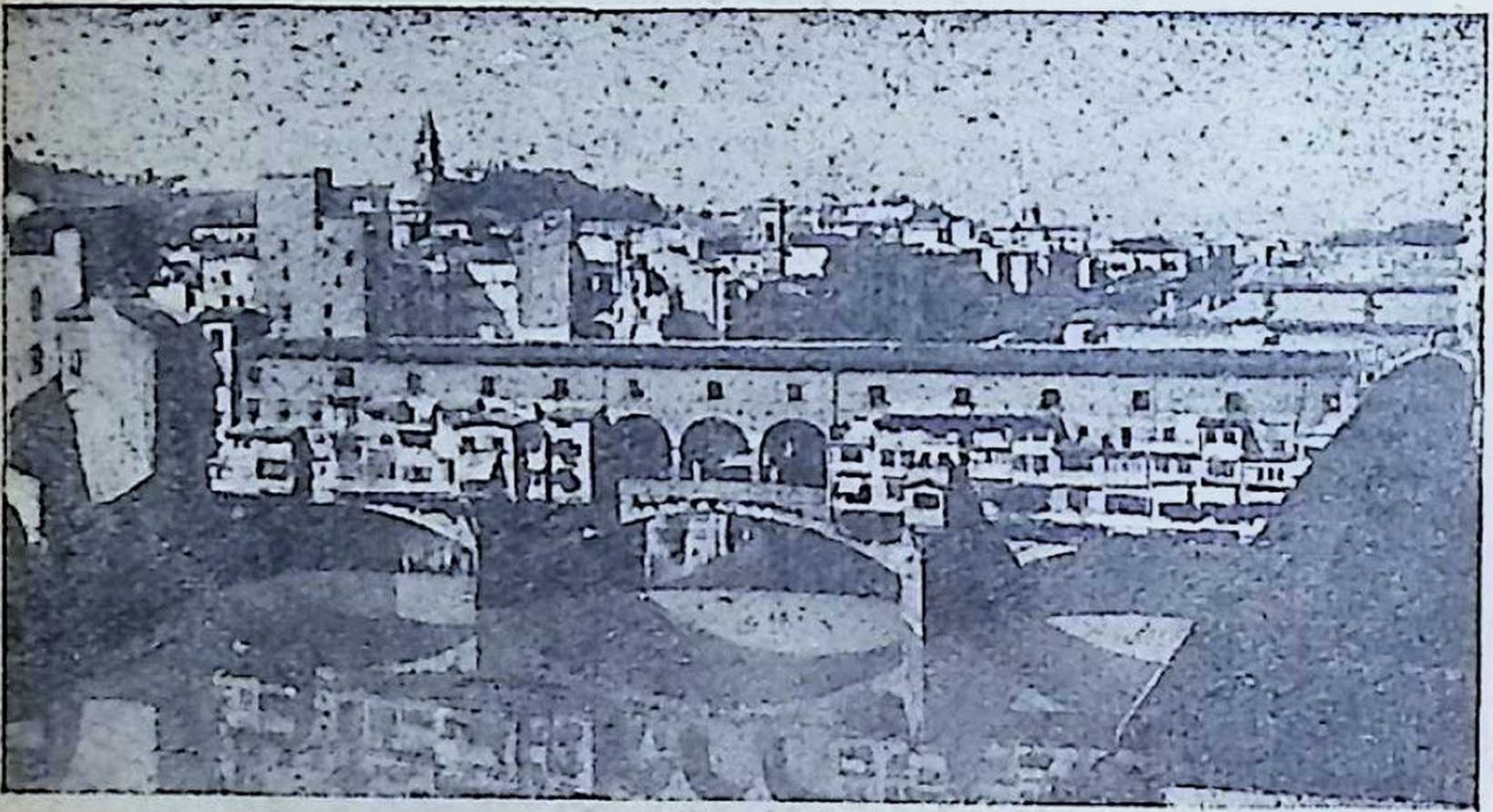

قنطرة فيكيو المشهورة بفلورنسا ، وهى قنطـــرة « مسقوفة » تتخذ بمثابة سوق تزدحم بالحوانيت والباعة !

يستغرق فى هذه الدورة نحو اربع ساعات .. اما اذا كان وقتك ضيقاً فخير لك ان تستقل « اللنش » البخارى الذى جئت فيه ، لينطلق بك نحو الميناء الكبير — فللجزيرة ميناءان : الميناء الكبير (مارينا جراندى) والميناء الصغير (مارينـــا بيكولا) — وهناك تهبط الى رصيف يموج بالخلق ، من جميع الأجناس ! .. فأنت الآن فى .. أشهر جزيرة فى العالم !

ومساحة جزيرة كابرى نحو ٦ كيلو مترات وربع طولا ، و ٣ عرضا .. وهى رغم طبيعتها الجبلية المليئة بالصخور والمغارات ، مكسوة بالخضرة اليانعة ، التى تجعل منها « لؤلؤة » خليج نابولى ! .. وتمتاز بجو مثالى حالم — سواء فى الصيف او الشتاء — يجمع بين الشمس المشرقة والهواء المنعش البالغ النقاء ، حتى ليطلقون عليه هناك : « الهواء المقوى ! »

والجزيرة مسكونة منذ عصور ما قبل التاريخ ، ومن هنا

تعاقب عليها الحكم اليوناني ، فالرومانى ٠٠ على ان شهرتها بدأت منذ عهد الامبراطور تيبريوس (المعاصر للمسيح) ، الذى شيد لنفسه فيها عدة قصور ـ ما تزال آثارها باقية الى اليوم ـ ثم لم يلبث ان اتخذها مقرا دائما له اعتزل فيه ، منذ عام ٢٧ ٠٠ على ان الذى ضاعف من شهرة كابرى فى القرن العشرين ، « تمجيد » الاديب والطبيب السويدى الدكتور « أكسيل مونته » لها فى كتابه المشهور « قصة سان ميكيل » ـ الذى قدمت لك فصولا رائعة منه فى اعداد سابقة ـ وتشييده فيها قصره الشاهق الذى قضى فيه السنوات الأخيرة من حياته ! ٠٠ واليوم ، صارت « الموضة » الشائعة بين اثرياء العالم المترفين وكبار نجوم السينما ان يشيد الواحد منهم له قصرا فى كابرى يأوى اليه بضعة اسابيع ـ أو ايام ! ـ كلما احتاج الى الراحة وتبديل الهواء ٠٠ وهكذا صرت ترى فى انحاء الجزيرة مجموعة متناثرة من الفيللات ، بل القصور الفاخرة : فهذا قصر المليونير « اغا خان » ، وهذه فيللا النجمة السينمائية جنجر روجرز ٠٠ الخ

٠٠ ولنعد من هذا الاستطراد الى حيث كنا ، نهم بالهبوط من اللنش الى رصيف الميناء ٠٠

((الكورنيش)) الحلزونى !

◆ **تجد** فى انتظارك على رصيف الميناء طريقين يؤديان بك الى أعلى ، (فالجزيرة كما أشرت أشبه بجبل شامخ وسط البحر !) : الطريق الاول هو الترام المعلق ، الذى يرقى بك الى بلدة كابرى (عاصمة الجزيرة) ، وطول هذا الطريق ٣ كيلو مترات ٠٠ والطريق الثانى هو الكورنيش الحلزونى الضيق الذى لا يكاد يتسع لغير سيارة ذاهبة وأخرى آيبة ، وبشق النفس ! ٠٠ واذا اخترت هذا الطريق ففى امكانك ان تصعده سائرا على قدميك ، اذا اردت النزهة ، أو تستقل

سيارة الاتوبيس المكشوفة اللطيفة - وهى من صغر حجمها اقرب الى ان تسمى « بيبى اوتوبيس » ! - فتصعد بك ذلك الكورنيش العجيب الذى يشرف على البحر من كل جانب ، والذى تحس والسيارة تتسلقه بك كأنك تتسلق مئذنة دائرية عالية ! ٠٠ واحيانا يسقط قلبك اذا توقفت السيارة لتفسح الطريق لأخرى عائدة ، اذ يخيـــل اليك ان ادنى خلل فى (الفرامل) كفيل بأن يجعل السيارة تنزلق الى أسفل ٠٠ الى الهاوية !

ويبلغ تعداد سكان « مدينة » كابرى ، ما بين اربعة وثمانية آلاف نسمة ، (حسب الموسم السياحى) ، وارتفاعها عن سطح البحر ١٣٨ مترا ٠ ولا يستطيع الغريب ان يتبين لها معالم محددة ، أو أولا من آخر ، فكلها منحدرات ومنخفضات ، وشوارع وسلالم ودروب ، وكأنها « بيت جحا » بعينه قد تجسم فى عالم الحقيقة ! ٠٠ حتى فنادق البلدة وحوانيتها وكنائسها ذات طابع غريب ، ريفى وحضرى معا ٠٠ أثرى

منظر عام لفلورنسا ٠٠ وفى المقدمة بستان رائع من بســاتين « مدينة الزنبق » !

وعصرى فى آن واحد ! ٠٠ واذا صعدت سلالم كنيسة « سان ستيفانو » ، ثم استدرت الى اليمين ، تجد نفسك فى شارع يؤدى بك الى خارج البلدة ٠ وبعد مسيرة ست دقائق تلمح الى يمينك دربا ضيقا ، تدخل منه بعد خطوات بابا الى يسارك ، ثم تعبر حديقة فسيحة ٠٠ حتى تجد نفسك بعد نحو ٨ دقائق أمام أطلال قصر أثرى من قصور العصور الوسطى يطل على منظر رائع لسفح الجزيرة والبحر ، من ارتفاع ٢٥٧ مترا ٠٠

٠٠ وتخرج الى طريق آخر ، يقودك الى أطـلال (فيللا جوفيس) ، قصر الامبراطور تيبريوس ، الذى تسـتطيع دخوله اذا دفعت مبلغا زهيدا لا يتجاوز الستة مليمـات ٠٠ واذا صعدت قدما الى أعلى قمة مدببة، وجدت كنيسة تشرف على أجمل منظر ، من ارتفاع أكثر من ٣٥٠ مترا

فاذا فرغت من بلدة كابرى ، وأردت الصعود مرحلة أخرى الى أعلى ، ركبت أتوبيسا آخر يتسلق بك كورنيشا حلزونيا آخر أشد انحدارا ، طوله ٤ كيلومترات ، يقودك الى الضاحية الجديدة من ضواحى الجزيرة، التى أطلقوا عليها « أناكابرى» - ولا يزيد عدد سكانها عن ٢٧٠٠ - وهنا يخلبك منظـر الفيللات البيضاء التى تناثرت فى كل مكان وسط الخضرة والاشجار والصخور ٠٠ ثم تلمح سلما منحوتة فى الصخور على صورة بدائية جميلة ، تقودك درجاتها الشـاهقة الى « طابق » آخر من طوابق الجزيرة ، تتربع فوقه « فيللا » الدكتور أكسيل مونته المشهورة : « فيللا سان ميكيل » ، (ولها طريق آخر يؤدى اليها بالسيارات) ٠٠ فاذا كنت لم تتعب من الصعود ، ففى امكانك أن تواصله الى أعلى قمم جزيرة كابرى جميعا : قمة « سولارو » ، التى ترتفـع عن البحر ٥٨٩ مترا ٠٠ وهنـاك ترى أطلال قصر أثرى ، لم يضل الطريق الى هذا العلو الشامخ !٠٠ ومن مكانك تشرف

ميدان ميكيل انجلو الرائع الذى يطل من عل على مدينة فلورنسا .. ويتوسطه تمثال انجلو المشهور « الملك داود »

على أروع منظر عام للجزيرة والسفح والشاطىء والبحر جميعا !

وفي كل « طابق » من طوابق الجزيرة المختلفة ، تجد الفنادق والمقاهى والحوانيت والاسواق التى يباع فيها كل ما يخطر على البال من بضائع عصرية ، فى اطار من هذا الجو الريفى الاثرى ، القديم والجديد ، الخيالى والواقعى معا!

.. وقبل أن نستسلم للاحلام ، فى جزيرة الاحلام ، ويستعبدنا سحر كابرى العجيبه ـ كما استعبد « اكسيل مونته » من قبل ! ـ تعال نلوذ بالفرار من هذا الخطر الداهم، فنغادر الجزيرة مسرعين .. واذ يبتعد بنا الزورق البخارى عائدا الى (سورنتو) ، تسقط أشعة الغروب الخابية على صخرات « فاراجليونى » الثلاث الضخمة ، التى تقوم وسط البحر على مقربة من الجزيرة .. وكأنها عمالقة ثلاثة يتناوبون

حراسة الجزيرة التى توشك أن تخلد الى النعاس ‥ على ذراعين حانيتين من أشعة القمر .

موطن دانتى !

◆ ومن سورنتو ركبنا الاوتوكار عائدين الى نابولى ، ومنها الى روما التى بلغناها فى منتصف الليل‥ كى نغادرها فى قطار الصباح الباكر الى ‥ فلورنسا

ورغم صغر مساحة فلورنسا وقلة تعداد سكانها نسبيا – اذ لا يزيدون على ٤٠٠ ألف نسمة – فانها المدينة الايطالية التالية لروما مباشرة ، من حيث أهميتها التاريخية وكنوزها الفنية، بل من حيث اقتران اسمها بمئات من الاحداث والاسماء ، منذ بدء تاريخها العريق حتى العصر الحديث !‥ فهى بقبابها

منظر من الداخل لاحدى قاعات كنيسة اسرة (مديتشى) المشهورة ، التى حكمت فلورنسا فترة من الزمن

راس تمثال الملك داود ، تحفة ميكيل انجلو

المشهورة ، وأبراج كنائسها الشاهقة ، وقصور نبلائها القدامى ، التى يرين عليها طابع المجد والجلال .. تقوم وسط اطار من التلال المكسوة بالحدائق الغناء التى لا يحد البصر مداها .. وكأن الطبيعة والفن يتآلفان ويتعاونان على نسق رائع تحت سماء اقليم توسكانيا العريق فى القدم ، العريق فى المجد .. **فالحياة والفن يعيشان فى فلورنسا منذ القدم جنبا الى جنب.. ومن عهد « دانتى » ، الى « ميكيافيللى » ، الى « ميكيل انجلو » ، كانت فلورنسا على الدوام موطنا من المواطن الرئيسية للفكر والفن .. والمرء يشهد انعكاس ذلك المجد فى أيامنا هذه ، فى واجهات قصورها الاثرية ، وفى شوارعها ، وأسواقها ، ومقاهيها .. حتى ليقف فى كل خطوة ليتأمل : هنا كان دانتى يعيش ويتنفس ، ويمشى فى الاسواق ، ويدخل هذه الكنيسة ، وينتظر بياتريس عند هذه القنطرة .. الخ .. وفى هذا الميدان - (بيازا دلا ترينيتا) - كان « ميكيل انجلو » يتناقش مع « ليوناردو دافنشى » فى تفسير فقرة من « الكوميديا الالهية » !..** بل انك لتلمس اليوم مجد فلورنسا التليد حين تصك سمعك ، سواء فى معارض الصور الفنية ، أو فى الازقة والاسواق الضيقة التى يباع فيها الانتاج الفنى ، مناقشات حامية بين شعراء

ورسامى اليوم ، الشبان ، الذين يحاولون بدورهم تأسيس مدارس فنية جديدة •• يحدوهم الامل فى أن يصيروا أئمة الفن والادب فى المستقبل !

بل ان فلورنسا ـ وهى مهد اللغة الايطالية ، التى هى فى الحقيقة لغة اقليم توسكانيا المحلية ـ تحتفظ بمكانة هامة فى الحركة الادبية الايطالية الحديثة ، وتحرص على تقليد الندوات المرحة التى يؤمها عشاق الادب والفن والمسرح ، ومن اليهم •• فأنت اذا ذهبت الى مطعم (ترويا) ، وجدت حلقة منهم تحتل احدى المناضد ، وتتناقش فى حماسة على صليل الشوك والسكاكين والاطباق •• ونكهة الاطعمة الفلورنسية تذكى حبها للحياة ، والفن !•• ثم تنصرف الجماعة بكامل هيئتها لتتناول القهوة « الاسبريسو » فى ذلك المقهى الذى افتتحه فى حى الطلبة جوكى سابق من فرسان السباق ، وحرص على أن يختار له صرافة حسناء تدعى « كارولين » ، صارت اليوم من أكثر شخصيات فلورنسا « شهرة » فى أوساط الشباب!

الامير « باريس » و « هيلين » حسناء طروادة : تمثال رائع بحدائق بوبولى بفلورنسا

•• وفى شهر مايو من كل عام يقام المهرجان الموسيقى والمسرحى ، الغنائى والتمثيلى، وتعرض برامج الباليه الكلاسيكية ، وتعزف السيمفونيات المشهورة ، اما فى مسرح حدائق « بوبولى » الغناء ، أو فى أحد الميادين الفسيحة بالمدينة •• ويقبل السائحون على حضور هذه

المهـــرجانات من كافة أركان الارض ، كما يقبل عليها أهـل فلونسـا من أربعـة أطراف المدينة بحماســة ملحوظة !

ومن المهرجانات الاخـرى التى يقبل اهل فلورنسـا وزائروهـا علـى حضـورها – والتى تعتبر من اجمـل مهرجانات ايطاليا المبتـكرة – حفل تنكرى يرتدى المشتركون فيه ازياء عصر النهضة ، وتنظم هذا المهرجان بلدية فلورنسـا فى شهر مايو ايضـا من كل عام ، ويقام عادة فى ميـدان (لا سنيورى) .. والجائزة التى تمنح للفائز فيه هى .. عجل مسمن !

العذراء ، للرســام موريللو (بمتحف ((بيتى)) بفلورنسا)

سحر الفن .. وسحر الطبيعة !

◆ **وقبل** أن أحدثك بقدر أوفى من التفصيل عن متـاحف فلورنسا ومعارضها الفنية ، أقول أن سحر فلورنسا لا يقتصر على هذه المتاحف والقصور أو الكنائس .. بل ان الزائر اذا أشبع ظمأه الفنى من تلك الكنوز يستطيع أن يجد فى المدينة مجالات أخرى للاستمتاع بالجو الفلورنسى التقليـــدى .. يستطيع أن يجد بغيته فى شوارع المدينة ، وميادينها ، والمقاهى التى تحتل تلك الميادين ، وبرامج اللهو الخفيفة التى تنظمها بعض فنادق المدينة .. بل يستطيع أن يطل من ميدان ميكيل انجلو على منظر عام لفلورنسا الراقدة تحت أقدام تمثال الملك

داود ٠٠ **أو يسير ساعات بأكملها اذا شاء وسط الحدائق الرائعة الشبيهة بالغابات – التى لم أر لها مثيلا حتى فى غابات (فيينا) المشهورة أو غابة بولونيا بباريس – فهى شبه « مدينة » كاملة ، تشقها الشوارع العريضة المرصوفة، التى تتلوى ، وترتفع وتنحدر ، على نسق منعدم النظير !**

ولم لا أقول ان المرأة تستطيع أن تجد فى فلورنسا ما يرضى شتى هواياتها : ففى حوانيتها التجارية تجد المصنوعات الجلدية المنقوشة برسوم الفن الفلورنسى التقليدى ، ومن أهم هذه المصنوعات : « البودريير » الانيقة ، وحافظة النقود النسائية الصغيرة ، وعلبة السجائر الدقيقة الحجم ٠٠ بل انها اذا استرسلت فى السير الى شارع « تورنابونى » ، حيث مركز حائكات الثياب المعروفات ، تجد عندهن ما يضاهى وينافس ما تصممه الحائكات الفرنسيات ! ٠٠ أما لو استسلمت لطبعها الغالب فتطلعت الى واجهات الحوانيت، فلن تقنع أو تشبع من «مغازلة» المغريات المعروضة فيها ، من أحدث البضائع والازياء ٠٠ !

تمثال فى وضع آخر لحسناء طروادة مع الامير « باريس »

مدينة الزنبق !

◆ **وهناك** عدة « أساطير » متداولة عن نشأة مدينة فلورنسا ٠٠ فمن رواية تقول انها أنشئت سنة ٧٠ قبل الميلاد فى عهد يوليوس قيصر ٠٠ ورواية أخرى ترجعها الى

تمثالان للملك داود : الأيمن للمثال دوناتيللو ، والايسر لفيروكيو

ما قبل ذلك بزمن بعيد ، فتقول ان أول من سكنوا المدينة هم الفينيقيون ، قبل مولد المسيح بخمسة وعشرين قرنا ! .. على أن أرجح الروايات هى تلك التى تؤرخ انشاءها ببضع عشرة سنة قبل الميلاد ، أى فى أواخر أيام الجمهورية الرومانية ..

(وكما اختلف الناس فى شأن تاريخ انشاء فلورنسا ، اختلفوا أيضا فى شأن علة تسميتها بهذا الاسم .. على أن الأغلب ان اسمها مشتق من ترجمة لفظ الزهور ، نظرا لكثرة كميات زهر الزنبق التى تنبت فى الحقول المحيطة بالمدينة ، سيما وان زهرة الزنبق هى الزهرة التقليدية التى يرمز بها الى فلورنسا !)

ولنعد الى تاريخ المدينة .. ففى القرن العاشر كانت قد أضحت مدينة ذات أهمية كبرى ، ولا سيما فى ميدان التجارة الذى كانت تناضل كى تحتفظ فيه بالسيطرة على اقليم توسكانيا .. وفى القرن الخامس عشر انتقلت مقاليد حكم المدينة الى أسرة (مديتشى) ، التى حولتها الى « دوقية » . وازدهرت فلورنسا فى عهد « لورنزودى مديتشى » ، فقد جعلها مهد النهضة الايطالية .. ثم انتقل حكمها الى أسرة (لورين) ، التى حكمتها حتى عام ١٨٥٩ .. ثم توحدت ايطاليا بفضل غاريبالدى فى عهد فيكتور عمانويل فاختيرت

فلورنسا عاصمة للمملكة الجديدة ، وظلت على هذا الوضع من عام ١٨٦٥ ـ ١٨٧١

وخلال الحرب العالمية الاخيرة ، بعد أن عقدت ايطاليا الهدنة مع الحلفاء ، احتل الالمان فلورنسا (من ٨ سبتمبر سنة ١٩٤٣ ـ ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٤) .. لكنها لحسن الحظ لم تصب بخسارة تذكر من جراء الغارات الجوية ، بل ان الالغام الالمانية دمرت جميع القناطر المقامة على نهر (الارنو) ، ما عدا قنطرة فيكيو (أى القنطرة القديمة) ، ذات القيمة التاريخية الكبيرة .. وهى قنطرة مسقوفة أقيمت عليها من الجانبين سوق تجارية وازدحمت بالباعة لمختلف السلع والحاجيات ! (وترى صورة للقنطرة فى مكان آخر من هذا المقال)

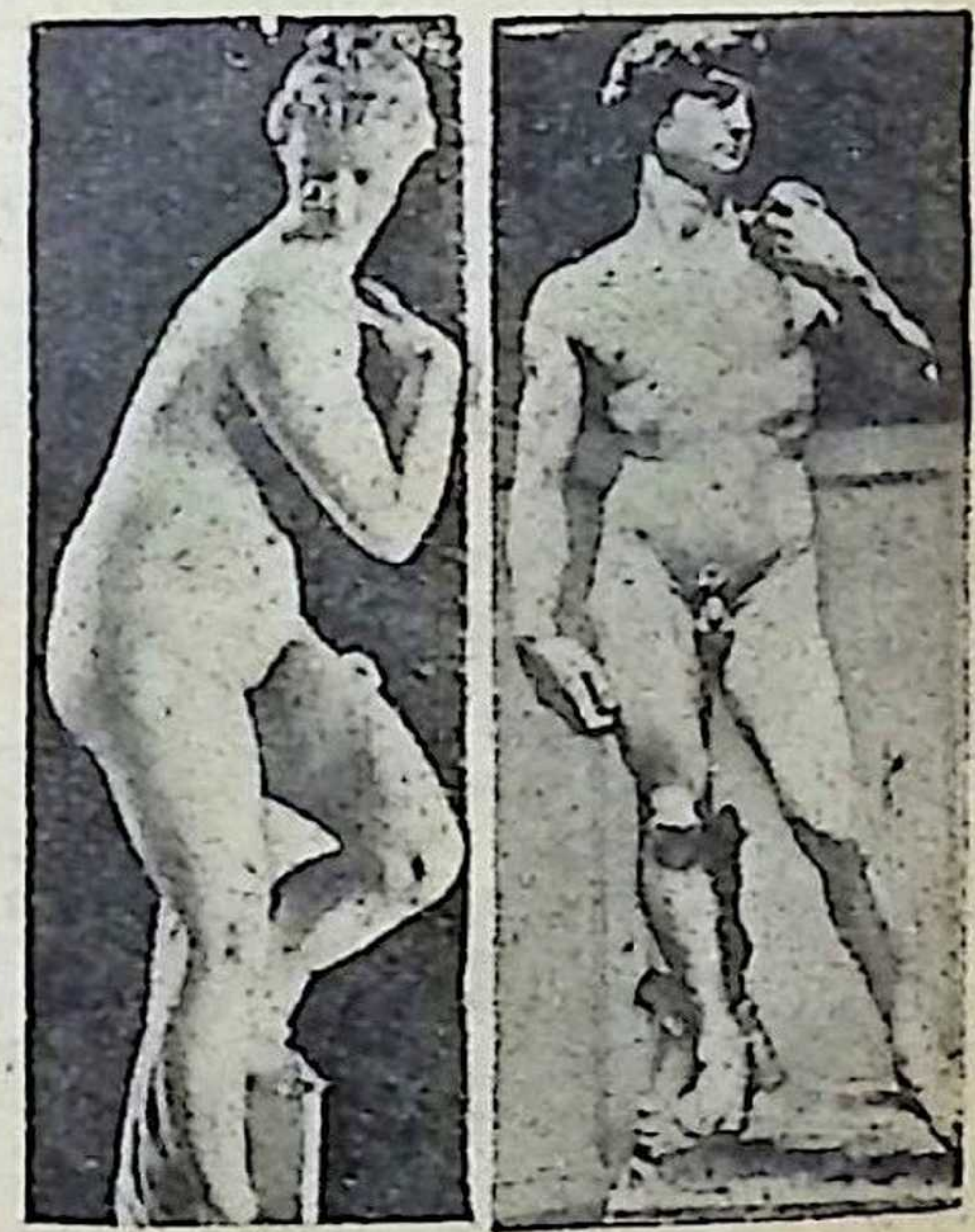

(الى اليمين) صورة كاملة لتمثال انجلو « الملك داود » (والى اليسار) تمثال «فينوس» بحدائق بوبولى

وفى القرن التاسع عشر ، اندلعت فى فلورنسا ثورة فنية جديدة ، عندما تصدى بعض فنانى العصر لمدرسة الفن القديمة بالنقد ، واتهموها بالضعف والعجز .. ثم جعلوا المدينة مركزا مشتعلا بالنشاط والحمية لحركة تأثرية علمية وجدت فى المثال « أوريانو سيكيونى » رائدها وامامها

وفى العدد القادم نزور أشهر معالم فلورنسا ، ثم نغادرها الى .. البندقيــة

حدائق (فلورنسا) الغناء .. وقبتها التقليدية المشهورة

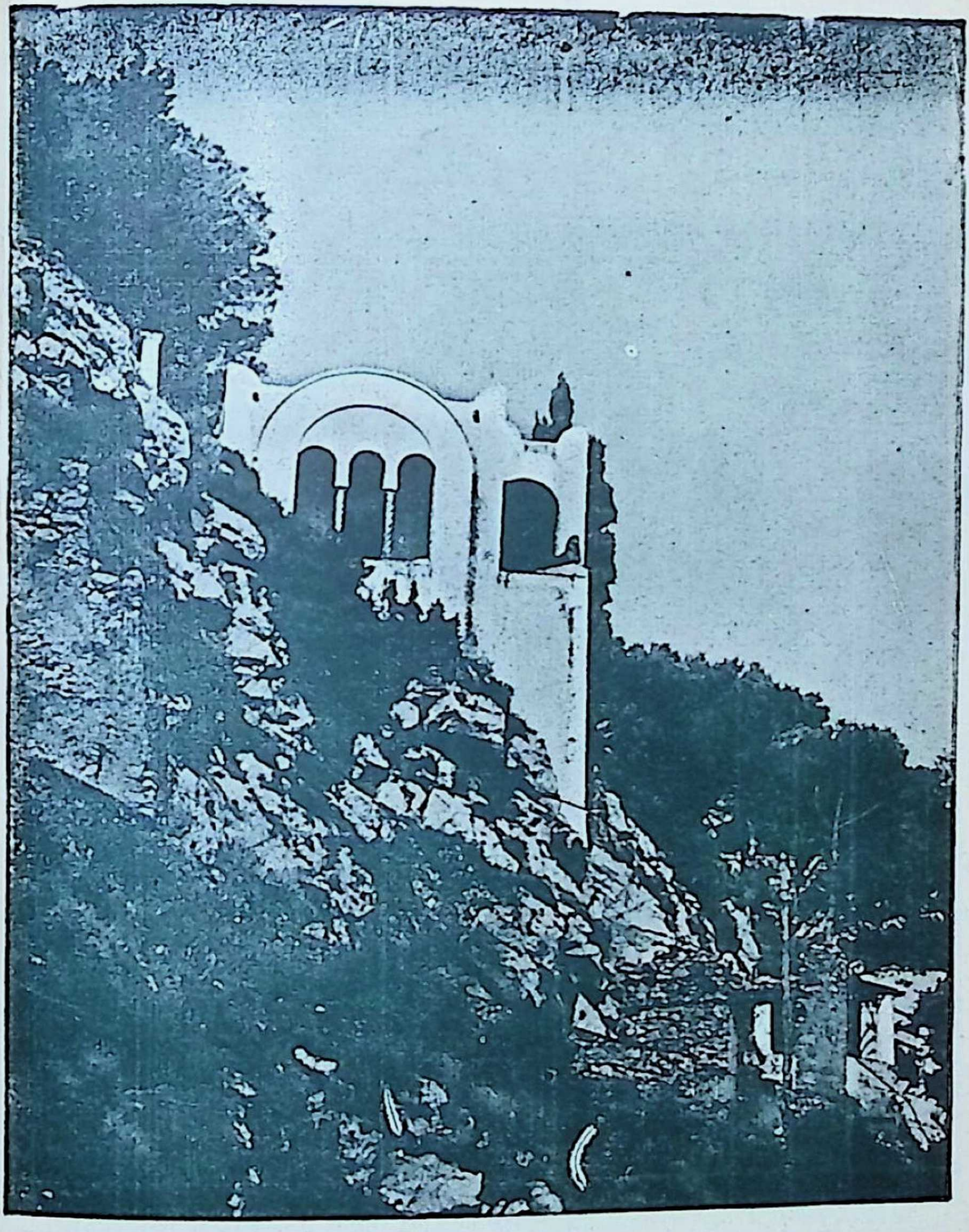

فوق اعلى قمة من ضاحية « أنا كابرى » الجديدة ، شيد الطبيب السويدى الدكتور « اكسيل مونته » قصره الرائع ، وكأنه فناء شاهق يحيط به البحر من كل جانب !

عندما يولي الشباب

قصة مصورة : للمحرر

- ١ -

فرغ من ارتداء ثيابه ، وألقى نظرة أخيرة على المرآة الكبيرة التى تحتل ركنا من غرفة النوم ، وابتسم ..

انه ما يزال رجلا وسيما ، رغم الشيب الذى بدأ يدب فى شعره .. وما تزال قامته الطويلة ، المهيبة ، وهندامه الانيق، ووجهه الخمرى النحيف ، وشاربه الرشيق .. تضفى كلها عليه طابع الرجل الذى يحظى باعجاب النساء !

واستخفه الزهو ، فهمس لنفسه فى ارتياح : « ان عبد الرحمن .. ما يزال بخير ! » .. ثم أخذ طريقه الى الغرفة المجاورة ، حيث كان ينتظره بريد الصباح ..

كانت على منضدة المكتب الفاخرة ثلاث صحف ، وبضعة خطابات .. وفيما عدا ذلك كان كل شىء فى موضعه تماما ، شأن مكاتب رجال الاعمال الذين لا يعملون !.. وبحركة رشيقة من اصبعه استعرض عبد الرحمن جميع الرسائل التى أمامه ـ كما يستعرض المقامر أوراقه قبل أن يختار احداها !ـ وتأمل خطوط المظاريف بنظرة ـ كعادته ـ قبل أن يشرع فى فضها ..

كانت تلك اللحظة عنده ـ كل صباح ـ لحظة ترقب ممتع ، وفضول ، وقلق غامض !.. ماذا تحمل اليه هذه الرسائل المغلقة من أنباء ، وماذا تبطن من دواعى الفرح ، أو الاسى .. أو البهجة أو الحزن ؟.. وبنظرة سريعة من عين خبيرة بالخطوط التى ترد الى صاحبها ، « فرز » الرسائل التى أمامه ، وقسمها الى قسمين أو ثلاثة ، حسب مرتبة مرسليها من حيث الاهمية : فهذه رسائل من أصدقاء .. وهذه من أشخاص يعرفهم معرفة سطحية .. وتلك من أناس يجهلهم تماما !

وكان القسم الثالث يثير فى نفسه دائما شيئا من عدم الارتياح : ماذا يريد منه هولاء الناس ؟ وماذا تحوى خطاباتهم من عبارات الرجاء ، أو الوعود ، أو الوعيد ..؟

وفى اليوم الذى نحن بصدده كان القسم الثالث يتألف من خطاب واحد ، وحيد .. فقلبه بين أصابعه حائرا ، وقد تولاه شعور مبهم بالاضطراب : « ممن يمكن أن يكون ؟.. يخيل الى اننى أعرف هذا الخط ، وانه مألوف لدى .. مألوف جدا .. ولكن لا بد أن ذلك كان منذ زمن بعيد .. فمن يكون صاحبه ؟ .. لعله صديق قديم ..؟ »

ومزق الظرف .. وشرع يقرأ :

« يا صديقى ..

« أغلب الظن انك نسيتنى .. فقد مضى ربع قرن منذ افترقنا ! كنت وقتئذ شابة ، واليوم أنا فى سن الكهولة !.. أتذكر يوم ودعتك وأنا على أهبة الرحيل عن القاهرة الى الريف مع زوجى .. زوجى الشيخ ، الذى اعتدت أن تسميه « مستشفاى» ؟.. هل تذكره؟ .. لقد مات منذ خمس سنوات .. واليوم أعود الى القاهرة كى أزوج ابنتى .. فان لى ابنة جميلة فى الثامنة عشرة ، لم ترها !.. لقد أنبأتك بمولدها ، فى حينه ، ولكن أغلب الظن أنك لم تعبأ وقتئذ بحادث تافه كهذا ..

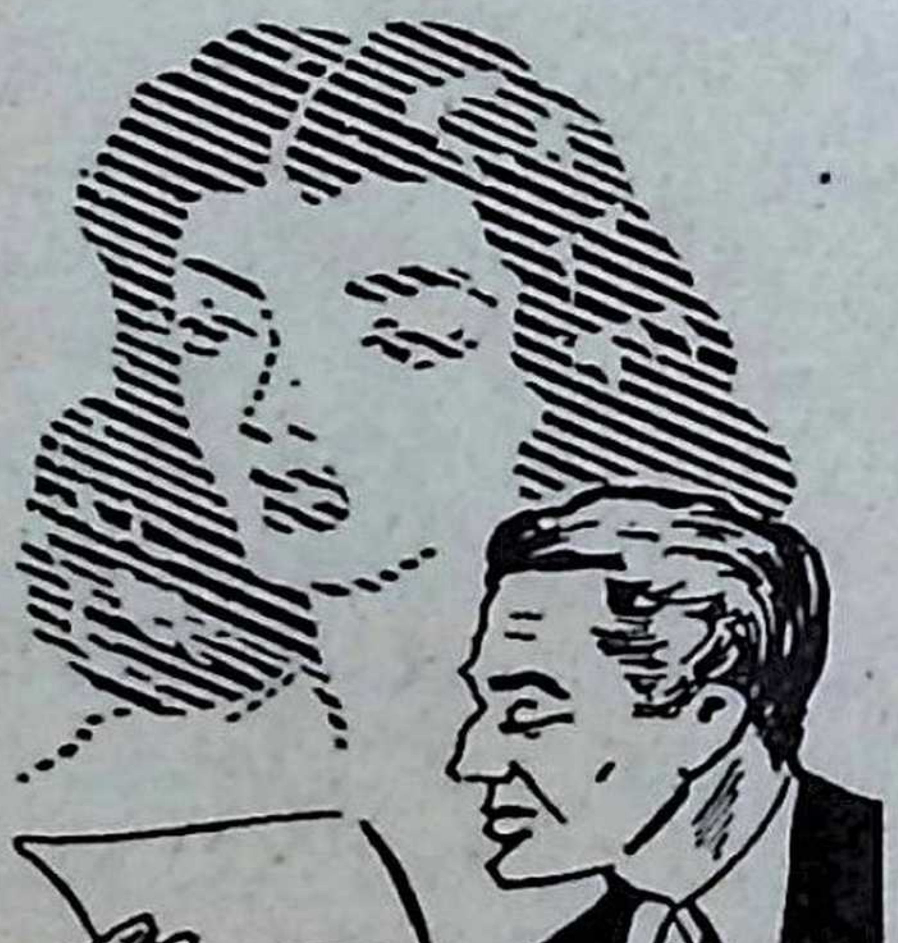

« وأنت .. كيف حالك ؟ قيل لى انك ما تزال «عبدالرحمن» الرشيق الانيق .. فاذا كنت ما تزال تذكر سنية ، أو « سوسو » كما اعتدت أن تسمينى ، فتعال الليلة لتتناول العشاء معها ، مع « حرم رشوان بك » سابقا ، صديقتك القديمة التى سوف تمد اليك يدها - فى شىء من الانفعال - كى تصافحها فقط ، وليس لكى تقبلها .. أيها العزيز « عبده » !

« سنية رشوان »

قفز قلب عبد الرحمن بين ضلوعه.. وغاص فى مقعد مريح، والخطاب بين أصابعه .. وشرد بصره الى الجدار الذى أمامه، لكن فكره اخترق الجدار والفضاء ، والحى بأكمله ، وقد تملكته مشاعر دافقة عنيفة .. أرسلت الدمع الى عينيه !

لئن كان قد أحب فى حياته امرأة ، فتلك المرأة هى «سنية»، ذات العينين الغبراوين ، الشاحبتين ، والكيان الذى يفوح سحراً ، وعطرا ، وأنوثة .. أواه ، أية مخلوقة جذابة شهية كانت « حرم رشوان بك » فى شبابها ، حين حملها زوجها الشيخ البدين الكريه الى ضيعته ، وحجبها عن الانظار ، غيرة عليها من غريمه الشاب الرشيق الانيق .. عبد الرحمن !؟

وتدافعت الى رأسه عشرات الصور والذكريات البعيدة ، العذبة .. وذكر آخر مرة رآها فيها ، ليلة جاءته خفية وهو يستعد للامتحان النهائى .. كم ذرفت من دموع بين ذراعيه ليلتئذ تحت سقف « التكعيبة » الخشبية - أو خميلة العشاق كما سمياها - التى كانا يلتقيان فيها خلسة فى حديقة منزله بالمنيرة !.. انه ليذكر رائحة جسدها فى تلك الليلة ، وهو يهصره بين ساعديه فى عناق الوداع ، فينتفض صدرها لصق صدره انتفاضة الطير المذبوح ، ثم يهدأ .. ويستكين !

٠٠ لقد كان حبا رائعا حقا ، قطعه فى عنفوانه رحيل الزوج بزوجته الى منفاها السحيق ، حيث ضرب عليها بقية حياته حصارا شديدا لم يخترق نطاقه انسان ! أما هو ـ عبد الرحمن ـ فلم تمض أشهر حتى نسى غرامه المفقود ، كما ينسى غرامهم شباب القاهرة من العزاب ، الذين تطرد كل امرأة من قلوبهم ذكرى سابقتها بسرعة موجعة ، مفجعة ٠٠ وان كان هو قد أحتفظ لسنية فى قلبه بمحراب صغير، يتعبد لها فيه بين الحين والحين ٠٠ فلقد أحبها حقا ، حبا صادقا لم يحببه غيرها ٠٠ حتى الآن !

*

وحين بلغت به تأملاته وذكرياته هذا الحد ٠٠ نهض من مقعده منتفضا وهمس لنفسه ، بصوت مسموع دون أن يدرى:

ـ لا بد أن أذهب وأتناول العشاء معها ٠٠ الليلة !

وبحركة غير ارادية استدار نحو المرآة ، وأخذ يتفحص صورته فيها من رأسه الى قدمه ٠٠ وهو يقول لنفسه : « أغلب الظن انها قد شاخت أكثر منى ! » ٠٠ وشعر بالزهو يستخفه لكونها ستراه محتفظا بشبابه ، وأناقته ٠٠ ومن يدرى ، لعلها تندم على شبابها الذى ضاع ، بعيدا عنه !

وطيلة اليوم ظل يفكر فى ٠٠ ذكراها ! ترى ما شكلها الآن؟ ٠٠ وما أغرب أن يلتقيا هكذا بعد فراق خمسة وعشرين عاما ؟

وحين أزف الموعد ، ارتدى أفخر ثيابه وتزين على أحسن صورة ٠٠ ثم يمم شطر بيتها ، مبكرا بعض الشىء ، كى يظهر شوقه الى لقائها !

ـ ٢ ـ

كان أول ما لمحه فى غرفة الاستقبال الانيقة التى أدخل اليها : صورة قديمة له ، ترجع الى أيام شبابه المنصرم ، معلقة على الجدار داخل اطار حريرى من الطراز العتيق ٠٠

ولم يكد يستقر فى مقعده ، حتى فتح باب وراءه ، فنهض واستدار فى حركة آلية ٠٠ فاذا أمامه امرأة ذات شعر أشيب، تمد اليه كلتا يديها ٠٠

تناول اليدين بين راحتيه ، وطبع على كل منهما قبلة طويلة حارة ٠٠ ثم رفع رأسه وراح يتأمل المرأة ، التى أحبها فى شبابه !

كانت تبتسم ، لكنها بدت أقرب ما تكون الى الرغبة فى البكاء ٠٠ فلم يملك أن همس لها بصوت راعش :

ـ أهذه أنت ٠٠ يا سنية ؟

فأجابت :

ـ نعم ، أترانى قد تغيرت ؟ انه الاسى الذى بدلنى هكذا ٠٠ أما أنت فلم يغير الزمن منك شيئا ٠٠ حتى لأكاد أجزم بأننى لو كنت التقيت بك مصادفة فى الطريق لهتفت بك فورا بغير وعى « عبده ! » ٠٠ والآن حدثنى عن أمورك وحالك بغير كلفة ٠٠ وأنا سأريك ابنتى ، ابنتى الشابة ، وسترى بنفسك كم تشبهنى ، أو بالاحرى تشبه الفتاة التى كنتها فى الماضى البعيد !٠٠ لقد أردت أن أنفرد بك أولا خشية أن تبدر منى أمامها بادرة انفعال تشى بعلاقتنا الماضية !

كان جالسا الى جوارها ، ممسكا بيدها بين راحتيه ، دون أن ينطق بكلمة ٠٠ انه لا يعرف هذه المرأة ، بل يخيل اليه أنه لم يرها قبلا ٠٠ فماذا جاء يفعل فى هذا البيت ؟ وفى أى موضوع يتحدث ؟٠٠ أفى الماضى البعيد ؟٠٠ ولكن ماذا بقى منه ، وأى صلة تربطه بهذه المرأة ؟٠٠ انه ما عاد يذكر شيئا يرتبط بهذا الوجه المغضن ، الذى كأنه وجه جدة شمطاء ! ٠٠ ما عاد يستطيع أن يستعيد فى خياله تلك الذكريات العذبة الرقيقة ، الحلوة المرة ، التى كانت له مع الاخرى ٠٠ مع سنية القديمة !٠٠ فماذا جرى لها ، لتلك التى أحبها ، فتاة أحلامه القديمة ، السمراء ذات العينين الغبراوين الشاحبتين ؟

لبثا جنبا الى جنب بعض الوقت ، يرين عليهما وجوم ثقيل، ولا يتبادلان غير عبارات مقتضبة ٠٠ وأخيرا نهضت سنية فضغطت على زر الجرس قائلة : « سأستدعى لك ناهد » !٠٠ ولم يلبث أن سمع طرقا خفيفا على الباب ، ثم حفيف ثوب ، فصوتا ناعما يقول :

ـ هاأنذا يا أماه ٠٠

جمد عبد الرحمن برهة مبهوتا ، كمن يرى شبحا !٠٠ ثم تمالك نفسه فقال :

ـ سعدت مساء يا « مدموازيل » ٠٠

ثم استدار نحو الام يقول ، وهو ينقل بصره بينهما حائرا :

ـ انها ٠٠ أنت !

ولم يكن مغاليا ٠٠ كانت الفتاة التى أمامه « هى » القديمة، التى عرفها منذ ربع قرن !

وأحس برغبة ضارية فى أن يفتح لها ذراعيه ويختطفها الى صدره مرة أخرى ، هامسا فى أذنيها :

ـ حبيبتى سنية ٠٠!

لكنه أفاق من خياله على صوت الخادم يعلن اعداد العشاء ، فانتقل الثلاثة الى غرفة المائدة ٠٠

✠

وطيلة فترة العشاء ، غرق صاحبنا فى لجة من الاحلام ، والاخيلة الغريبة ، لم يشعر أثناءها بما قيل له ٠٠ أو بما قاله !

أيهما حبيبته سنية ٠٠؟

وفيما كانت الام تبتسم وهى تكرر على مسمعه بين الحين والآخر هذا السؤال :« أتذكر ؟ » ٠٠ كان هو يجد الجواب على أسئلتها فى عينى الفتاة اللماحتين ٠٠ وجد فيهما ذكريات ماضيه ، ففتح فاه عشرين مرة كى يسأل الصغيرة بدوره :

« أتذكرين يا سنية ؟ »
ولحظت الام اضطرابه ، فسألته :
ـ لقد فقدت مرحك القديم !
فأجابها مغمغما :
ـ هناك أشياء كثيرة أخرى قد فقدتها ٠٠!

- ٣ -

لكنه فى أعماق قلبه الذى أيقظه الانفعـال ، أحس غرامه القديم يبعث الى الحياة من جديد ، كوحش أفاق من سباته وتأهب للانطلاق !

٠٠ وكانت الفتاة ماضية فى ثرثرتها ، وبين طيات كلامها كانت ترد على لسانها بعض عبارات أمها التقليدية ، الموروثة أو المكتسبة ، فكان صاحبنا ينتفض لدى سماعها كالملسوع ٠٠ فيعود جرحه القديم الى النزف !

وفض سهرته مبكرا ، فحيا وخرج ٠٠ كمن يبغى الفرار من خطر داهم ٠٠ **لكن صورة الفتاة تبعته أينما سار ، وطاردته بالحاح ٠٠ فضاعفت من خفقات قلبه وألهبت دمه فى عروقه ! وبعد أن كان فى حضرة امرأتين ، لم يعد يرى غير واحدة ٠٠ شابة ! ان حبيبة الماضى قد عادت ، وانه ليحبها الآن كما لم يحبها قط من قبل ! يحبها بكل ما تبقى فى دمه من حرارة وفى كيانه من شباب ، بعد هدنة ربع قرن !**

وبلغ بيته أخيرا ، وكل همه أن يفكر فى الطارىء المزعج الرهيب الذى دهمه وهو أنعم ما يكون بالا ، وسكينة نفس ٠٠ ويتدبر ما سوف يفعل فى شأنه !؟

*

لكنه فيما كان يعبر الردهة الى غرفته ، حانت منـــه نظرة الى المرآة ، عن غير قصد ٠٠ المرآة التى تأمل فيها صـورته

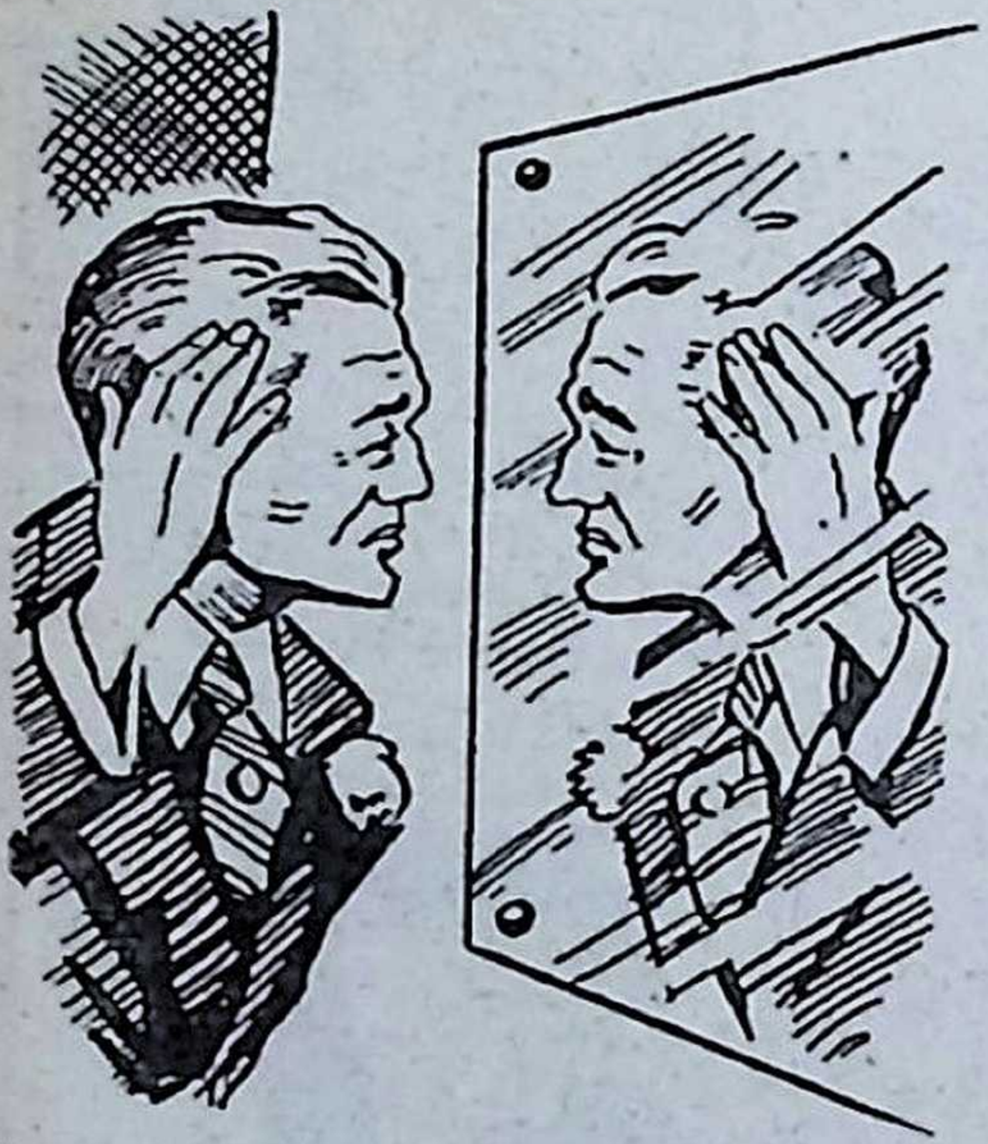

وأعجب بها فى بداية المساء ، قبيل ذهابه .. فاذا هو يرى على صقالها الآن رجلا قد وخط شعره المشيب ، يخالف تماما الشاب النضير الذى كانه منذ ربع قرن ، حين أحب سنية ، وأحبته ! .. وكأنما أنكر ما طالعته به المرآة ، فأدنى وجهه منها أكثر فأكثر ، وقد دهاه أن يتبين فى وجهه غضونا وتجاعيد مخيفة لم يكن قد تبينها من قبل ! .. فمر بأصابعه عليها فى وجل المشفق .. لكن الحقيقة كانت أوضح من أن يجدى فيها الانكار !

.. واذ ذاك تهالك على أقرب مقعد ، كمن انهارت قواه فجأة ، وغمغم والاسى يعصر فؤاده :

ـ لا فائدة ، يا عبد الرحمن ! لقد ولى الشباب .. الى غير رجعة !

عندما ترفع الستار..

روائع المسرح العالمى
(التمثيلى.. والغنائى)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

- خطايا الحب : لاوسكار وايلد
- نزاهة الحكم : جوجول
- سلاح المرأة : اريستوفان
- فولبون : بن جونسون
- جيوكندا : دانونزيو
- كلام الناس : جوزيه اشيجاراى
- مدرسة الفضائح : شيريدان
- سيرانو دى برجراك : روستان
- لعبة الحب والموت : رومان رولان
- مروحة الليدى وندرمير : وايلد
- فاوست : جيته
- أوديب الملك : سوفوكل
- فى سبيل الحب : جون درايدن
- وليم تل : شيللر
- الأم : مكسيم جوركى
- الملك يلهو : فيكتور هوجو
- الجنس الآلى : كاريل كابيك
- الابن الاكبر : جالزورثى
- هرنانى : فيكتور هوجو
- ترويض النمرة : شكسبير
- الحياة نفاق : لويجى بيراندللو
- اغلال الحب : ستيف باسير
- المنافق (طرطوف) : موليير
- بيت الليل : تييرى مونييه
- علموهم الحب ، روجيه فردينان
- زوج مثالى : أوسكار وايلد

واليوم اقدم لك هذه المسرحية الاخرى الخالدة للكاتب الساخر اوسكار وايلد

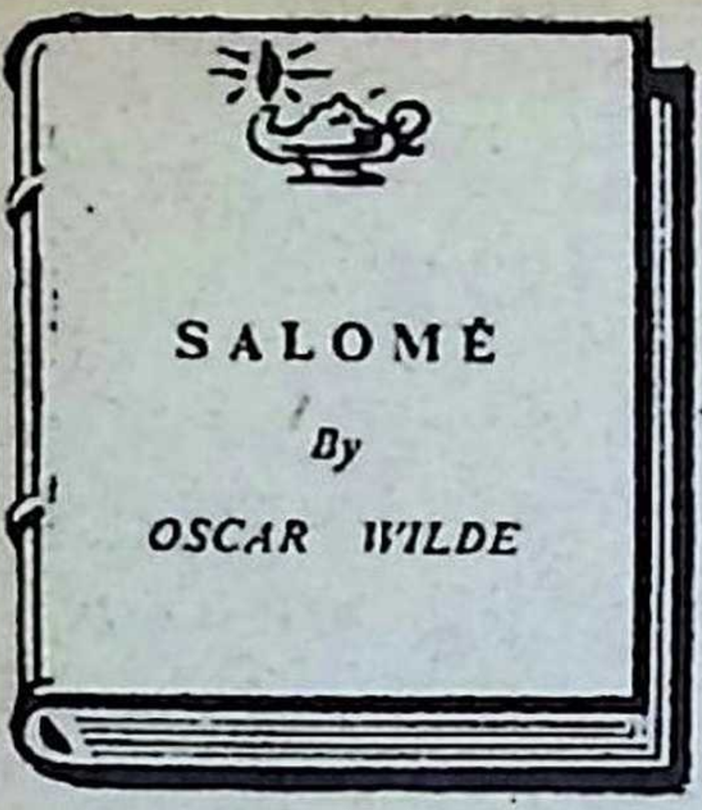

سالومي

المسرحية الخالدة لأوسكار وايلد

ترجمة : الاستاذ احمد عبد الحميد يوسف

هذه المـأساة !

سالومی !

الاسم الذی يرمز الى أكثر من مغـزى ، ومن معنى .. بل الى عشرات المعانی والعبر !

يرمز الى سطوة الغانية على الماجن الخليع .. وقبضة الزوجة على الزوج الضعيف .. وقسوة المراة على من يقف فی طريق اشباع شهواتهـا .. وانتقامها ممن يحاول هدايتها الى الطريق القويم ! .. بل يرمز الى استبسال الانبياء فی الدعوة الى عقائدهم .. وشجاعتهم فی تحدی الطغاة البغاة من الحكام وأصحاب السلطان والصولجان .. واستشهادهم فی سبيل كلمة الحق !.. كما يرمز الى ذلك الصراع الازلی بين صوت الهداية وصوت الضلال .. بين الطهر والاثم .. والفضيلة والرذيلة .. والعفة والخطيئة .. بل بين الايمان والكفران !

سالومی !

المراة التی وعدها الملك « هيرودس » بان يمنحها - اذا رقصت له ! - اية امنية تطلبها ، ولو الى نصف مملكته!.. فلما اجابته الى نزوته ، فرقصت له حتى انتشى ، لم تطالبه بنصف مملكته ، ولا بماله وكنوزه وجواهره .. بل نزلت عن كل ذلك فی نظير مطلب واحد : أن يمنحها راس النبی « يوحنا المعمدان » .. على طبق !

فالمسرحية التی أبدعها فن « أوسكار وايلد » - والتی أقدمها لك فيما يلی - لم تكن كلها من وحی خياله العبقری ، وانما كان لها أساس وسند من وقائع التاريخ . والتاريخ يحدثنا فی صدد مأساة « يوحنا المعمدان » - النبی الذی بشر بظهور المسيح - بأنه ولد فی احـدى بلدان ولاية (اليهودية) بفلسطين ، قبل مولد المسيح بستة أشهر .. ثم فقد والديه - زكريا واليصابات - فی طفولته الباكرة ، وحين شب عن الطوق عرض عليه أن يخلف أباه فی عمله ككاهن ، لكنه أبى ذلك .. وآثر أن ينطلق الى الصحراء ليفرغ الى تأملاته ويتعبد لربه كناسك .. وبعد سنوات بدأ يبشر بظهور المسيح ، « الذی لست أستحق أن أحل رباط حذائه ! » .. وفی تلك الاثناء كان يحكم (اليهودية) - نائبا عن امبراطور الرومان - حاكم يدعى هيرودس . وكان هيرودس قد صادف أثناء زيارته لروما زوجة أخيه « فيليبس » - وتدعى هيروديا - فراقت فی عينيه وأغراها بأن تترك زوجها - أخاه - وتصير زوجة له !.. وفی الوقت نفسـه طرد

هيرودس زوجته الاولى ـ وكانت ابنة أحد ملوك العرب ـ فما كان من أبيها الا أن شهر حربا ضد جيوش هيرودس وهزمها شر هزيمة !

وفاحت رائحة عدوان هيرودس على عرض أخيه وكرامته ، فراح « يوحنا المعمدان » يندد بهذا العدوان علانية فى الاسواق والمجامع ، ويهـاجم هيرودس وهيروديا فى كل مجال ، متهما اياهما على رؤوس الاشهاد بتهمة الزنا !.. وبلغت هذه الحملة مسامع الآثمين ، فتردد الحاكم فترة فى التصدى ليوحنا ، خوفا من اغضاب الجماهير التى كانت ملتفة حول النبى الشجاع .. لكن هيروديا ما لبثت أن ألبت زوجها عليه ، حتى زج به فى السجن ! ورغم ذلك ظل يوحنا يطلق من سجنه صيحات الاتهام للحاكم الباغى وزوجته الداعرة .. ثم كان ما كان من أحداث ، ساهمت فيهـا ـ بنصيب الاسد ـ الاميرة « سالومى » ابنة هيروديا من زوجها الاول « فيليبس » .. وهى الاحداث التى صاغها خيال أوسكار وايلد فى المأساة المسرحية الخالدة التى اقدمها لك فيما يلى .. ولعلك تعجب اذا علمت ان « وايلد » ـ وهو الاديب الانجليزى ـ قد آثر ان يكتب هذه المسرحية باللغة الفرنسية ، التى كان يتقنها كل الاتقان ، امعـانا منه فى أن يضفى عليهـا أقصى ما يستطيع من حرارة وشاعرية !

أشخاص الرواية

هيرودس (حاكم ولاية «اليهودية» بفلسطين القديمة)	*Herod*
يوحنا المعمدان (النبى الذى بشر بظهور المسيح)	*John the Baptist*
هيروديا (زوجة الحاكم هيرودس)	*Herodias*
سالومى (ابنة هيروديا من زوجها السابق)	*Salomé*
السورى الشاب : (قائد الحرس)	*The Young Syrian*
تيجيللينوس (شاب رومانى)	*Tigellinus*
تابع الملكة هيروديا	*Page of Herodias*
نعمان (الجلاد)	*Naaman*
فتى نوبى	*A Nubian*
الكبادوكى : رجل من رعايا مملكة (كبادوكيا)	*A Cappadocian*
الجندى الاول	*First Soldier*
الجندى الثانى	*Second Soldier*
عبد	*A Slave*
عبيد سالومى	*The Slaves of Salomé*
يهود وناصريون	*Jews, Nazarenes, etc.*

المنظر

❖ ساحة عظيمة فى قصر الحاكم هيرودس تقع فوق قاعة الولائم . بعض الجنود يتكئون على الشرفة • يظهر الى اليمين سلم هائل والى اليسار فى الجزء الخلفى صهريج قديم محوط بحائط ذى لون برونزى أخضر .. القمر ساطع

السورى الشاب : ما أجمل الأميرة سالومى هذه الليلة !

تابع الملكة هيروديا : أنظر الى القمر ! ما أغرب مايبدو القمر ، لكأنه امرأة تنهض من القبر ‥ امرأة ميتة ، تبحث عن أشياء ميتة !

السورى الشاب : ان له لنظرة غريبة ‥ وكأنه ، أميرة حسناء ترتدى نقابا أصفر ولها قدمان من فضة !‥ أو هو أشبه بأميرة قدماها يمامتان بيضاوان ‥ يخيل اليك حين تراها أنها كانت ترقص !

تابع هيروديا : انه مثل امرأة ميتة .. انه يتحرك فى بطء شديد !

الجندى الاول (وقد سمعت ضجة فى قاعة الولائم) : ما هذه الضجة ، ومن هؤلاء النابحون كوحوش الغابة ؟

الجندى الثانى : هم اليهود ، وانهم لكذلك دائما ، يتجادلون فى شئون دينهم ..

الجندى الأول : ولماذا يتجادلون فى شئون دينهم ؟

الجندى الثانى : لست أدرى ، وهم يفعلون ذلك دائما ، فالفريسيون مثلا يقولون بوجود الملائكة ، والصدوقيون يعلنون أن لا ملائكة هناك !

الجندى الأول : انها لمهزلة فيما أعتقد أن يجادلوا فى مثل هذه الأشياء

السورى الشاب : ما أجمل الأميرة سالومى الليلة !

تابع هيروديا : انك تنظر اليها دائما ، وتنظر اليها أكثر مما ينبغى ! ان من الخطر أن تنظر الى الناس بهذه الصورة ، والا حدث أمر مروع !

السورى الشاب : انها لجميلة جدا هذه الليلة !

الجندى الأول : أرى الحاكم يبدو مهموما ..

الجندى الثانى : اجل ، انه ليبدو كذلك !

الجندى الأول : وهو ينظر الى شىء ما ..

الجندى الثانى : بل ينظر الى « شخص » ما !

الجندى الأول : الى من ينظر

الجندى الثانى : لست استطيع الاجابة !

السورى الشاب : ما أشد شحوب الاميرة ‥ ما رأيتها شاحبة الى هذه الدرجة أبدا .. فهى تبدو كخيال وردة بيضاء فى مرآة من فضة !

تابع هيروديا : ينبغى ألا تنظر اليها ، فانت تنظر اليها كثيرا جدا !

الجندى الأول : لقد ملات هيروديا كأس الحاكم

الكبادوكى : أهذه هى الملكة هيروديا ، تلك التى تلبس تاجا أسود « مطرزا » باللآلىء ، والتى عفر شعرها بمسحوق أزرق ؟

الجندى الأول : أجل ، هذه هى هيروديا زوجة الحاكم

الجندى الثانى : ان الحاكم لشديد الولع بالنبيد ، وان عنده نبيذا من أنواع ثلاثة ، نوع جىء به من جزيرة (ساموترافيا) ، وهو أرجوانى فى لون عباءة قيصر ..

الكبادوكى : ما رايت قيصر أبدا

الجندى الثانى : ونوع آخر يأتى من مدينة يقال لها (قبرص) ، وهو اصفر كالذهب ..

الكبادوكى : انى لأحب الذهب

الجندى الثانى : والثالث نبيذ من (صقلية) .. وهذا أحمر كلون الدم ..

النوبى : ان آلهة بلادى مغرمون بالدم جدا . فنحن نضحى لهم مرتين فى كل عام بالشباب من الفتية والفتيات .. أجل ، بخمسين شابا ومائة فتاة ، ولكن يبدو اننا لا نقدم اليهم ما يكفيهم أبدا ، فانهم قساة علينا جدا !

الكبادوكى : اما فى بلادى فلم يعد هناك آلهة باقية . فقد طردهم الرومان .. ولكن البعض يزعمون أنهم قد اختفوا فى الجبال ، وان كنت لا أعتقد ذلك ، فقد أنفقت ثلاث ليال ابحث عنهم فى كل مكان فلم أعثر عليهم .. وأخيرا ناديتهم بأسمائهم فلم يجيئوا ، وانى لأظنهم ماتوا

الجندى الأول : اما اليهود فهم يعبدون الها لا تستطيع رؤيته !

الكبادوكى : لا أستطيع فهم هذا ..

الجندى الأول : الواقع أنهم لا يعتقدون الا فى أشياء لا تستطيع رؤيتها !

الكبادوكى : ذلك كله يبدو لى مضحكا ..

صوت النبى يوحنا : « سيأتى من بعدى آخر أقوى منى ، ولست أهلا لان أحل رباط حذائه ، وعندما يأتى سيعم الفرح الأماكن المنعزلة وستزدهر كالزنابق ، وسوف تبصر عيون العمى ضوء النهار ، وتتفتح آذان الصم .. ولسوف يضع الطفل الوليد يده على جحر الأفعى ويقود الأسود من أعرافها .. »

الجندى الثانى : اسكته ، فهو لا يتكلم الا هراء دائما !

الجندى الأول : لا لا ، انه رجل قديس ، وهو ايضا لطيف جدا ، فهو فى كل يوم يشكرنى عندما أقدم اليه الطعام ..

الكبادوكى : من هو ؟

الجندى الأول : نبى

الكبادوكى : ما اسمه ؟

الجندى الثانى : يوحنا

الكبادوكى : من أين أتى ؟

الجندى الاول : من البرية حيث كان يأكل جرادا وعسلا بريا ، وكان يكتسى بوبر الجمل ، ويحيط جذعه بحزام من جلد . لقد كان منظره مروعا، وقد اعتاد جمهور غفير من الناس أن يتبعوه ، بل ان له لأتباعا ومريدين !

الكبادوكى : عم يتحدث ؟

الجندى الاول : لست ادرى ، فهو يتحدث احيانا عن أشياء مخيفة ، ولكن من المحال فهم ما يقول !

الكبادوكى : هل لأحد أن يراه ؟

الجندى الاول : لا ، فقد حرم الحاكم ذلك

السورى الشاب : لقد أخفت الاميرة وجهها وراء مروحتها .. وها هى يداها ترتعشان كاليمام الذى يطير الى أعشاشه .. انهما أشبه ما تكونان بالفراش الابيض

تابع هيروديا : ماذا دهاك ، ولماذا تنظر اليها ؟ ينبغى الا تنظر اليها .. والا نزلت بك نازلة مروعة !

الكبادوكى (مشيرا الى الصهريج) : ما أعجبه من سجن !

الجندى الثانى : انه صهريج قديم

الكبادوكى : صهريج قديم ؟ لا بد أنه غير صحى

الجندى الثانى : آه ، لا ، فان أخا الحاكم مثلا ـ أخاه الاكبر والزوج الاول لهيروديا الملكة ـ قد سجن هناك اثنى عشر عاما ، ولم يؤد ذلك الى موته .. وفى نهاية السنين الاثنى عشر .. قتل خنقا

الكبادوكى : قتل خنقا ، من ذا الذى جرؤ على ذلك ؟

الجندى الثانى : **(مشيرا الى الجلاد وهو زنجى هائل)** : ذلك الرجل .. نعمان

الكبادوكى : ألم يخف ؟،

الجندى الثانى : آه ، لا ، فقد أرسل اليه الحاكم الخاتم

الكبادوكى : أى خاتم ؟

الجندى الثانى : خاتم الموت ، ولهذا لم يخف

الكبادوكى : ومع ذلك فانه لأمر فظيع أن يخنق ملك !

الجندى الاول : ولماذا ؟ ان لكل ملك من الملوك رقبة واحدة ، شأن سائر الناس !

الكبادوكى : انى لأحسب ذلك فظيعا

السورى الشاب : ها هى الاميرة تنهض وتغادر المائدة ٠٠ انها لتبدو مضطربة جدا ! آه ، هاهى آتية من هذه الناحية ٠٠ انها آتية نحونا ٠٠ ما أشد شحوبها ، ما رأيتها شاحبة كذلك أبدا !

تابع هيروديا : لا تنظر اليها ، أتوسل اليك الا تنظر اليها !

السورى الشاب : انها كاليمامة الضالة ٠٠ كالسمانة التى تضطرب فى الرياح ٠٠ انها كزهرة من فضة

(تدخل سالومى)

سالومى : لن أمكث ٠٠ لا أستطيع البقاء ! لماذا ينظر الحاكم الى طول الوقت بعينيه الشبيهتين بعينى النمس من تحت أجفانه المرتعشة ؟ من العجيب أن ينظر زوج أمى الى بهذا الشكل ! لست أدرى ماذا يعنى هذا ٠٠ بل ، نعم ٠٠ انى لأعلم فى الحقيقة !

السورى الشاب : أرى انك تركت الوليمة أيتها الاميرة ٠٠ ؟

سالومى : ما أحلى الهواء هنا ! انى أستطيع التنفس هنا ٠٠ أما فى الداخل فثمة يهود من أورشليم يمزقون بعضهم بعضا اربا من أجل طقوسهم المتضاربة ٠٠ وبرابرة يشربون ويشربون ويريقون نبيذهم على الأرض ٠٠ ويونانيون من أزمير لهم عيون مكحولة ، وخدود مصبوغة ، وشعر مجعد عقص فى لفائف مثناة .!٠٠ وثمة مصريون صامتون دهاة ، لهم أظافر طويلة وعباءات خضراء أو حمراء قاتمة ، وهناك رومانيون بما فيهم من وحشية وفظاظة ولهجة دارجة متعثرة ٠٠ آه ما أشد ما أمقت الرومان ، انهم فظاظ ، دهماء يتكلفون لأنفسهم مظهر النبلاء !

السورى الشاب : هل لك فى الجلوس أيتها الاميرة ؟

تابع هيروديا : لماذا تتحدث معها ؟ لسوف يقع أمر مروع ٠٠!

سالومى : ما أمتع النظر الى القمر ، كأنه قطعة صغيرة من النقود ، أو زهرة من فضة ٠٠ انه بارد لطيف ، وانى لعلى يقين من أنه بكر عفيف ، فله جمال العذراء ٠٠ أجل هو عذراء ، عذراء لم تفسد نفسها ٠٠ لم تترك نفسها للرجال كغيرها من الآلهات

صوت يوحنا : « لقد جاء الرب ٠٠ لقد جاء « ابن الانسان » ، واختفت الشياطين فى الانهار ، وهجرتها الجنيات ورقدت تحت أوراق الغابة ٠٠ »

سالومى : من هذا الذى يصيح ؟

الجندى الثانى : انه النبى أيتها الأميرة

سالومى : آه ، النبى ، ذلك الذى يخشاه الحاكم ؟!

الجندى الثانى : لسنا نعرف شيئا عن ذلك أيتها الأميرة ٠ انه النبى يوحنا ذلك الذى صرخ

السورى الشاب : هل يسرك أن يحضروا لك حشية أيتها الأميرة ؟٠٠ ان الليل لطيف فى الحديقة

سالومى : انه يقول أمورا فظيعة عن أمى ، أليس كذلك ؟

الجندى الثانى : لسنا نفهم ما يقول أبدا أيتها الأميرة

سالومى : أجل انه ينسب اليها أمورا فظيعة !

(يدخل عبد)

العبد : أيتها الأميرة ، ان الحاكم يرجوك العودة الى الوليمة

سالومى : لن أعود !

السورى الشاب : عفوا أميرتى ، ولكنك ان لم تعودى فقد يحدث مكروه ٠٠

سالومى : أهو رجل متقدم فى السن ذلك النبى ؟

السورى الشاب : أيتها الاميرة ، من الافضل أن تعودى ، سأنقل عليك بأن أقودك الى الداخل

سالومى : هذا النبى ٠٠ هل هو رجل مسن ؟

الجندى الأول : كلا أيتها الأميرة ، بل هو شاب فى عنفوانه

الجندى الثانى : لا يمكنك أن تعرف ، فان هناك من يقولون انه «ايليا» !

سالومى : من هو « ايليا » ؟

الجندى الثانى : نبى قديم جدا من هذا البلد أيتها الأميرة

العبد : أية اجابة أستطيع أن أعود بها الى الحاكم أيتها الأميرة ؟

يوحنـــا : « لا تفرحى يا أرض فلسطين ، لأن صولجان ذلك الذى تمعك قد تحطم ٠٠ لأن من بيضة الثعبان سوف يخرج الوحش ، وهذا الذى سوف يولد منه سوف يلتهم الطيور ٠٠ »

سالومى : ما أغربه من صوت ، وددت لو تحدثت اليه !

الجندى الأول : أخشى الا يكون ذلك ممكنا أيتها الأميرة ، فالحاكم لا يود أن يتحدث معه أحد ، بل لقد حرم ذلك حتى على الكاهن الأعظم !

سالومى : أحب أن أتحدث اليه

الجندى الأول : ذلك مستحيل أيتها الأميرة

سالومى : سوف أتحدث اليه !

السورى الشاب : الا يكون خيرا ان تعودى الى الوليمة ؟

سالومى : أحضر ذلك النبى !

(يخرج العبد)

الجندى الأول : لسنا نجرؤ أيتها الأميرة

سالومى (وهى تقترب من الصهريج وتنظر فى داخله) : ما أشد سواده !

لا شك أنه أمر فظيع أن يعيش المرء فى مثل هذه الهوة السوداء ٠٠ انها كالقبر ! (الى الجنود) الم تسمعونى ؟ أخرجوا النبى ، فانى أود أن أراه ٠٠

الجندى الثانى : أيتها الأميرة ، أتوسل اليك ألا تطلبى ذلك منا !

سالومى : هل تبقينى منتظرة ؟

الجندى الأول : أيتها الاميرة ، ان حياتنا ملك يمينك ، ولكنا لا نستطيع فعل ما طلبت منا ٠٠ والحق انه ليس منا نحن ينبغى أن تطلبى ذلك الامر !

سالومى (وهى تنظر الى السورى الشاب) : آه !

تابع هيروديا : أواه ، ماذا سوف يحدث ؟ انى لعلى يقين من أن شرا سوف يقع !

سالومى (وهى تتوجه الى السورى الشاب) : انك فاعل ذلك من أجلى ، أليس كذلك يا « نارابوت » ؟ سوف تفعل هذا الامر من أجلى ٠ لقد كنت دائما عطوفة عليك ، ولسوف تفعل ذلك من أجلى ! لست أريد الا أن أنظر الى هذا النبى الغريب ، فقد تحدث الناس عنه كثيرا ، وكثيرا ما سمعت الحاكم يتحدث عنه ٠ وانى لأظن الحاكم يخاف منه ! أتخاف أنت كذلك منه نارابوت ؟

السورى الشاب : لست أخافه أيتها الاميرة ، وما من انسان أخافه ، ولكن الحاكم قد حرم من قبل أن يرفع انسان غطاء هذا البئر !

سالومى : سوف تفعل ذلك من أجلى يا نارابوت ٠٠ وأعدك بأنى فى الغد، عندما أمر فى عربتى تحت بوابة باعة الاصنام ، سوف أرمى لك زهرة صغيرة ، زهرة صغيرة خضراء !

السورى الشاب : أيتها الاميرة ، لا أستطيع ، لا أستطيع

سالومى (مبتسمة) : سوف تفعل ذلك من أجلى يا نارابوت ٠٠ وانى فى الغد ، عندما أمر فى عربتى عند جسر شراة الاصنام ، سوف أنظر اليك من خلال نقابى الشفاف ٠٠ سوف أنظر اليك يا نارابوت ، وربما ابتسمت لك ! انظر الى يانارابوت ، انظر الى ٠٠ آه ، أنت تعلم أنك سوف تفعل ما أطلب منك ، انك تعرف ذلك جيدا ٠٠ أنا موقنة من انك ستفعل !

السورى الشاب (مشيرا الى الجندى الثالث) : دع النبى يأتى الى هنا ٠٠ فان الاميرة سالومى تريد رؤيته

سالومى : آه

تابع هيروديا : أوه ، ما اغرب ما يبدو القمر !٠٠ قد تحسبه يد امرأة ميتة تتحسس جسمها كى تتدثر بالكفن !

السورى الشاب : ان له منظرا غريبا ٠٠ لكأنه أميرة لها عيون من كهرمان ٠ ومن خلال نقاب السحاب يرسل نظراته كالأميرة الصغيرة

(يخرج النبى من الصهريج ، تنظر اليه سالومى ثم تتراجع الى الوراء)

يوحنا : « أين ذلك الذى طفح كأسه الآن بالمنكر ؟٠٠ أين ذاك الذى سوف يموت يوما وهو فى ثوب من فضة على ملأ من الناس جميعا ؟ مروه فليحضر الى هنا حتى يسمع صوت الذى صرخ فى الخرائب وفى قصور الملوك ٠٠ »

سالومى : عمن يتحدث ؟

السورى الشاب : لا يمكنك أن تفهمى منه أيتها الأميرة

يوحنا : « أين هذه التى نظرت الى صور الرجال مصورة على الجدران ، الى صور الكلدانيين مصورة بالالوان ، فوهبت نفسها لشهوة عينيها وأرسلت السفراء الى (كلديا) ٠٠ ؟ »

سالومى : انه يعنى أمى بالذى يقوله !

السورى الشاب : آه ، لا أيتها الأميرة

سالومى : نعم ، انه يعنى أمى بما يقول

يوحنا : « أين تلك التى وهبت نفسها لقواد (آشور) الذين يتمنطقون فى خصورهم ويضعون تيجانا مختلفة الالوان على رءوسهم ؟ أين تلك التى وهبت نفسها لشباب مصر الذين يرتدون الكتان الرقيق والثياب الارجوانية والذين اتخذوا لأنفسهم دروعا من ذهب وخوذات من فضة ، وأوتوا أجساما قوية ؟٠٠ مروها أن تنهض من فراش آثامها ، من فراش عهرها ، حتى تسمع كلام ذاك الذى يمهد طريق الرب ، وحتى تتوب من ذنوبها ٠٠ ولو أنها لن تتوب ، بل سوف تمعن فى آثامها !٠٠ مروها أن تأتى الى هنا فان سوط الرب فى يده »

سالومى : ولكنه مروع ، مخيف !

السورى الشاب : لا تمكثى هنا أيتها الأميرة ، أتوسل اليك

سالومى : بل ان عينيه ، أكثر من أى شىء ، هما المرعبتان ! انهما كثقبين محترقين بمشاعل فى ستار من نسيج مدينة صور ٠٠ انهما ككهفين من تلك الكهوف التى تسكنها الحيات ، كتلك التى تتخذها الافاعى فى مصر جحورا ٠٠ انهما كالبحيرات السوداء تضطرب بأقمار خيالية ٠٠ هل تظن أنه سيتكلم ثانية ؟

السورى الشاب : لا تبقى هنا أيتها الاميرة ، أتوسل اليك ٠٠ لا تبقى هنا !

سالومى : ما أشد نحوله ! انه كتمثال نحيل من العاج ، كشبح من الفضة ٠٠ انى واثقة من أنه لطيف كضوء القمر ، انه كشعاع القمر ، كعمود من فضة ٠ لا بد ان يكون لحمه باردا كالعاج ٠٠ فلأنظر اليه عن قرب !

السورى الشاب : لا ، لا أيتها الاميرة

سالومى : يجب أن أنظر اليه عن قرب

السورى الشاب : أيتها الاميرة ، أيتها الاميرة

يوحنا : « من هـــذه المرأة التى تنظر الى ؟ لن أدعها تنظر الى .. لماذا تنظر الى بعينيها الذهبيتين من تحت جفتيها الكحيلين ؟ لست أعرف من هى ولا أحب أن أعرف .. مروها أن تذهب ، فليس لى معها حديث ! »

سالومى : اننى « سالومى » ابنة « هيروديا » أميرة (اليهودية)

يوحنا : « ارجعى يا بنت بابل ، لا تقربى رسول الرب ، لقد ملأت أمك الارض بنبيذ آثامها ، ولقد صعدت صيحات ذنوبها فبلغت أسماع الله .. »

سالومى : أعد الحديث يا يوحنا ، فان صوتك خمر لنفسى !

السورى الشاب : أيتها الاميرة ، أيتها الاميرة .. أيتها الاميرة !

سالومى : أعد الحديث ، أعد الحـديث يا يوحنا وأخبرنى بالذى يجب أن أفعله !

يوحنا : يا بنت (سدوم) ، لا تقتربى منى ، بل احجبى وجهك بنقـاب وانثرى رمادا على رأسك ، ثم اذهبى الى البرية وابحثى عن ابن الانسان ..

سالومى : من هو ابن الانسان ، أهو جميل مثلك يا يوحنا ؟

يوحنا : قفى من ورائى ، فانى أسمع فى القصر ضربات جناحى ملك الموت !

السورى الشاب : أيتها الاميرة ، أتوسل اليك أن تدخلى !

يوحنا : يا ملاك الرب ، ماذا تفعل هنا بسيفك ؟ عمن تبحث فى ذلك القصر النجس ؟ ان أجل ذلك الذى سوف يموت فى ثوب من فضة لم يحن بعد ..

سالومى : يوحنا

يوحنا : من ذا الذى يتكلم ؟

سالومى : يوحنا ، انى لمشغوفة حبا بجسدك .. أن جسدك لناصع كزهور الزنبق فى حقل برى لم يحصده حاصد .. ان جسدك أبيض كالثلوج التى تجثم على الجبال ، كالثلوج التى تجثم على جبال اليهودية وتنحدر الى بطـن الوادى .. ان الورود فى حديقة ملكة اليمن ليست فى بياض جسـدك ! وليست مثله الورود فى بستان تلك الملكة ، البستان المعطر بالزهور .. ولا مثله أقدام الفجر عندما تخطو فتضىء أوراق الشجر ، ولا صدر القمر عندما يحنو فيرقد على صدر البحر .. لا شىء فى العالم فى بياض جسـدك ! دعنى ألمسه !

يوحنا : ارجعى يا بنت بابل ، فعن طريق المرأة جاء الشر الى الدنيـا .. لاتخاطبينى ، ولن أسمع لك ، انما أسمع فقط لله

سالومى : ان جسدك لمخيف ، انه كجسـد الأبرص ، انه كحائط مبيض زحفت عليه الأفاعى ، كحائط عششت فيه العقارب ، كضريح حافل بنفايات

كريهة ! ٠٠ ان جسدك لفظيع ، وان ما اشتعلت حبا فيه لهو شعرك يايوحنا ٠٠ ان شعرك كعناقيد العنب ، كعناقيد من عنب أسود يتدلى من كروم أرض الأدوميين ٠٠ ان شعرك كأرز لبنان ، كأرز لبنان الضخم الذى يورف الظل للأسود واللصوص الذين يودون الاختفاء بالنهار!٠٠ وان الليالى السود الطويلة التى يخفى فيها القمر وجهه وتخاف النجوم ، ليست فى سواده ٠٠ ولا الصمت الذى يسود الغابات فى عمق سواد شعرك ٠٠ ليس فى العالم شىء فى سواد شعرك ٠ دعنى ألمسه !

يوحنا : ارجعى يا بنت (سدوم) ، لا تلمسينى ٠٠ فليس معبد الاله رجسا

سالومى : ان شعرك لفظيع ، فهو مغطى بالوحل والتراب ٠٠ انه كتاج من الشوك وضعوه فوق جبينك ٠٠ انه كعقدة من الافاعى تتلاعب حول عنقك ، لست أحب شعرك٠٠ ان فمك هو ما أريده يايوحنا ! فمك الذى يشبه العقيق ٠٠ انه مثل رمانة قطعت بسكين من عاج ٠٠ ان زهور الرمان التى تزدهر فى بساتين (صور) والتى هى أشد حمرة من الورد ، لا تدانى فمك فى احمراره ٠٠ والابواق الحمراء التى تعلن مقدم الملوك وتخيف الاعداء ، ليست قرمزية مثله ٠٠ بل انه لأشد احمرارا من أقدام أولئك الذين يعصرون النبيذ بأقدامهم فى معاصر النبيذ !٠٠ ومن أقدام اليمام الذى يسكن المعابد ويطعمه الكهان ٠٠ وهو يشبه « غصنا » من المرجان وجده الصيادون فى قاع البحر ، ذلك المرجان الذى هو زينة الملوك ! ٠٠ ان فمك مثل قوس عاهل الفرس ، المطلى بالقرمز ، والمطعم أعلاه بالمرجان ٠٠ لا شىء فى الدنيا فى مثل احمرار فمك ٠٠ دعنى أقبل فمك !

يوحنا : لا يابنت بابل ، يا بنت (سدوم) ، لا !

سالومى : سأقبل فمك يايوحنا ، سأقبل فمك !

السورى الشاب : أيتها الاميرة ، أيتها الاميرة ،٠ لا تنظرى الى هذا الرجل ، لا تنظرى اليه ٠٠ لا تكلميه بمثل هذه الالفاظ ، فما أستطيع احتمالها ٠٠ أيتها الاميرة ٠٠ أيتها الاميرة ، لا تتفوهى بمثل هذه الاشياء !

سالومى : سأقبل فمك يا يوحنا !

السورى الشاب : آه !

(يقتل نفسه ٠٠ ويسقط بين سالومى ويوحنا !)

تابع هيروديا : لقد قتل السورى الشاب نفسه ، لقد قتل السورى الشاب نفسه ، لقد قتل القائد الشاب نفسه ، قتل نفسه ذاك الذى كان صديقى ٠٠ لقد أعطيته صندوقا صغيرا من العطر وقرطا مطعما بالفضة ، والآن ، هاهو

قد قتل نفسه ! آه ، الم يكن على حق حين تكهن بوقوع هذا الشر ؟ أنا أيضا تكهنت به ٠٠ وقد وقع ! لقد قدرت أن القمر كان يبحث عن ضحية ، لكنى لم أكن أقدر أن صديقى سيكون هو الضحية ٠٠ آه ، لم لم أخفه عن القمر ؟٠٠ لو أنى أخفيته فى كهف لما رآه القمر !

الجندى الاول : أيتها الاميرة ، لقد قتل القائد الشاب نفسه ٠٠

سالومى : دعنى أقبل فمك يا يوحنا !

يوحنا : الست خائفة يا بنت هيروديا ؟ ألم أقل لك انى سمعت فى القصر خفقات أجنحة ملاك الموت ؟ أو لم يأت ملاك الموت فعلا ؟

سالومى : دعنى أقبل فمك !

يوحنا : يابنت الزنا ، لا منقذ لك الا واحد ، هو ذلك الذى اتحدث عنه ٠٠ اذهبى وابحثى عنه ، انه فى زورق فى بحر الجليل يتحدث مع حوارييه ٠٠ اركعى على شاطىء البحر وناديه باسمه ، وحين يقبل عليك ـ وهو لكل من يدعوه مجيب ـ اركعى عند قدميه واسأليه الغفران عن ذنوبك !

سالومى : دعنى أقبل فمك !

يوحنا : الا عليك اللعنة يابنت الزانية ٠٠ عليك اللعنة !

سالومى : سأقبل فمك يا يوحنا !

يوحنا : اننى لا أريد النظر اليك ، لن أنظر اليك ٠٠ انك ملعونة يا سالومى، انك ملعونة ٠٠

(يهبط الى سجن الصهريج)

سالومى : سأقبل فمك يايوحنا ، سأقبل فمك !

الجندى الاول : ينبغى أن نحمل الجثة الى مكان آخر ٠ ان الحاكم لا يعنيه النظر الى الجثث الميتة ٠٠ فيما عدا أولئك الذين يقتلهم بنفسه !

تابع هيروديا (مستمرا فى رثاء صديقه) : لقد كان أخى وأقرب الى من أخى ٠٠ أعطيته صندوقا صغيرا مليئا بالعطور وخاتما من العقيق كان يلبسه فى يده دائما، وكانت عادتنا أن نمشى سويا فى الغروب على ضفة النهر بين أشجار اللوز ، فيحدثنى بأخبار بلاده ٠٠ وكان حديثه دائما فى صوت هادىء ٠٠ لقد كانت أنغام صوته كأنغام الناى بالنسبة لعازف الناى ! وكان كثيرا ما يحب النظر الى نفسه فى صفحة النهر ، وكثيرا ما كنت ألومه على ذلك ٠٠

الجندى الثانى : انك على حق ٠ يجب أن نخفى الجثة ، فما ينبغى أن يراها الحاكم

الجندى الاول : لن يأتى الحاكم الى هذا المكان ، فهو لا يأتى الى الساحة أبدا ٠ أنه شديد الفزع من النبى !

(يدخل هيرودس وهيروديا وسائر رجال البلاط)

هيرودس : أين سالومى ، أين الاميرة ؟ لم تعد الى الوليمة كما أمرتها ؟ آه هاهى ذى ..

هيروديا : ينبغى أن لا تنظر اليها ، انك دائم النظر اليها !

هيرودس : ان للقمر مظهرا عجيبا الليلة ، أليس كذلك ؟ لكأنه امرأة مجنونة ، امرأة مجنونة تبحث دائما عن العشاق .. وهى عارية أيضا ، عارية تماما ! .. والغيوم تحاول أن تستر عريها ، لكنها لن تمكن الغيوم من ذلك ! ألا ترون كيف يبدو القمر عاريا فى السماء وهو يتدحرج من خلال السحب كأنه امرأة سكرى ، تبحث عن العشاق ؟

هيروديا : لا ، بل ان القمر يبدو قمرا ! ذلك كل شىء ، دعنا ندخل .. فليس لك ما تفعله هنا !

هيرودس : سأبقى هنا ! يا «منسى» ، افرش سجاجيد هنا وأضىء المشاعل، وهات موائد العاج وموائد اليشب . ان النسيم هاهنا عذب ، وستزداد شهيتى للخمر هنا مع ضيوفى .. ينبغى علينا أن نظهر كل تجلة وتكريم لسفراء قيصر !

هيروديا : ليس من أجلهم هم تريد البقاء هنا !؟

هيرودس : بل من أجلهم .. ان الهواء هنا لذيذ ، تعالى ياهيروديا ، فان ضيوفنا ينتظروننا . آه ، لقد انزلقت ، انزلقت قدماى فى دماء ! انه فأل سىء ، فأل سىء جدا ! ما مصدر هذا الدم هنا ؟ .. وهذه الجثة ، ماذا تفعل هذه الجثة هنا ؟ أتحسبوننى مثل ملك مصر الذى لا يقدم الى ضيوفه مأدبة ، وانما يريهم جثة ؟ .. لمن هذه ؟ لن أنظر اليها ..

الجندى الاول : انه قائدنا يامولاى ، انه السورى الشاب الذى عينته قائدا منذ ثلاثة أيام فقط ..

هيرودس : ولكنى لم أصدر أوامر بقتله !

الجندى الثانى : لقد قتل نفسه يامولاى

هيرودس : لاى سبب ؟ لقد جعلته قائدا !

الجندى الثانى : لسنا نعرف يامولاى ، الا أنه قتل نفسه ..

هيرودس : يبدو لى ذلك غريبا ! لقد كنت أظن أن فلاسفة الرومان وحدهم هم الذين يقتلون أنفسهم .. أليس صحيحا ياتيجيللينوس أن الفلاسفة فى روما يقتلون أنفسهم ؟

تيجيللينوس : هناك طائفة منهم يقتلون أنفسهم يا مولاى ، وهم الرواقيون،

انهم قوم خشنون ، وان كنت أنا شخصيا أنظر اليهم على أنهم مضحكون الى حد بعيد ..

هيرودس : كذلك أفعل أنا .. فان من المضحك أن يقتل المرء نفسه !

تيجيللينوس : ان كل انسان فى روما يضحك منهم ، ولقد كتب الامبراطور فيهم هجاء يروى فى كل مكان !

هيرودس : آه.. كتب فيهم هجاء ؟ ان قيصر رجل قدير على كل شيء !.. حقا ان من العجيب أن يقتل السورى الشاب نفسه ، وانى لآسف على ذلك، آسف جدا ، فقد كان حسن الهيئة للناظرين ، بل لقد كان لطيفا أيضا ، وكانت له عينان حالمتان – وانى لأذكر أنه كان ينظر كثيرا الى سالومى ، وفى هيام !

هيروديا : هناك آخرون ينظرون اليها ، أكثر مما ينبغى !

هيرودس : كان والد ذلك السورى ملكا ، فطردته من مملكته .. وجئت أنت يا « هيروديا » فجعلت أمه الملكة من السبايا .. ولذلك اعتبرت ذلك الفتى ضيفا عندى ، كما كان ينبغى ، ولهذا السبب جعلته فيما بعد قائدا . لكم أنا آسف لموته .. أوه ، لماذا تركتم الجثة هنا ؟ لن أنظر اليها ، احملوها بعيدا (**يحملون الجثة بعيدا**) ان الجو بارد هنا وثمة ريح تعصف ، أليس كذلك ؟

هيروديا : كلا ، لا ريح هناك ..

هيرودس : أقول ان هناك ريحا تعصف ، وانى لأسمع فى الهواء شيئا كأنه ضربات أجنحة هائلة .. ألا تسمعين ؟

هيروديا : لست أسمع شيئا !

هيرودس : لم أعد أسمعها .. ولكنى سمعتها منذ قليل ، لقد كان ذلك عصف الريح ولا شك .. ولكنها مرت وابتعدت . كلا ، بل انى أسمعها مرة أخرى .. ألا تسمعينها ؟ انها كضربات الاجنحة تماما !

هيروديا : قلت لك ما من شيء هناك ، انك مريض .. دعنا ندخل

هيرودس : لست مريضا ، بل ان ابنتك هى المريضة ، ان عليها أعراض المرض ، ما رأيتها من قبل بهذا الشحوب !

هيروديا : لقد طلبت منك ألا تنظر اليها !

هيرودس : صبوا لى نبيذا (**أحضر النبيذ**) .. سالومى ، تعالى اشربى شيئا من النبيذ ، انه نبيذ ممتاز – أرسله قيصر نفسه الى ! – فلتضعى فيه شفتيك الصغيرتين الحمراوين حتى أعب الكأس !

سالومى : لست ظمآنة أيها الحاكم

هيرودس : أتسمعين كيف تجيبنى ابنتك ؟

هيروديا : انها على صواب . فيم تحملق اليها دائما ؟

هيرودس : الى بالفاكهة الناضجة (**يؤتى له بالفاكهة**) .. سالومى ، تناولى شيئا من الفاكهة معى ، فانى أحب أن أري فيهـا آثار أسنانك الصغيرة ، لا تقضمى الا قطعة صغيرة من هذه الفاكهة ، وسآكل الباقى بعد ذلك

سالومى : لست جائعة أيها الحاكم

هيرودس (**الى هيروديا**) : أرأيت كيف ربيت ابنتك ؟

هيروديا : لقد انحدرت ابنتى كما انحدرت أنا من سـلالة ملكية ، أما أنت فقد كان أبوك حاديا للابل ، كما كان لصا أيضا !

هيرودس : انك لتكذبين !

هيروديا : بل انك لتعلم جيدا أنه الحق !

هيرودس : سالومى ، تعالى واجلسى الى جانبى ، فلســوف أمنحك عرش أمى !

سالومى : لست متعبة أيها الحاكم

هيروديا : أرأيت مقدار تقديرها لك ؟

هيرودس : احضروا لى ـ آه ما هذا الذى أريد ؟ ـ لقد نسيت ! آه ، آه ، تذكرت ...

صـوت يوحنا : « لقد آن الاوان ، ان ما تنبأت به قد آن أن يقع ، ذلك ما قاله السيد الرب . اليوم الذى تحدثت عنه ... »

هيروديا : مره فليسكت ، لست على استعداد لان أسمع صوته . ان هذا الرجل يكيل لى السباب دائما !

هيرودس : لم يقل شيئا فيك ، وفضلا عن ذلك فهو نبى عظيم

هيروديا : لست أومن بالانبياء ، أيستطيع انسان أن يتحدث بمـا سوف يكون ؟ ما من انسان يعرف ذلك ، وفضلا عن هذا فهو دائم السباب لى .. ولكنى أظنك خائفا منه ؟!

هيرودس : لست خائفا منه ، ولست أخاف انسانا !

هيروديا : أقول لك انك تخافه .. فان لم تكن تخـافه فلم لا تسـلمه لليهود ، أولئك الذين ظلوا طوال هذه الشهور الستة الماضية يصرخون فى طلبه ؟!

يهودى : حقا يا مولاى ، كان خيرا أن تسلمه لايدينا !

هيرودس : كفى حديثا فى هذا الموضوع ، فلقد أعطيت لكم من قبل جوابى : لن أسلمه لأيديكم ، انه رجل قديس !

صوت يوحنا : « وهكذا حل اليوم ، يوم الرب ، وانى لأسمع من فوق الجبال صدى أقدامه ، ذلك الذى سيكون مخلص العالمين .. »

هيرودس : ماذا يعنى هذا بقوله « مخلص العالمين » ؟

تيجيللينوس : انه لقب يتخذه قيصر !

هيرودس : ولكن قيصر لن يأتى الى أرض اليهودية ، فقد تسلمت بالامس فقط رسائل من روما ليس فيها ما يشير الى هذا الامر !.. وانت ايضا يا تيجيللينوس ـ وقد كنت فى روما أثناء الشتاء ـ لم تسمع شيئا من هذا القبيل ، أليس كذلك ؟

تيجيللينوس : مولاى ، ما سمعت شيئا من ذلك وانما كنت أشرح اللقب ، وهو أحد القاب قيصر

هيرودس : ولكن قيصر لا يستطيع المجىء ، فهو مريض بالنقرس ، بدرجة لا تمكنه من ذلك ! يقولون ان أقدامه صارت كأقدام الفيل ، وفضلا عن ذلك فان هناك أسبابا أخرى تمنعه ، تتعلق بسياسة الدولة .. ذلك أن من يترك روما ، يفقد روما ! لذلك فهو لن يأتى ! ومهما يكن من شىء فان قيصر هو السيد ، ولسوف يأتى اذا شاء ... ومع ذلك فما أظنه يجىء ..

الناصرى الاول : ليس عن قيصر يتحدث النبى بهذه الكلمات يا مولاى !

هيرودس : عمن اذن يتحدث ؟

الناصرى الاول : عن المسيح الذى جاء

يهودى : ان المسيح لم يأت بعد !

الناصرى الاول : بل لقد جاء ، وهو فى كل مكان يصنع المعجزات !

هيروديا : ها ، ها ، المعجزات ! اننى لا أومن بالمعجزات .. لقد رأيت كثيرا منها (**الى تابعها**) .. الى بمروحتى !

الناصرى الاول : ذلك الرجل يصنع معجزات صادقة ، من ذلك انه أثناء عرس أقيم فى مدينة صغرى من مدن الجليل ، أحال الماء نبيذا ! ـ وقد قص على ذلك بعض من كانوا حاضرين ـ كما أنه شفى ابرصين كانا جالسين أمام باب (كفر ناحوم) ، بأن لمسهما بكل بساطة !

الناصرى الثانى : كلا بل كانا رجلين ضريرين ، ذينك اللذين شفاهما فى (كفر ناحوم) !

الناصرى الاول : بل ابرصين ، ولكنه مع ذلك قد شفى عميانا أيضا ، ولقد شوهد على الجبل وهو يتحدث مع الملائكة !

صدوقى : الملائكة غير موجودين !

فريسى : بل ان الملائكة موجودون ، ولكني لا أصدق أن هذا الرجل قد تحدث اليهم !

الناصرى الاول : لقد شوهد وسط جمهور عظيم من الناس يتحدث مع الملائكة !

صدوقى : لم يكن ذلك مع ملائكة ..

هيروديا : ما أشد ما يرهقنى هؤلاء الرجال بجدلهم ، انهم سخفاء **(الى تابعها)** حسنا ، هات مروحتى **(يناولها التابع المروحة)** انك سجين أحلامك ، يجب ألا تستسلم للاحلام ،انما يحلم المرضى فقط **(تضرب التابع بمروحتها)**

الناصرى الثانى : وهناك كذلك معجزة ابنة (يايرس) ..

الناصرى الاول : أجل ، هذا أكيد ، وما يستطيع انسان أن يجحدها !

هيروديا : هؤلاء قوم مجانين ، لقد أطالوا النظر الى القمر أكثر مما ينبغى، مرهم أن يسكتوا !

هيرودس : وما هى معجزة ابنة يايرس ؟

الناصرى الاول : كانت ابنة يايرس قد ماتت ، فأحياها من بين الموتى !

هيرودس : يحيى الموتى ؟

الناصرى الاول : نعم يا مولاى ، يحيى الموتى !

هيرودس : لست أحب منه أن يفعل ذلك ، بل انى أمنعه من فعله ، فلست آذن لانسان أن يحيى الموتى ! يجب البحث عن ذلك الرجل وابلاغه انى أمنعه من احياء الموتى !.. وأين هو فى الوقت الحاضر ؟

الناصرى الثانى : انه فى كل مكان يا مولاى ، ولكن من الصعب أن نجده !

الناصرى الاول : يقال انه الآن فى (السامرة) ..

يهودى : من اليسير اذن أن نعلم أنه ليس المسيح ما دام هو الآن فى السامرة ، ذلك أن المسيح لا يبعث للسامريين .. لأنهم ملعونون ، وهم لا يقدمون القرابين الى المعبد .. الخ

الناصرى الثانى : لقد رحل عن السامرة بالفعل منذ أيام قلائل ، وانى لاظنه الآن فى أورشليم

الناصرى الاول : كلا ، انه ليس هناك ، فانى مقبل من أورشليم توا .. وقد مضى الآن شهران وهم لا يعرفون من أنبائه شيئا !

هيرودس : لا أهمية لذلك ، ولكن دعهم يجدونه ويخبرونه من قبلى بأنى لن أسمح له باحياء الموتى !.. أما أن يحيل الماء نبيذا أو يشفى البرص والعمى ، فان له أن يفعل ذلك اذا شاء ، فلست أملك اعتراضا على هذه الامور ، بل فى الحق انى أعتبرها أفعالا طيبة ، ويسرنى أن يشفى الابرص، ولكنى لا أسمح لانسان أن يحيى الموتي ! فانه لأمر فظيع أن يعود الموتي جميعا الي الحياة !

صوت يوحنا : « آه من الخليعة ، العاهرة ، ابنة بابل ، بعينيها الذهبيتين وجفنيها الكحيلين ·· هذا ما يقوله الله مولانا : فليجتمع عليها جمع من الناس ، وليأخذ القوم الحجارة فيرجموها »

هيروديا : مره فليسكت !

صوت يوحنا (مستطردا) : ألا دع قادة الحرب يمزقون العاهرة ، دعهم يسحقونها تحت دروعهم ! »

هيروديا : لا ، لا ، انه لعار !

صوت يوحنا : « ·· كذلك سوف أزيل الآثام كلها من الارض ، وسوف يتعلم الناس الا يقلدوا الفاجرة فى آثامها ! »

هيروديا : أما تسمع ما يقوله فى ، أتسمح له بتلطيخ زوجتك ؟

هيرودس : انه لم ينطق باسمك !

هيروديا : وما قيمة ذلك ؟ انك تعلم جيدا انه انما يقصدنى أنا بالتلطيخ والتشهير ، وأنا زوجتك ، ألست كذلك ؟

هيرودس : من المحقق يا عزيزتى النبيلة أنك زوجتى ، وقبل ذلك كنت زوجة أخى !

هيروديا : انك انت الذى انتزعتنى من بين ذراعيه !

هيرودس : الواقع اننى كنت الاقوى ·· ولكن دعينا من الحديث فى هذا الموضوع ، فلست أود الخوض فيه ، لأنه كان السبب المباشر فى تلك الالفاظ المروعة التى تنطلق من فم هذا النبى !·· وقد ترتب على ذلك مصيبة كبرى ·· فدعينا نكف عن الخوض فى هذا الحديث !·· أيتها النبيلة هيروديا ، اننا غير منتبهين لضيوفنا ، اترعى كأسى يا حبيبتى ، أترعى بالنبيذ كئوس الفضة الكبرى وكئوس الزجاج ، فسوف نشرب نخب قيصر ·· ان عندنا هنا رومانيين ، فيجب أن نشرب نخب قيصر ··

الجميع : قيصر ، قيصر !

هيرودس : أما ترين ابنتك ؟ ما أشد شحوبها !

هيروديا : مالك ولهذا ، ان كانت شاحبة أم غير شاحبة ؟

هيرودس : ما رأيتها بهذا الشحوب من قبل !

هيروديا : عليك ألا تنظر اليها !

صوت يوحنا مستطردا : « ·· فى ذلك اليوم سوف تسود السماء كأثواب الحداد ، وسيصير القمر كالدم ، وتسقط نجوم السماء على الارض كما يتساقط التين الناضج من أشجار التين ·· وسينزل الرعب بقلوب ملوك الارض !

هيروديا : آه ، آه ، وددت لو رأيت هذا اليوم الذى يتحدث عنه ، حين

يصبح القمر كالدم وحين تتساقط النجوم على الارض كالتين الناضج .. ان هذا النبى يتكلم كما يتكلم الثمل المخمور !.. اننى لا أستطيع احتمال دوى صرخاته ، بل أمقت صوته .. مره فليصمت !

هيرودس : لن أفعل ، فلست قادرا على فهم هذا الذى يقوله ، وربما كان ذلك فألا حسنا !

هيروديا : لست أومن بالفأل ، لكنه يتكلم كرجل مخمور !

هيرودس : ربما كان ثملا بخمر الله ..

هيروديا : أى خمر هذه ، خمر الله ؟ ومن أى كروم تجمع ، وفى أى معاصر نجدها ؟

هيرودس (وهو ينظر طوال الوقت الى سالومى) : يا تيجيللينـوس : عندما كنت فى روما أخيرا ، هل تحدث معك الامبراطور فى شأن ..؟

تيجيللينوس : فى أى شأن يا مولاى ؟

هيرودس : فى أى شأن ؟ آه ، لقد سألتك سؤالا - ألم أفعل ؟ - ولكنى نسيت فيم كنت ابغى سؤالك !

هيروديا : لقد عدت تنظر الى ابنتى ، يجب عليك الا تنظر اليها .. لقد قلت ذلك من قبل !

هيرودس : انك لا تقولين شيئا آخر

هيروديا : واقولها ثانية !

هيرودس : وعن ترميم المعبد ، ذلك الذى أطالوا فيه الحديث ، هـل يفعلون شيئا ؟.. لقد قالوا ان حجاب المذبح قد اختفى ، ألم يقولوا ذلك ؟!

هيروديا : انك أنت الذى سرقته بنفسك ،وقد قلت ذلك عرضا ! لن ابقى هنا ، دعنا ندخل ..

هيرودس : أرقصى لى يا سالومى ..

هيروديا : لن اسمح لها بالرقص !

سالومى : ليست بى رغبة فى الرقص ايها الحاكم

هيرودس : سالومى ، يا بنت هيروديا : ارقصى لى !

هيروديا : دعها وشأنها ..

هيرودس : اننى آمرك بالرقص يا سالومى !

سالومى : لن أرقص أيها الحاكم

هيروديا (ضاحكة) : ارايت كيف تطيعك ؟!

هيرودس : وما شأنى ، رقصت أم لم ترقص ؟ ذلك شىء لا وزن له بالنسبة لى .. انى سعيد هذه الليلة ، سعيد جدا ، لم أكن في حياتي سعيدا كما أنا اليوم !

الجندى الاول : ان الحاكم يبدو مهموما ، أليس كذلك ؟

الجندى الثانى : أجل ان نظرته توحى بذلك !

هيرودس (مستطردا) : ولم لا أكون سعيدا ، وها هو قيصر سيد العالم ، وسيد كل شيء ، يحبنى حبا جما .. ويغمرنى بأثمن الهدايا ؟ بل لقد وعدنى بأن يستدعى الى روما غريمى ملك (كبادوكيا) ، وربما انتوى أن يصلبه هناك - فهو قادر على أن يفعل ما يشاء ! - حقا ان قيصر هو السيد ، ولذلك فأنتم ترون أن من حقى أن أكون سعيدا ، ولا شيء فى الدنيا يعوق سعادتى !

صوت يوحنا : « .. لسوف يجلس على ذلك العرش ، ويلبس الاحمر والارجوانى ، وفى يده سوف يحمل كأسا من الذهب يطفح بآثامه .. ولسوف يضربه ملاك الرب فيصبح طعما للديدان ! »

هيروديا : أتسمع ما يقوله فيك ؟ انه يقول انك ستكون طعما للديدان !

هيرودس : انه لا يعنينى ، انه لا يتكلم أبدا ضدى ، وانما يتكلم عن ملك (كبادوكيا) عدوى .. انه هو الذى سوف يكون طعما للديدان ، وليس أنا ! .. فانه لم يحدث أبدا أن قال هذا النبى كلمة ضدى ، فيما عدا اننى أثمت باتخاذ زوجة أخى زوجة لى !.. وربما كان على حق ، وكنت قد أخطأت ، فانك على أية حال .. عقيم !

هيروديا : أنا عقيم ؟ أتقول ذلك أنت ، يا من تنفق حياتك ناظرا الى ابنتى .. انت يا من تريدها أن ترقص من أجل متعتك ؟ ما أسخف قولك هذا ، فلقد ولدت أنا طفلة على الاقل ، أما أنت فلم تنجب أى طفل ، لا ولا حتى من احدى جواريك !.. انك أنت العقيم اذن لا أنا !

هيرودس : اهدئى يا امرأة !.. لقد قلت انك عقيم ، فأنت لم تلدى لى طفلا ، والنبى يقول ان زواجنا غير صحيح شرعا ، أى انه زواج حرام ، زواج سوف يأتى بالشرور !.. وانى لأخشى أن يكون صادقا .. بل انى لعلى يقين من انه صادق ، ومع ذلك فليست هذه باللحظة التى نتحدث فيها فى مثل تلك الامور .. فمن الخير ان أكون سعيدا فى اللحظة الراهنة ، ومن المحقق اننى سعيد ، فليس ينقصنى شيء !

هيروديا : يسرنى أن تكون طيب المزاج الليلة ، فليس ذلك من عادتك ، ولكن الوقت متأخر الآن .. دعنا ندخل ، ولا تنس أننا سوف نخرج للصيد عند شروق الشمس ، ينبغى أن نظهر كل ضروب التجلة والاحترام لسفراء قيصر ، أليس كذلك ؟

الجندى الثانى : ما أنجع المظهر الذى يغشى وجه الحاكم !

الجندى الاول : أجل ، ان طابع حزن مفرط يغشى وجهه !

هيرودس : سالومى ، سالومى ، ارقصى لى ، أتوسل اليك أن ترقصى لى .. انى محزون الليلة !.. أجل ، فعندما جئت الى هنا فى أول الليل ، انزلقت قدماى فى دماء .. وهو فأل سيىء !.. ولقد سمعت فى الهواء ضربات أجنحة هائلة ، ولست أدرى ماذا تعنى ، لكنى محزون الليلة .. فلترقصى من أجلى ، أرقصى من أجلى يا سالومى ، أضرع اليك !.. ولئن فعلت فلك أن تتمنى على بما تشائين ، أعطيك أمنيتك .. ولو الى نصف مملكتى !

سالومى (تنهض) : أحقا تعطينى أى شىء أطلبه أيها الحاكم ؟

هيروديا : لا ترقصى يا ابنتى !

هيرودس (مكررا) : كل شىء ، ولو الى نصف مملكتى !

سالومى : أتقسم على ذلك أيها الحاكم ؟

هيرودس : أقسم !

هيروديا : لا ترقصى يا ابنتى ..

سالومى : بم تقسم أيها الحاكم ؟

هيرودس : بحياتى ، بتاجى ، بآلهتى .. مهما ترغبين أعطك اياه ، حتى الى نصف مملكتى اذا شئت .. ولكن ارقصى لى يا سالومى ، سالومى ، ارقصى لى !

سالومى : هل أقسمت أيها الحاكم ؟

هيرودس : أقسمت يا سالومى

سالومى : أتعطينى ما أطلب ، حتى ولو الى نصف مملكتك ؟

هيروديا : بنيتى ، لا ترقصى !

هيرودس : حتى الى نصف مملكتى ، وسوف ييسر لك ذلك مهمة اعتلاء عرشى فى سهولة ويسر حين يأتى أوانه . أو لست أهلا لأن تصبحى ملكة ؟ آه ، ان الجو هنا بارد ، ان عاصفة باردة كالثلج تلوح فى الجو ، وانى لأسمع - من أين أسمع فى الهواء ضربات الاجنحة هذه ؟ - آه ، ان المرء ليتخيل طائرا : طائرا أسود ، هائلا ، يرفرف فوق الساحة ، لماذا لا أستطيع رؤيته ؟ ان ضربات أجنحته مروعة ، ان التنفس من الرياح التى تبعثها أجنحته مخيف ، انها ريح تبعث الرعدة فى الجسم .. لا ، انها ليست باردة بل حارة ، انى أختنق ، صبوا ماء على يدى . اعطونى ثلجا آكله .. فكوا ثيابى ، أسرعوا ، أسرعوا ، حلوها ، لا بل خلوها .. ان اكليلى هو الذى يؤذينى ، انه اكليل الورد .. فالزهور كالنار ، قد أحرقت جبهتى ! **(يمزق الاكليل من على رأسه ويقذف به على المائدة)** .. آه ، أستطيع أن

أتنفس الآن .. ما أشد حمرة أوراق الزهور هذه ! انها كبقع من دم على ثوب ناصع !.. والآن ، انى لسعيد .. أليس لى الحق فى أن أكون سعيدا ؟.. سترقص ابنتك لى ! ألن ترقصى لى يا سالومى ؟ لقد وعدت بأن ترقصى لى ..

هيروديا : لن آذن لها بالرقص !

سالومى : سأرقص لك أيها الحاكم !

هيرودس : إتسمعين ما تقول ابنتك ؟ سوف ترقص لى .. انك تحسنين صنعا بالرقص لى يا سالومى ، حتى اذا رقصت لا تنسى أن تسألينى ما تشائين ، مهما تشائى سوف أعطيك اياه ، حتى الى نصف مملكتى ، لقد أقسمت على ذلك ، ألم أفعل ؟

سالومى : بل فعلت أيها الحاكم ..

هيرودس : وانا لم انقض كلمتى فى حياتى .. لست من هؤلاء الذين ينقضون عهودهم ، ولست أعرف كيف أكذب ، فأنا أسير كلمتى ، وكلمتى كلمة ملك ! أما ملك (كبادوكيا) فهو يكذب دائما ، انه جبان .. وهوكذلك مدين لى بأموال لن يعيدها ، بل لقد بلغ به الامر أن أهان سفرائى ، اذ تفوه بألفاظ جارحة ، ولكن قيصر سوف يصلبه عندما يذهب الى روما ، اننى واثق من أن قيصر سوف يصلبه ، والا فسوف يموت ويكون طعما للديدان ، لقد تنبأ النبى بذلك ! حسنا ، لماذا تتلكئين يا سالومى ؟

سالومى : انى أنتظر حتى يحضر عبيدى العطور وسبع غلالات ويخلعون نعلى ..

(يحضر العبيد عطور وسبع غلالات ثم يخلعون نعلى سالومى)

هيرودس : آه ، أتنوين الرقص عارية القدمين ؟ ذلك حسن ، حسن جدا ، ستكون قدماك كاليمامات الناصعة البياض ، كالزهرات البيضاء الصغيرة التى تتراقص فوق الاشجار .. **(كمن يحدث نفسه)** ولكن ، لا ، لا .. فانها سوف ترقص على الدماء !.. انى أرى دما مراقا على الارض . يجب ألا ترقصى على الدم ، فانه فأل سىء !

هيروديا : ومالك ورقصها على الدماء ؟.. لقد اشتد خوضك فى هذا الشأن كثيرا !

هيرودس : مالى وذلك ؟.. آه ، انظرى الى القمر ، لقد أمسى أحمر .. كالدم ! آه ، لقد تنبأ النبى صدقا ، تنبأ بأن القمر سيصير أحمر كالدم . ألم يتنبأ بذلك ؟ كلكم قد سمعتموه ، وها هو القمر قد أمسى أحمر كالدم .. أما ترونه ؟!

هيروديا : بل أراه جيدا .. وأرى النجوم تتساقط كالتين الناضج ، أليست كذلك ؟ .. والشمس صائرة الى سواد ، كأثواب الحداد ، وملوك

الارض يرتعدون خوفا ! لقد صدق النبى مرة فى حياته ، حين قال ان ملوك الارض خائفون !.. دعنا ندخل ، انك مريض ، وسوف يقولون فى روما انك مجنون ! قلت لك دعنا ندخل ..

صوت يوحنا : « من ذلك القادم ذو الثياب المصبوغة بالارجوان ، المشرق فى ردائه الجميل ، السائر بجلال وعظمة .. لماذا صبغت ثيابك بالارجوان ؟ »

هيروديا : دعنا ندخل ، ان صوت ذلك الرجل يصيبنى بمس من جنون! لن آذن بأن ترقص ابنتى طالما هو يصرخ بلا انقطاع ، ولن أسمح لها بالرقص ما دمت تنظر اليها هذه النظرة .. وفى كلمة واحدة لن آذن لها بالرقص !

هيرودس : لا تنهضى يا زوجتى ويا مليكتى ، فلن يفيدك ذلك شيئا ! لن ادخل حتى تكون قد رقصت .. ارقصى يا سالومى ، ارقصى لى !

هيروديا : لا ترقصى يا ابنتى !

سالومى : انى على استعداد أيها الحاكم

(ترقص سالومى رقصة الغلالات السبع)

هيرودس : آه ، رائعة .. رائعة ! أرأيت أنها رقصت لى ؟.. ابنتك ! اقتربى يا سالومى .. اقتربى حتى أعطيك جائزتك ، آه ، انى أمنح الراقصات أجرا حسنا . سأجزيك جزاء الملوك .. سأمنحك ما تشتهى نفسك ، ماذا تريدين ؟ تكلمى ..

سالومى (راكعة) : أحب أن يحضروا لى توا ، فى طبق من فضة ...

هيرودس (ضاحكا) : فى طبق من فضة ؟ أجل ، بالتأكيد ، فى طبق من فضة . انها ساحرة ، أليست كذلك ؟ ماذا تريدين فى طبق من فضة أيتها الحلوة اللطيفة سالومى ، انت يا ألطف بنات اليهودية جمعاء ؟ ماذا تريدينهم أن يحضروا اليك فى طبق من فضة ؟ اخبرينى ، مهما يكن طلبك ستناليه .. ان خزائنى لك ! ما هو هذا الذى تطلبين يا سالومى ؟

سالومى (وهى تنهض) : راس يوحنا !

هيروديا : آه ، أحسنت القول يا بنيتى ..

هيرودس : لا ! لا !

هيروديا : أحسنت القول يا بنيتى ..

هيرودس : لا لا يا سالومى ! انك لا تريدين ذلك .. لا تسمعى لصوت أمك ، فهى تعطيك أسوأ النصائح دائما ، لا تنصتى اليها !

سالومى : لست أنصت لأمى .. فتلك متعتى الخاصة ، أن اطلب راس يوحنا فى طبق من فضة .. لقد أقسمت يا هيرودس ، لا تنس انك قد أقسمت يمينا !

هيرودس : أعرف ذلك ، لقد اقسمت بآلهتى ، أعرف ذلك جيدا .. ولكنى أتوسل اليك يا سالومى ، اطلبى شيئا آخر ، اطلبى نصف مملكتى فامنحك اياه .. ولكن لا تسالينى ما سالت !

سالومى : اننى أطلب رأس يوحنا !

هيرودس : لا ، لا ، لست أريد ذلك ..

سالومى : لقد اقسمت يا هيرودس !

هيروديا : نعم لقد اقسمت ، وقد سمعك الجميع .. أقسمت على ذلك أمام جميع الحاضرين !

هيرودس : اصمتى ، فلست أوجه الحديث اليك !

هيروديا : لقد أحسنت ابنتى صنعا اذ طلبت رأس يوحنا ، فلقد غمرنى بسبابه ، ونسب الى أمورا فظيعة .. ان المرء ليرى أن سالومى تحب أمها حبا جما .. لا تتراجعى يا بنيتى ، لقد اقسم ، لقد اقسم !

هيرودس : اسكتى ولا تكلمينى .. تعالى يا سالومى ، كونى عاقلة . اننى لم أكن يوما قاسيا عليك ، لقد أحببتك دائما ، بل لعلنى أحبك أكثر مما تتصورين .. ولهذا فلا تسألينى ذلك الامر ! **انه لشىء مروع ، شىء مخيف أن تسالينى ذلك المطلب .. لست اشك فى انك تمزحين ، فان فصل رأس رجل عن جسده لشىء كريه المنظر .. أليس كذلك ؟ لا يليق بعينى عذراء ان تنظرا الى مثل ذلك المنظر ! اية متعة تجنين من امر كهذا ؟ لا شىء !.. لا لا ، ليس ذلك ما تريدين ، اصيخى السمع الى :** ان عندى زمردا ، زمردة ضخمة أرسلتها الى حبيبة قيصر ، اذا نظرت فيها أمكنك أن ترى ما يحدث على بعد شاسع ! ان قيصر نفسه يحمل شبيهة هذه الزمردة عندما يذهب الى الملعب! .. بل ان زمردتى التى سأهبك اياها أكبر زمردة فى العالم أجمع .. انك ترغبين فيها ، أليس كذلك ؟ اطلبيها فاعطيك اياها فورا !.

سالومى : اننى أطلب رأس يوحنا !

هيرودس : انك لا تنصتين الى ، انك لا تنصتين .. دعينى أتم كلامى يا سالومى

سالومى : رأس يوحنا !

هيرودس : لا لا ، لن تحصلى عليها ! انك تقولين ذلك لتحرجينى ، لانى نظرت اليك طوال هذه الليلة .. حقا كنت انظر اليك ، فقد حيرنى جمالك ، حيرنى بدرجة مزعجة .. ولقد نظرت اليك أكثر مما ينبغى ، ولكنى لن أنظر اليك بعد الآن ، ما ينبغى أن ينظر انسان هكذا الى الاشياء ولا الى الناس .. وانما ينظر فقط الى المرايا ، لان المرايا لا ترينا الا أقنعة

.. أوه .. الى بالنبيل .. انى ظمآن .. سالومى ، ســـالومى ، لنكن صديقين ، تعالى .. آه ، ماذا أقول .. ماذا كنت أقول ؟.. آه ، تذكرت ! .. سالومى ، كلا .. تعالى ، اقتربى منى أكثر ، أخشى انك لا تسمعينني .. سالومى ، أتعرفين طواويسى البيضاء ، طواويسى الجميلة البيضـــاء التى تختال فى الحديقة بين أشجار الآس والسرو العالية ؟ ان مناقيرها مطليـــة بالذهب ، والحبوب التى تأكلها مطلية بالذهب كذلك ، واقدامها مصبوغة بالارجوان ، فاذا صاحت جاء المطر .. واذا نشرت ذيولها أشرق القمر فى السماء ! انها تسير اثنين اثنين بين أشجار السرو وأشجار الآس السوداء. وكل منها له عبد يعتنى به ، وهى أحيانا تطير فوق الاشجار ، وأحيانا ترقد بين الحشائش وحول البحيرة . ليس فى الدنيا كلها طيور رائعـــة مثلها ، وليس فى الدنيا ملك عنده مثل هذه الطيور المدهشة .. انى واثق ان قيصر نفسه لا يملك طيورا فى مثل جمالها ! سوف أعطيـــك خمسين من طواويسى هذه ، تتبعك أينما ذهبت ، وستكونين وسطها كالقمر وسط سحابة كبيرة بيضاء ! سوف أعطيك اياها جميعا .. ليس عندى الا مائة ، وليس لملك فى العالم كله طواويس كالتى لى ، لكنى سأعطيك اياها جميعا.. ليس عليك الا أن تحلينى من قسمى ولا تسألينى ما قد سألتنى !

(يفرغ كأس النبيذ فى جوفه)

سالومى : أعطنى رأس يوحنا !.

هيروديا : أحسنت القول يا ابنتى .. أما أنت ، فانك مضحك بطواويسك تلك ..

هيرودس : اسكتى ، فأنت تصرخين دائما .. انك لتصرخين كالحيوان المفترس ! ينبغى الا تصرخى . ان صوتك يرهقنى . اسكتى ، قلت لك !.. وانت يا سالومى ، فكرى فيما أنت فاعلة ، لعل هذا الرجل قد جاء من عند الله.. انه رجل قديس ، مسته أصبع الله ! فلقد وضع الله فى فمه كلمات مروعة ، أن الله دائما معه ، فى القصر كما فى الصحراء .. أو ان هذا محتمل على الاقل ــ فما من أحد يعرف على وجه اليقين ــ أقول ان من الممكن أن يكون الله معه ، وفضلا عن ذلك فهو ان مات قد تحل مصيبة على !.. على أى حال ، لقد قال انه يوم يموت سوف تحل مصيبة على انسان ما ، ولن يكون ذلك الانسان سواى ! تذكرى ، لقد انزلقت قدماى فى دم عند دخولى .. كما انى سمعت ضربات أجنحة فى الهواء ، ضربات أجنحة قوية ، وهذه علامات سيئة للغاية ، وهناك غيرها كثير ــ وان لم أرها ــ فانى على يقين من أن هناك آيات أخرى ، حسنا يا سالومى ، انك لا تحبين أن يقع بى شر ! لست تحبين ذلك . انصتي اذن الي ..

سالومى : اعطنى رأس يوحنا !

هيرودس : آه ، انك لا تنصتين لى .. اهدئى . انى ، انى هادىء ، هادىء تماما ، انصتى : ان عندى جواهر كثيرة مخبوءة فى هذا المكان ، جواهر لم يرها انسان – حتى أمك ! – جواهر رائعة ، عندى قلادة من لآلىء منظومة فى أربعة صفوف .. انها كالاقمار المنظومة فى أشعة من فضة ، كخمسين قمرا صيدت فى شبكة ذهبية ، وقد لبستها احدى الملكات على صدرها العاجى .. لسوف تكونين فى جمال ملكة حين تلبسينها !.. وعندى من أحجار ((الجشمت)) صنفان : أحدهما أشد سوادا من النبيذ ، والآخر احمر كالنبيذ الممزوج بالماء .. وعندى ايضا يواقيت صفراء صفرة عيون النمور ، وأخرى حمراء كعيون حمام الغاب ، وجواهر خضراء كعيـون القطط .. وعندى من أحجار عين الهر ما يشع منه لهب فضى يشبه الثلج .. وجواهر تعشى عيون الرجال ، وتخيف بما لها من الظلال .. وعندى من العقيق اليمنى ما يشبه مقلتى امرأة ميتة ، ومن أحجار القمر ما يتغير بتغير القمـر ، ويشحب عندما يرى الشمس شاحبة .. وعندى يواقيت زرقاء كالازهار ، كبيرة كالبيض ، كأن البحر يترجرج فيها والقمر لا يبزغ عليها فيفسد زرقة موجاتها !.. وعندى أحجار من الزبرجد الاصفر والزبرجد الاخضر ، والعقيق المجزع والياقوت الاحمر .. ومن العقيق الابيض والياقوت الزعفرانى .. سأعطيكها كلها ، واشياء أخرى سوف أضيفها اليها . ان ملك الهنـد قد أرسل الى حتى الآن اربع مراوح مزينة بريش الببغاوات ، وأرسل ملك (نوميديا) ثوبا من ريش النعام .. وعندى باورة لا يحل للنساء النظر فيها ، ولا للشبان أن يمسكوها – حتى يضربوا بالعصى !! – وعندى فى خزانة من صدف ثلاث قطع من الفيروز المدهش ، من يلبسـها فوق جبينه يستطع أن يتخيل أشياء غير موجودة ، ومن يحملها فى يديه يجعل من المرأة عقيما ! انها كنوز فوق كل تقدير ، كنوز لا تقدر بثمن .. ومع ذلك فليس هذا كل شىء ، فعندى فى خزانة من الابنوس كأسان من كهرمان كأنهما تفاحتان من ذهب ، اذا صب فيهما عدو سما تحولا ككأسين من فضة ! وفى خزانة مطعمة بالكهرمان عندى نعلان مكسوان بالزجاج ، وعندى أثواب جىء بها من أرض (سيرس) وأساور مطعمة بالياقوت الجمري واليشم من مدينة الفرات .. ماذا تريدين أكثر من ذلك يا سالومى ؟.. أخبرينى بالشىء الذى تريدين ، اعطيك اياه ! كل ما تطلبين ساهبـك اياه ، الا ذلك الشىء .. سوف أعطيك مسوح الكاهن الاكبر ، سوف أعطيك حجاب هيكل اليهـود .. او ... او ...

سالومى : اعطنى رأس يوحنا !

هيرودس (وهو يغوص متراجعا فى مقعده) : دعوها تأخذ ما تطلب ،فمن المحقق انها ابنة أمها !

(يقترب الجندى الاول ، فتسحب هيروديا من يد الحاكم خاتم الموت وتعطيه للجندى .. الذى يحمله فورا الى الجلاد فيبدو على الاخير الرعب !)

هيرودس : من ذا الذى أخذ خاتمى ؟ لقد كان هنا خاتم فى يدى اليمنى ! .. من ذا الذى شرب نبيذى ؟ لقد كان فى كأسى نبيذ .. كان مملوءا نبيذا ، لا بد أن أحدا قد شربه ، أوه ! لا شك أن شرا سوف ينزل بأحد .. **(ينزل الجلاد الى الصهريج)** آه ، لماذا أعطيت عهدى ؟ ان الملوك يجب الا يتعهدوا بشىء ، فهم ان لم يحفظوا كلمتهم كان ذلك مروعا .. وان حفظوها كان ذلك أفظع !

هيروديا : لقد أحسنت ابنتى صنعا !

هيرودس : انى على يقين أن شرا سوف يقع !

سالومى (تتكىء على الصهريج وتنصت) : ليس ثمة صوت . لست أسمع شيئا ، لماذا لا يصرخ هذا الرجل ؟ لو أن انسانا أراد أن يقتلنى لصرخت وقاومت ، وما احتملت !.. اضرب ، اضرب يا نعمان ، اضرب ، قلت لك .. لا .. لست أسمع شيئا ، ان ثمة سكونا ، سكونا مخيفا ! آه لقد وقع شىء على الارض ، لقد سمعت شيئا يسقط .. انه سيف الجلاد ، انه خائف ذلك العبد .. لقد أسقط سيفه ، انه لا يجرؤ على قتله .انه جبان ذلك العبد. ارسلوا الجنود **(ترى تابع هيروديا فتخاطبه)** : تعال هنا، لقد كنت صديق ذلك الذى مات، أليس كذلك؟انى أنذرك بأن عدد الموتى قليل،اذهب الى الجنود ومرهم بأن ينزلوا ويحضروا لى الشىء الذى أريد ، الشىء الذى وعد به الحاكم ، الشىء الذى لى **(يجفل التابع ، فتتحول الى الجنود)** هيا أيها الجنود ، انزلوا فى هذا الصهريج وجيئونى برأس ذلك الرجل **(يجفل الجنود)** أيها الحاكم ، أيها الحاكم ، مر جنودك فليحضروا لى رأس يوحنا !

(تبرز من الصهريج ذراع هائلة سوداء ـ ذراع الجلاد ـ تحمل فى درع من فضة رأس يوحنا !.. تتناوله سالومى ، فيخفى هيرودس وجهه بعباءته ، بينما تبتسم هيروديا وتلوح بالمروحة لنفسها .. الناصريون يخرون راكعين ويأخذون فى الصلاة)

سالومى (تناجى رأس الميت) : آه ، انك لم تكن تتحمل أن أقبل فمك يا يوحنا ؟ حسنا ، سأقبله الآن ، سأعضه بأسنانى كما يعض المرء ثمرة ناضجة ! نعم ، سأقبل فمك يا يوحنا .. لقد قلتها ، ألم أقلها ؟ آه ، سوف

أقبله الان ٠٠ ولكن لماذا لم تنظـر الى يا يوحنا ؟ ها هما عيناك المخيفتان المليئتان بالثـورة والاحتقار قدأغمضتا الان، لماذا تغمضهما؟ افتح عينيك ، ارفع جفونك يا يوحنـا ٠٠ لماذا لاتنظرالى ؟ أخـائف انت منى يا يوحنـا حتى لا تنظر الى ؟ ٠٠ ولسانك، هذا الذى كان كثعبان أحمر ينفث السم ، انه لم يعد يقول شيئا يا يوحنـا ، ولن يتحرك بعد الآن!٠٠ ما بال الثعبـان الاحمر لا يثور الآن ؟٠٠ انك لم تـكن تريدنى يا يوحنا، لقدتحديتنى، وكنت تقـذفنى بكلمـات الشر ٠٠ عاملتنى كالعاهرة ، كالخليعـة ، أنا سـالومى ابنـة هـيروديا أميرة اليهودية ! حسنا يا يوحنا ، انى ما زلت أحيا ٠٠ أما أنت فميت ، ورأسك

ملكى أستطيع أن أفعل به ما أريد .. استطيع ان اقذف به الى الـكلاب وطيـور الجو ، فما تتركه الكلاب منه تلتهمه طيور الجـو !.. آه يا يوحنا .. يوحنا ، لقد كنت الرجل الوحيد الذى أحببته ، ان غيرك من الرجال أجمعين بفيضون الى .. أما أنت ، فقد كنت جميلا ، كان جسدك عمودا من العاج ركب فى قاعدة من فضة .. كان كحديقة حافلة باليمام والزنابق البيض ، كان برجا من فضة غطى بدروع من عاج .. لم يكن شىء فى العالم فى بياض جسدك ، ولم يكن شىء فى العالم فى سواد شعرك ، ولم يكن فى العالم كله شىء فى احمرار فمك ! كان صوتك مجمرة تصعد أريجا فواحا ، ولما نظرت اليك سمعت نغما عجيبا ، آه لماذا لم تنظر الى يا يوحنا ؟ لقد أخفيت وجهك من وراء يديك ولعناتك ، لقد أسدلت على عينيك حجاب القديس الذى يرى ربه .. حسنا ، لقد رأيت ربك يا يوحنا ! اما انا .. فانك لم ترنى ابدا ، ولو رايتنى لاحببتنى !.. لكنى انا رايتك يا يوحنا واحببتك .. اوه ، لشد ما احببتك ، وما زلت احبك يا يوحنا ! .. أحبك أنت وحدك ، اننى متعطشة لجمالك ، جائعة لجسـدك .. لن تستطيع الخمر ولا الثمار أن تكفكف رغبتى ! ولا السيول واللجج الهائلة أن تطفىء سعيرها !.. لقد كنت أميرة ولكنك احتقرتنى .. كنت عذراء ، فسلبتنى عفتى .. كنت طاهرة ، ولكنك ملأت عروقى نارا !.. آه ، لماذا لم تنظر الى يا يوحنا ؟ لو أنك نظرت الى لأحببتنى ، اننى أعرف أنك كنت خليقا ان تحبنى . ان سر الحب أعظم من سر الموت ، ان الحب وحده هو ما يجب أن يقدره الانسان !

هيرودس : انها متوحشة ابنتك هذه ، متوحشة للغاية .. ان ما فعلته لجرم عظيم ، انى موقن بأنه جرم فى حق اله مجهول !

هيروديا : أنا راضية عما فعلت ابنتى

هيرودس (ناهضا) : ها هى الزوجة الزانية تتكلم .. تعالى ، لن أمكث هنا ، تعالى قلت لك ، لا شك أن شيئا مروعا سوف يقع . يا « منسى » ، يا « أساشار » ، يا « أوزياس » ، اطفئوا المشاعل .. فلن انظر الى شىء ، ولن أشقى برؤية الاشياء تنظر الى !!.. اطفئوا المشاعل ، احجبوا القمر ، اطمسوا النجوم ، دعينا نخفى أنفسنا فى قصرنا يا هيروديا . لقد بدأت أحس بالخوف !

(يطفىء العبيد المشاعل ، تختفى النجوم ، وتزحف سحابة سوداء هائلة على القمر فتخفيه اخفاء تاما .. يسود المسرح ظلام دامس ، يبدأ الحاكم فى صعود السلالم)

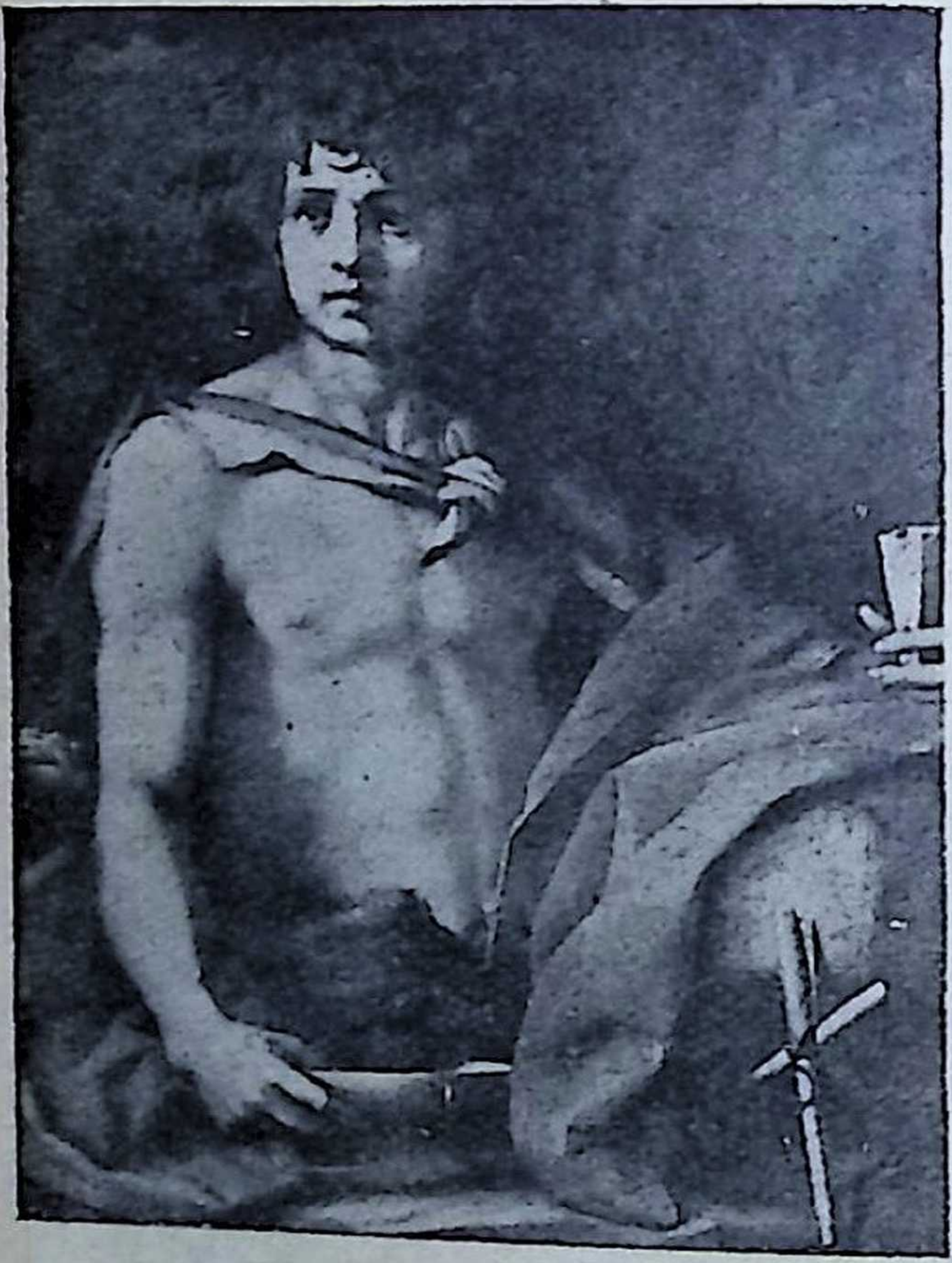

« يوحنا المعمدان » فى صباه » لوحة للرسام « ا؛ دل سانو » بمتحف « بيتى » بفلورنسا

صوت سالومى : آه ، لقد قبلت فمك يا يوحنا ، لقد قبلت فمك ، ان على شفتيك طعما مرا ، أهو طعم الدماء ؟ .. بل ربما كان ذلك طعم الحب ! .. انهم يقولون ان الحب مر المذاق .. ولكن ، ماذا يعنينى من ذلك ؟ لقد قبلت فمك يا يوحنا ! **(يسقط شعاع من القمر على سالومى فيغمرها بالضوء)**

هيرودس (يلتفت فيرى سالومى) : اقتلوا هذه المرأة !

(الجنود يندفعون الى الامام فيسحقون تحت دروعهم سالومى ابنة هيروديا اميرة اليهودية)

ستار

الخالدون

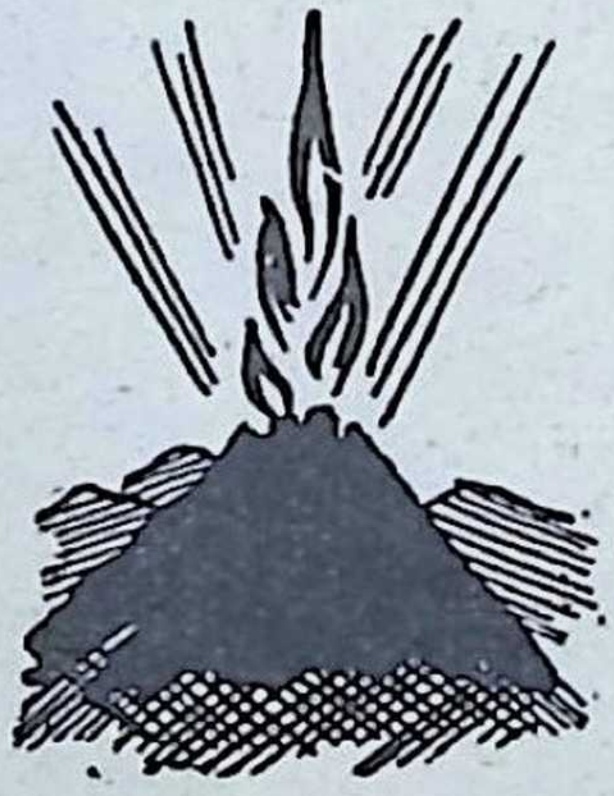

عظماء .. فى غير السياسة

عزيزى القارىء ...

فى الاعداد السابقة قدمت لك فى هذا الباب على التوالى قصص حياة : ((ديفاليرا)) .. و ((غاريبالدى)) .. و ((لويس باستير)) .. و((اميل زولا)) .. و((ماركونى)) .. و((تشايكوفسكى)) .. ((مصطفى كمال)) .. ثم ((شوبان)) .. و((جى دى موباسان)) و((مختار)) و ((تشارلس ديكنز)) و ((بيتهوفن)) و « موسولينى » و « شيللى » و«بلزاك» و ((بودلير)) و((دستويفسكى)) و((موليير)) واخيرا ((كونفوشيوس)) و ((جيته)) .. وهم أولئك العظماء فى السياسة ، والطب ، والادب ، والاختراع ، والموسيقى .. والفنون .. الخ

واليوم أقدم لك فيما يلى حياة علم خالد من دعاة الديانات والعقائد ، وفيلسوف من فلاسفة الشرق الزاهدين، هو : ((بوذا)) !

وفى الاعداد التالية اعرفك باذن الله بهؤلاء الذين تشتاق الى معرفتهم منذ بعيد : لورد بيرون ، براوننج ، شوبرت .. فولتير ، شوبنهاور ، نيتشة ، ارسطو .. داروين ، اينشتين .. شكسبير ، اديسون ، فورد .. والتر سكوت ، ديماس .. كولمبوس ، الاسكندر المقدونى ، بطرس الاكبر ، فردريك ، بسمارك .. مايكل انجلو ، روفاييل ، ليوناردو دى فنشى ، وغيرهم

دعاة الديانات والعقائد - ١

بوذا

الزاهد المهتدى الذى بشّر بدعوة الحب.. والصبر.. والتسامح

هذه السلسلة الهامة ..

◆ فى العدد الأسبق قدمت لك سيرة حكيم الصين القديم ((كونفوشيوس)) .. واليوم أقدم لك فيما يلى سيرة فيلسوف آخر من دعاة الديانات والعقائد فى الشرق ، هو ((بوذا)) ، مؤسس الديانة البوذية التى كانت وما تزال تسيطر على ايمان الملايين من ابناء الهند ..

وفى الاعداد القادمة ازمع ان أتابع السلسلة بعون الله ، بسيرة كل من موسى ، والمسيح ، ومحمد ـ حسب الترتيب الزمنى لظهورهم واضطلاعهم بالدعوة الى أديانهم السماوية الثلاثة ..

.. ثم نتابع السلسلة بعد ذلك بسير البارزين من أنبياء ((الصف الثانى)) فى الديانات السماوية الثلاث .. وبذلك نكون قد ألمنا بنصيب لا بأس به من الثقافة العامة فى هذا الموضوع الذى لا غنى عن الالمام به لانسان متحضر

النبى الذى ولد فى قفص من ذهب !

◆ قبل أن يولد المسيح ـ فى حظيرة بقر ـ بخمسة قرون ، ولد فى أدراج العز فى الهند نبى آخر ، كان أبوه أميرا على قبائل « ساكيا » القابعة فى ظلال جبال هيملايا ، وكانت أمه ابنة ملك مجاور لربوع تلك القبائل ..

وكان اسمه « سيداروناً ساكيا ـ مونى جلوتاما » .. ومعناه فى لغته القومية « جاوتاما الذى ينتمى لقبائل ساكيا ، والذى بلغ أوج الكمال » .. وقد كانت لمولده قصة طريفة ، اذ أن أمه لم تكد تحس باقتراب الوضع ، حتى بادرت بالرحيل الى قصر ابيها ـ كما كانت التقاليد تقضى ـ بيد أن المخاض فاجأها فى أثناء الرحلة .. وولد سليل الامراء والحكام ، على أرض حرش هادىء !.. وكانما كان هذا الحادث صورة مصغرة لما قدر له فى الحياة ، اذ هجر العز والرفاهية فى مرحلة مبكرة من عمره ، لينطلق هائما ، يعيش على الشظف ، ويدعو الى الزهد !

ولكن .. لنتابع حياته حسب ترتيب خطاها :

نشأ الصغير وسط المتع والوان الترف التى كان يحفل بها قصر أبيه فى عاصمة حكمه « كابيلا ـ فاستو » ، لا يكاد يعرف شيئا عن العالم المترامى خارج أسوار القصر ، فكأنما كان طائرا يرف فى قفص من المرمر والذهب .. وكان محوطا بألوان من الترف لا يكاد العقل يتصورها ، وبجو من السعادة الشاملة .. فكان يجنى أشهى الثمار من شجرة الحياة .. حتى اذا بلغ التاسعة عشرة ، حظى بأجمل ثمرة ، اذ زفت اليه ابنة عمه الجميلة ، الاميرة « ياسوذارا » ..

ولكن بريق الزواج لم يلبث أن اكفهر بغمامة قاتمة ، اذ أثبتت الايام أن زوجته كانت عاقرا .. وبدأ الهم يعرف طريقه الى الامير الشاب ، ولكنه آثر أن يجيل فكره فى حديقة حياته ، يفحص آثار أقدام الاسى الذى تسلل اليها .. وراح يسائل نفسه : لماذا تكون نعم الحياة - بل أفضل نعمها - كالجوهرة الزائفة يخلعها علينا الاله ؟.. ولماذا تتخلل السعادة ثغرات من الآمال العقيمة التى لم تتحقق ؟.. ثم ، وبعد كل شىء ، هل تستحق الحياة أن يعيشها المرء ؟

وانطلق يوما يتنزه فى الريف فى عربته ، يقودها حوذيه الخاص « تشانا » ، فاذا به يرى فى الطريق رجلا أحنت السنون عوده ، وأخنت عليه .. فأشاح عنه « جاوتاما » متقززا ، بينما همس الحوذى : « هذه سنة الحياة يا أميرى ! » .. وقبل أن ينجاب أثر المنظر عن نفس الامير ، وقعت عيناه على متسول تناثرت على جلده القرح البشعة .. ومرة أخرى ، قال « تشانا » : « وهذه أيضا .. سنة الحياة ! »

وواصلت العربة سيرها .. وحانت التفاتة من الامير الشاب فى بعض الطريق ، فاذا به يرى جثة عارية ، تورمت ، وازرورقت ، ودب فى أرجائها الفساد والعفن .. واذ ذاك قال الحوذى : « أما هذه .. فنهاية الحياة ! »

من الدار .. الى النار !

◆ وما أن عاد الأمير الى القصر ، حتى اخلد الى التفكير.. فلقد رأى بعينيه تعاسات البشرية ، فصمم على أن يفعل شيئا لتخفيفها .. وشرع يفتح قلبه للكهنة الذين كانوا يترددون على أبواب القصر ينشدون الصدقات ، وأخذ يصغى لاحاديثهم ويسألهم أن يحدثوه عن خدع الدنيا وخستها .. وما لبث أن عقد العزم على أن يهجر القصر والمتع وألوان الرفاهية ، وأن ينطلق فى الارض هائما ، وحيدا ، يبحث عن .. الحقيقة !

وفيما كان يهم بالشروع فى رحلته ، جاءه النبأ بأن زوجته قد وضعت ولدا ، اذ كان عقمها مؤقتا ، فاحتفل أحباؤه بالبشرى هاتفين : « سعيد الاب .. وسعيدة الام .. وسعيدة الزوجة التى يقدر لها أن تحظى بهذا الولد ! » .. ولكن الامير الشاب لم يشاطرهم هذا الفرح ، اذ رأى فى الابن رباطا جديدا يشده الى الحياة التى كان يسعى لقطع روابطه بها !

وحضر الامير المأدبة التى أقامها « الراجا » - أبوه - احتفالا بمولد حفيده، حتى اذا انتصف الليل ، تسلل الاب فى هدوء الى مخدع زوجته ، وانحنى يتأمل وجهها على ضوء المصباح الخافت .. كانت مستغرقة فى النعاس ، تنشق عبير الزهور التى حفت بسريرها ، وقد وسدت الوليد احدى ذراعيها

.. وهفت نفسه الى أن يحتضن الام ووليدها ، ولكنه أحجم خشية أن يوقظهما !.. وبعد أن القى عليهما نظرة وداع ، تسلل من الغرفة فى صمت ، وأمر بأن يسرج جوادان ويشدا الى عربته .. ثم انطلق فى بهيم الليل ، لا يرافقه سوى «تشانا» الحوذى .. وصوت الاغراء يطارده ويهيب به : « ألا ارجع عن عزمك ، فلن تلبث أن تكون ملكا .. وساجعل منك أعظم ملك فى القارات الاربع ، على شريطة أن تتخلى عن فكرتك الجنونية هذه ! »

لكن الامير الشاب لم يشأ أن يسمع لصوت الاغراء ، وللوعود التى راح يمنيه بها صفير ريح جوفاء فى دجى الليل !.. حتى اذا بزغت أولى أضواء الفجر أقبل على ضفة نهر ، فقص شعره ، وخلع ثيابه الفاخرة وجواهره الثمينة فاعطاهما لحوذيه « تشانا » ، كما أسلمه حصانه وسيفه ، وأمره بأن يعود أدراجه الى القصر فينبىء أباه وزوجه بما اعتزم !

وارتدى ثوبا خشنا مما يرتديه الفلاحون ، ثم انطلق ينشد الحكمة لدى الكهنة الحكماء الذين كانوا يعيشون فى مفاور الجبال ..

يحارب الشعوذة والدجل !

◆ غير ان « جاوتاما » لم يلبث أن تبين أن ليس لدى أساتذة الديانات القديمة ما يتعلمه منهم ، فهو لم يطرح عنه الثروة ولم يتخل عن أهله لكى يرتدى ثياب المتسولين وليمارس السحر والشعوذة والدجل التى كان يتوسل بها أولئك الكهنة ليسيطروا على أرواح الناس ، وليستعبدوهم .. فلقد كان لرجال الدين اذ ذاك من النفوذ على الناس ما كان للحكام و « الراجاوات » ، اذ أنهم كانوا ينحدرون من سلالة من الغزاة الذين كانوا يطلقون على انفسهم اسم « الآريين » ، ويزعمون انهم من أسمى عناصر البشر ، ويقسمون الناس الى طبقات ، فيضعون « البراهمة » المتغطرسين على رأس هذه الطبقات .. ويلقون بمن سموهم « المنبوذين » فى الدرك الاسفل ..

ولقد ظل الامير الشاب يتبع ارشادهم ، وينفذ تعاليمهم وقوانينهم بحذافيرها ، ستة أعوام .. كان يسمع منهم ان الطريق الوحيدة لتطهير الروح ، هى فى أن يمضى فى الحياة متقشفا ، زاهدا .. وأن يحرص على التكفير عن ذنوبه ، وعلى قمع شهواته واذلال جسده ، باستمرار .. فبهذا فقط ، يستطيع أن ينجح فى تطهير نفسه من الخطايا ! ومن ثم صلى ، وصام ، واذاق جسده صنوف الهوان ، واستطاع بقوة احتماله أن يحظى باعجاب الكثيرين .. لكنه لم يصل خلال كل ما اخذ به نفسه من زهد وتقشف، الى شىء من الحقيقة التى ينشدها !.. وتبين أن تعذيب الجسد ليس هو الوسيلة التى تصل به الى طمانينة العقل وراحة البال .. ولهذا عاد يمارس الحياة العادية ، ويأكل ويشرب .. فسرعان ما انفض عنه من كانوا قد تتلمذوا عليه من المؤمنين بالخرافات والدجل ، وقد اعتبروه مرتدا !

ووجد نفسه وحيدا ، مرة أخرى ..

يهبط عليه الوحى !

◆ **وبينما** كان جالسا يكافح شكوكه ووحدته ، ذات ليلة ، غشيته سكينة غامرة ، وغاب عن الدنيا .. حتى اذا استيقظ مع الفجر ، كان شخصا آخر .. لم يعد « جاوتاما » ، وانما أصبح « بوذا » .. الرشيد ، المستنير .. اذ استطاع أن يصل أخيرا الى كنه آلام البشرية القاسية الغامضة ، والى أسبابها وعلاجها .. وداخله فى البداية زهو روحى عظيم بالنعمة التى حظى بها اذ تكشفت له هذه الاسرار .. ولكنه تردد فى أن يحدث الغير بها ويطلعهم عليها !.. بيد أن هذا التردد لم يطل ، اذ لم يلبث أن تولته الحمية التى تتولى الرسل والانبياء عادة ، فانطلق الى مدينة « بنارس » .. وفى أحد الاحراش التى تعمرها الغزلان ، ألقى أولى مواعظه .. وكان عدد من أنصتوا اليها خمسة من عامة الناس ، بدت لهم اقواله فى أول الامر مألوفة ، تتمشى وما كانوا يستمعون اليه من تعاليم كهنتهم .. ولكنهم ما لبثوا أن شعروا بأن فى كلامه ـ وهو يعظهم ـ شيئا جديدا أثار فى نفوسهم رهبة .. فقد مضى ينبئهم بأن الطريق الحقة لتطهير النفس لا شأن لها بأى شىء خارج كيان المرء ، وانما هى فى أعماق نفسه .. وان للطقوس والصلوات والتضحيات والنذور مجرد « مظاهر » لا قيمة لها ولا جدوى !

واستطرد يقول لمستمعيه الخمسة انه لا يمنيهم بحقوق ، ولا بقوى سحرية ، ولا بسلطات كهنوتية ، ولا برضى اله من الآلهة التى كان الناس يميلون الى الايمان بها .. فهو على النقيض من الكهنة البراهمة الذين كانوا يقيمون تعاليمهم على « الحياة القادمة بعد الموت » ، و « الحياة السابقة »

قبل المولد » !.. ذلك أن كل ما يقصد اليه بتعاليمه هو توجيه مسلك الناس فى حياتهم الراهنة ، فانه لا يرى فى علوم ما وراء الطبيعة والمادة سوى مسائل غير عملية ، وغير حكيمة .. مثل الباحث فيها كمثـل « امرىء اصابه سهم ، فهو ينصرف الى التحرى عن الشخص الذى رماه ، قبل أن يحاول أن ينتزع السهم من لحمه ! »

أما هو ــ « بوذا » ــ فقد آثر أن ينتزع السهم من جرحه أولا ، وقد خبر فى محاولاته أقصى طرفى العاطفة : خبر الملذات التى ينغمس فيها الثرى المترف ، كما خبر ألوان اذلال الجسد التى يمارسها الناسك المتقشف !.. وهدته خبرته الى أن كلا من الامير والناسك على خطأ .. وان العاطفة تتحطم على صخور الفكر غير المستنير أو المتعلم .. ومن ثم فقد ظل يبحث بين طرفى العاطفة حتى اهتدى الى «الطريق الوسط».. الطريق الذى « يفتح العينين، ويهب الادراك ، ويفضى الى طمأنينة الفكر ، والى الحكمة السامية ، والعلم الكامل » .. ذلك الطريق هو سيطرة الانسان على الانفعالات العاطفية التى تربطه ــ الى الابد ــ الى « عجلة الحياة التى لا نهاية لدورانها .. والى آلام المولد ، وعناء الموت » ، كما يشد العبد الى عجلة لا تقف ..

ومن ثم استطرد « بوذا » الى اعلان قواعد السلوك الذهبية ، التى لا تزال الحضارة البشرية تحاول تحقيقها طيلة الالفى عام التى انقضت بعده ..

أما « الطريق الوسط » ــ أو الاعتدال ــ فهو « طريق ذو ثمانى شعب ، هى : صواب الآراء ، وسمو المقاصد ، ولطف الحديث ، واستقامه السلوك ، والحياة الخالية من الاساءة والاضرار بالغير ، والدأب على فعل الخير ، والنشاط الفكرى ، والتأمل العميق .. ولن يتسنى للمرء أن يخلص نفسه من جموح شهواته الا عن هذا الطريق ، طريق الاستقامة ذى الشعب الثمان .. »

وكان هذا لب تعاليمه الاولى ..

قصص تشبه الاساطير !

◆ **وبدأت** شهرة « بوذا » تنتشر فى أرجاء الهند ، وشاعت روايات كثيرة عن حكمته ، وعن عطفه ولطفه .. وما لبثت هذه القصص أن تجمعت فصارت من المقدسات لاتباع تعاليمه .. **ومن هذه القصص أن شابة جميلة ، عانت مرة مرض طفلها واحتضاره ، حتى اذا مات آخر الامر تولاها حزن جنونى ، فضمت الجثة الميتة الى صدرها ، وراحت تهيم من بيت الى آخر تسأل الناس دواء يرد الحياة الى طفلها !.. حتى انتهى بها المطاف الى مسكن ناسك لم يكد يراها حتى غمغم لنفسه فى رثاء : « انها لا تفهم ! »**

.. ثم رفع صوته قائلا لها : ((ليس عندى الدواء الذى تطلبين يا بنيتى المسكينة ، ولكنى أعرف شخصا تجدين لديه الدواء ..))

فهتفت الام فى ضراعة : ((نبئنى من يكون هذا الشخص !))

ـ انه ((بوذا)) .. فاسعى اليه !

وانطلقت المرأة تبحث عن ((جاوتاما))، الذى قال لها : ((حقا ، انى على علم بدواء ناجع .. انه (حب الخردل) المعروف !)) .. وهمت الام المكلومة بأن تهرع للبحث عن هذا الدواء البسيط ، ولكن ((بوذا)) استطرد قائلا : ((الشرط الوحيد هو أن تحصلى على هذا (الحب) من دار لم يمت بها ابن أو زوج أو اب أو خادم !))

ومضت المرأة تنشد بغيتها .. وكانت تجد أينما ذهبت رغبة واستعدادا من الناس لمساعدتها ، فاذا سألتهم : ((هل نجا هذا البيت من وفاة ابن أو زوج أو اب أو عبد ؟)) ، اجابوها فى أسى : ((لا وجود لمثل هذا البيت .. فما أكثر الموتى ، وأقل الاحياء !))

وفكرت الام الشابة طويلا ، ثم يممت شطر غابة دفنت فيها طفلها ، حتى اذا عادت الى ((جاوتاما)) سالها : ((هل وجدت حب الخردل المنشود ؟))

فأجابته : ((لا ، يا سيدى المعلم .. وانما وجدت الدواء .. لقد دفنت أحزانى فى الغابة ، وأصبحت متاهبة لان أتبعك فى طمانينة !))

يعتنق نظرية تناسخ الارواح !

◆ وكان ((جاوتاما)) يعلم أتباعه أن البهجة فى أن ينبذ المرء المتع والثراء ـ لا فى أن يمتلكها ! ـ وان أعمق أغوار سر الحياة يكمن فى هذه الدعوة الى الزهد والتخلى .. فوجودنا البشرى يمثل رحلة الروح من الارض الى السماء .. بيد أن هذه الرحلة تتم عن طريق حلول الروح فى كثير من الاجساد تباعا .. أى ان روح الانسان تنتقل ـ اذا ما مات ـ الى جسد جديد ، ثم تغادر هذا اذا ما حانت منيته لتحل فى جسد آخر .. وهكذا ..

فهى لا تصعد الى السماء مباشرة ،وان انتهى بها التنقل اليها فى نهايـة المطاف !

وكان « بوذا » يعتنق فى البداية نظرية النساك البراهمة ، متأثرا بتعاليمهم التى تقول ان الروح تولد من جديد المرة تلو المرة ، فى تنقلها من سجنها الجسدى الى آخر ، حتى تنتهى الى التحرر من الاضطرار الى الاقامة فى سجن جسد حى ، فتذوب فى « النيرفانا » ، أو النعيم !.. وكان « بوذا » لا يفتأ يقول لحوارييه ان روحه تقمصت يوما جسد طائر من نوع «السمان»!

على انه ما لبث حين تقدم فى السن ، أن خلع على نظرية تناسخ الارواح وتقمصها الاجساد ، لونا من الفلسفة الرفيعة والخيال الشاعرى .. فلم يعد يرى أن الروح تولد من جديد فى الجسد الجديد ، فى سياق تنقلاتها ، وانما شبه الروح الحية بالمشعل الذى ينتقل لهبه الى مشعل آخر اذا ما احترق عن آخره .. وهكذا يظل اللهب يشعل مشعلا جديدا ، كلما استهلك مشعله القديم، حتى يذوب فى اللهب العام الشامل.. لهب الحياة الخالدة !

وكان أحيانا يشبه الروح بالجرس : كل حياة « رنة » منه تدوى فى غرفة مكشوفة فتتذبذب لها بنفس النغمة كل الادوات الرنانة فى أروقة الزمن ، حتى تغيب النغمة فى النهاية فى اللحن السماوى الشامل ..

ولو اننا جردنا هذا المذهب من غلالته الشاعرية ، لكان معناه أن نتائج كل حياة تمتد بعيدا فى الزمن ، وان كل مخلوق بشرى جزء هام من الانسانية كلها ..

الراحة الابدية .. فى القضاء على شهوات الجسد

◆ أما الخلود الشخصى ، فلم يكن «بوذا» يؤمن به أو يميل اليه ، بل كان يرى ان كل روح آدمية ليست سوى جزء بسيط من روح الدنيا ـ أو الروح العامة الشاملة ـ ومن ثم فالرغبة فى الخلود الشخصى معناها محاباة الجزء على حساب الكل ! .. وكان يقول لتلاميذه ان كافة ماتعانيه البشرية من شقاء ، انما يرجع الى أطماعنا التى تدفعنا الانانية الى أن نرجوها فى هذه الدنيا ، وفى الحياة الاخرى ..

وهو اذ يعتبر نفس الفرد جزءا من نفس كبرى تشمل البشرية بأسرها، يتوق الى أن يختتم ترحال روحه من حياة الى حياة ، ويرجو أن ينتهى بها الى نعيم الراحة الابدية .. « النيرفانا » !.. و «نيرفانا» كلمة معناها فى نظرية « بوذا » : القضاء التام على كل الشهوات الجسدية !.. والسماء ـ فى رأيه ـ هى اطفاء لهب العواطف الذاتية ، أو الانانية .. أى الاخماد

التام لروح الاسى والكفاح الفردية ، والخلاص نهائيا من بحر الوجود العاصف .. فان ((الوجود عبارة عن محيط .. وتكسر امواجه يمثل تعدد مولد الانسان .. والزبد الذى على قمم الامواج هو الجسد الفانى .. واما ((النيرفانا)) فهى الشاطىء البعيد .. أو مرفا الامان !))

اول من نادى بالمساواة بين البشر !

◆ وللوصول الى هذا الامان من الانانية فى أعمق معانيه ، لابد للناس جميعا من أن يخلصوا مذاهبهم ونظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية من روحهم الذاتية .. ومن ثم أخذ بوذا يدعو الى الغاء نظام ((النبذ)) الذى كان يفرق بين الهندوسى وأخيه تبعا لمولد كل منهما ، دون ما مبرر.. وراح يبشر بأن الناس جميعا يولدون ((متساوين فى الحقوق)) .. وان الانسان يكون ((من النبلاء)) أو من ((الحقراء)) تبعا لمسلكه وتصرفه ، وليس وفقا لمولده !

ولقد حافظ ((بوذا)) على كل ما كان صالحا من المعتقدات الدينية التى تناهت اليه عن آبائه ، فلم يحارب معتقداتهم الدينية السليمة .. ولكنه اختلف عن غيره من الانبياء فى انه لم يعز شيئا من تعاليمه الى وحى الهى .. ولم يمن أتباعه أو يعدهم بالمثوبة فى السماء اذا فعلوا الخير ، ولا أنذرهم بالعقاب والجحيم ان فعلوا الشر .. بل ابى أن يقيم منهجه الخلقى على اية ضمانات ، من ثواب أو عقاب ، وانما كان يرى أن الانسان يجب أن يطرح عنه الانانية المتمثلة فى توقع الجزاء فى الحياة الاخرى بعد الموت .. أى ان ((بوذا)) كان يدعو الى أن يترفع الانسان عن الطمع والانانية ، فيفعل الخير لوجه الخير غير طامع فى ثواب ، ويتجنب الشر لغير ما خوف من عقاب .. ولتكن غايته أن يحقق لنفسه طمانينة وسكينة.. ومن ثم يصبح ((سيذارتا)) .. اى انسان ((بلغت ارادته اقصى أهدافها)) !

وهكذا نرى أن رسالة ((بوذا)) دعوة الى الزهد والتسامح .. وهو لا يزعم انها صحيحة منزهة عن أى نقص ، ولا يرى أن لاية دعوة أو رسالة أن تزعم ذلك - فان فى هذا تعصبا ، والتعصب الدينى لا يفضى الا الى فرقة وبغضاء ، ولا يحقق قط حكمة ولا سلاما - ومن ثم يقول ((بوذا)) ان أضمن طريق للخلاص ، هو الاحترام المتبادل بين البشر جميعا ، والاجناس جميعا ، والعقائد جميعا ، ولهذا يدعو اتباعه الى أن لا يستخدموا فى حمل الغير على اعتناق البوذية أى سلاح سوى الاقناع والمنطق .. وكان يقول : ((اذا لم أستطع أن أقنعك ، فلا ينبغى أن أدعوك الى دينى)) !

الاعتدال ، هو سر السعادة !

◆ ولم يكن «بوذا» يعنى بالجانب اللاهوتى من رسالته ، وانما كان يصب اهتمامه على الفلسفة الأدبية والمبادىء الخلقية .. فكان يقول : « لست أعرف شيئا عن أسرار الله ، ولكنى عرفت طرفا عن شقاء الانسان!» .. ولهذا آلى على نفسه أن يخفف من هذا الشقاء بقدر ما تمكنه طاقته البشرية .. وابتكر لذلك نظاما قوامه « التقوى والرحمة » ، يستند الى الثالوث الخلقى : الاعتدال ، والصبر ، والحب ..

وقد بين لاتباعه بأعماله حكمة الاعتدال .. فلقد ولد فى أحضان الترف الباذخ ولكنه سرعان ما مل النعيم والرفاهية ! .. وجرب حياة الاسراف فى الزهد والتقشف فلم يلبث أن سئمها هى الاخرى .. وانتهى الى أن اتخذ طريقا وسطا فوجد السعادة الحقة فى الاعتدال ، و«عدم الاكثار من أى شىء ».. واخذ يدعو الى كبح النفس عن أى افراط .. كان ينكر كل انتشاء فيعارض نشوة الشهوة ، ونشوة السلطان ، ونشوة الغزو والفتح ، ويرى أن ثلاثتها تفضى فى النهاية الى جنون .. وان المغالاة فى الطموح والطمع فى أى شىء دليل على مرض الروح .. والصبو الى التسلط على الضعيف ، والى الحرب والغزو ، لا يجلب سوى البغضاء ، وهى أقوى من الموت وأسوأ !

فكيف اذن نقاوم تعطش القلب البشرى الى الغلبة والغزو ؟ .. انه السؤال الذى يحير ساسة العالم فى كل عصر ، وفى هذه الايام بالذات.. وقد أجاب «بوذا» عنه بأن العلاج الناجع هو «الصبر» .. هو الصفح عن المعتدى الغازى ، ومعاملته كما لو كان طفلا مريضا .. ومقابلة البغضاء بالرفق واللطف .. لان هذه الطريقة هى الوحيدة التى يمكن بها تحويل العالم عن الهمجية والعراك الى التمدين والوئام والمساواة !

وكان «بوذا» يعلم قومه شجاعة احتمال العذاب دون اظهار الالم .. والقدرة على احتمال الموت دون الانتقام بالقتل .. ولكن أسمى تعاليمه كلها تمثلت فى الصبر على الأذى ، وان تكون المحبة هى الرادع دون اراقة الدماء .. **كان يرجو ان يغرق الدنيا فى سيل من الحب يغسل عنها كافة الاوشاب.. وبدافع الحب هجر العرش ليعيش بين المعوزين ! وراح يدعو أتباعه لان يحذوا حذوه ، فينزلوا عن عرش الغرور ويختلطوا فى تواضع باخوتهم فى البشرية .. ومن ثم كان على كل راغب فى ان ينضوى تحت**

لواء ((جماعة الثوب الاصفر)) ـ نساك البوذية ـ أن يرتفى حياة ((الهائم على وجه البسيطة ٠٠ جواب الآفاق))٠٠ وان يقسم على أن يطرح عن باله تماما كل ما يتعلق بالزمن والادراك ، ويكرس نفسه وحياته لهدف واحد : السعادة عن طريق السلام ! ٠٠ وان يعيش وقد تحرر من نعرة الاصل والمحتد ، ومن الخرافات ، واعتنق البساطة والاخلاص واللطف ٠٠ اى أن يعيش بحيث لا يتسبب فى الحاق ضرر بأى كائن حى ، لان الايمان بتناسخ الارواح يجعل كل بوذى يشعر بأن ثمة رابطة تربطه بكل شىء حى، لا بالآدميين وحدهم ٠٠ ومن ثم فخير الحياة أن يكون المرء كالنحلة ، تمتص رحيق الزهرة دون أن تصيبها ، او تصيب لونها او عبيرها ، باى اذى !

ولا بد للناسك البوذى من أن يؤمن بكل هذا ، وأن يخلص لمبدأ الأخوة المتعاونة ٠٠ واذ ذاك يرتدى مسوحه الصفراء ، ويحمل وعاء للتسول ، وفأسا للاحتطاب ، وسلاحا يحلق به شعره ، ودلوا ٠٠ ولا حاجة به الى حمل أى سلاح للدفاع عن نفسه ، فان ((نجاح ارادته فى بلوغ أهدافها)) هو خير سلاح ٠٠ والتجرد من الكراهية والبغضاء هو خير درع !

وكان ((بوذا)) اذا ما بلغ أحد تلاميذه هذه المكانة ، قال له : ((انطلق فى الارض ، وبشر برسالتى ٠٠ قل لهم ان الفقير والغنى ، والوضيع والرفيع ، كلهم سواسية ٠٠ وان الطبقات جميعا تتوحد فى هذا الدين ، كما تصب الانهار فى البحار !))

ابن ((الراجا)) يتسول فى الطرقات !

◆ وقد يمم «جاوتاما» يوما ـ وهو يضرب فى الارض ـ صوب «كابيلافاستو» التى كان أبوه يحكمها ، والتى ولد ونشأ بين ربوعها ٠٠ وخف أعمامه وأخواله واخوته للقائه فى أحد الاحراش ، فلما رأوا ما كان يرين عليه من فقر وذلة ، أشاحوا عنه ، وعادوا أدراجهم فى أسى وحزن٠٠ فما كان من «جاوتاما» الا أن حمل وعاء التسول وانطلق بين الناس يسأل صدقات ٠٠

وتناهى الى أبيه «الراجا» ان ابنه يتسول فى الطرقات ، فخف الى مقابلته وسأله : ((لم تنزل بنا هذا الخزى ؟)) ٠٠ فاجابه : ((هذه طقوس ملهبنا الدينى يامهراجا))

ـ ولكننا ننحدر من عنصر محارب مجيد ٠٠ من قوم يعطون ويأخذون ولكنهم أبدا لا يتسولون !

فرمق الابن أباه فى تسامح وقال :((**لك أن تفخر وأسرتك بأنكم من سلالة الملوك ، أما أنا فانتمى الى الانبياء ٠٠ وقد عاش الانبياء دواما على الصدقات !))** .. ثم انفجر فى اعتزاز : ((**أنا الآخر لدى ما أعطيه وأجود به .. وإذا قدر لابن أن يعثر على كنز خبىء ، فمن واجبه أن يقدم لابيه أثمن جواهره))** .. ثم انطلق يعظ أباه بمبادىء رسالته الرئيسية ..

ولم يجبه « الراجا » ، وانما تناول من ابنه وعاء الصدقات ، وقاده الى القصر ، حيث اجتمع أفراد الاسرة والخدم والحشم للترحيب به ٠٠ فلم يتخلف عن استقباله سوى فرد واحد : سوى « ياسوذارا » زوجته٠٠ اذ قالت : « اذا كانت لى فى نظره قيمة ، فسوف يأتينى ساعيا الى ! »

وفاء زوجـة !

◆ **وإذ** فطن « جاوتاما » الى غيابها ، أخذ يبحث عنها ، حتى وجدها فى مخدعها حيث رآها آخر مرة وهى نائمة وقد وسدت ابنها ذراعها ٠٠ وما أن رأته فى مسوحه الصفراء ، وجمجمته الحليقة ، ووجهه الضامر ، حتى طغت عليها ذكرى حياتهما السعيدة السابقة ، فجثت على ركبتيها ، وارتمت على قدميه تنتحب ..

وقال «الراجا» لابنه وهو يشهد أساها : ((**الا اصفح عنها يابنى كما غفرت لك ٠٠ لقد ظلت ((ياسوذارا)) طيلة هذه السنين مقيمة على حبك ٠٠ رفضت كل الوان الترف ، وعافت فاخر الثياب ، وطيب الطعـام ، وراحت تنتظر فى صبر عودة مولاها وزوجها ٠٠ لم تكن تاكل سوى وجبة واحدة فى اليوم٠٠ وكانت تفترش الارض ، تابى ان تمس سرير عرسها !))**

وغض «جاوتاما» بصره فى صمت ٠٠ بينما نهضت «ياسوذارا» تبحث عن ابنها «راهولا» ، فألبسته خير ثيابه ، وأنبأته بأنها ستأخذه الى حيث يرى أباه ٠٠ فقال الصبى : « لست أعرف لى أبا سوى الراجا ٠٠ فمن يكون أبى الآخر ؟ »

وولجا الغرفة التى جلس فيها « جاوتاما » يتناول بعض الارز ، فقالت « ياسوذارا» لابنها : « هاك أباك ٠٠ لقد سمعته يتحدث عن كنز كبير اكتشفه ، فاذهب اليه وسله حقوقك ! ٠٠ قل له : « أنا ابنك ، ولسوف تؤول الى عمادة العشيرة ، وسأحتاج الى ميراثى ٠٠ فاعطنيه ! ٠٠ هيا ! »

وسعى الصبى الى « جاوتاما » ، فقال له : « يسرنى يا أبت أنك عدت **لتعطينى ميراثى !))** .. **فلم ينبس ((جاوتاما)) ببنت شفة ، بل اخلد الى التفكير ، حتى اذا فرغ من الاكل ، نهض فسار الى الحرش الذى ترك**

فيه تلاميذه خارج المدينة .. وتبعه «راهولا» وهو يساله من جديد : «اتوسل اليك يا أبت أن تعطينى حقى ! »

.. وبلغا احدى الشجيرات ، واذ ذاك تحول «جاوتاما» الى ابنه وقال فى ابتسامة رقيقة : « أحسنت صنعا يا بنى اذ سألتنى ميراثك الذى هو من حقك » .. ثم التفت الى الحوارى الذى كان يعنى بشئونه وقال له : « أسلم راهولا وعاء لجمع الصدقات ، وضمه الى مذهبنا والى نساكنا ، وعلمه كيف يتبعنى » !

ايامــه الاخــيرة ..

◆ وراح « جاوتاما » ـ خلال ما تبقى فى حياته من سنين ـ يتنقل من بلد الى بلد ، ويهبط وأتباعه فى الاحراش والحدائق المترامية عند أطراف العمران ، أو على ضفاف الانهار .. وكان عدد تلاميذه وأتباعه فى ازدياد مضطرد ..

وأخيرا .. توقف ذات يوم ـ وقد تجاوز الثمـانين من عمره ـ عند حانوت حداد ، ليتناول غداءه .. ثم سعى الى دغل ، فاستلقى على فراش من ورق الشجر ، وقد برح به المرض .. وتجمع تلاميذه حوله فى جزع وقلق ، فتطلع اليهم وقال : « لا تظنوا ان قد قضى على الدعوة لان معلمكم قد ولى ! »

وراح يقترب رويدا من «طمأنينة النعيم الهادئة الساكنة» .. دون أن يدرك مدى ما قدر لدعوته من خلود فى مستقبل أيامها .. بل دون أن يخطر بباله انه ـ وهو المعلم الذى أبى أن يؤمن بالله ـ قد قدر له أن يعتبر «الها» لدين جديد .. كما هو ايمان البوذيين !

بنك مصر
أسس شركاته الكبرى التى وطف بها خصائص البلاد
واستخل مرافقها فإذا بها الدعائم التى قام عليها
التصنيع القومى فى البلاد وكانت السياج المنيع للتحرر
الاقتصادى منذ ٣٣ عاما فدل على الكفاية المصرية
وتفوق العقل المصرى فى مضمار الحياة العملية

الحياة قصة

روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ...

قرات معى فى الاعداد الماضية قصص :

- اموك : لستيفان زفايج
- مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى
- قلب عذراء : جون جالزورثى
- التلميذ : بول بورجيه
- احدب نوتردام : فيكتور هوجو
- جريمة حب : بول بورجيه
- جين اير : شارلوت برونتى
- ايام بومباى الاخيرة : ليتون
- مانون ليسكو : الاب بريفو
- حديقة الله : روبرت هتشنز
- عندما تحقد المراة : اونيه
- آسيا : ايفان تورجنيف
- كاس تمبرلين : سنكلير لويس
- الشيطان على الارض : رسل
- رسالة من مجهولة : زفايج
- تاييس : اناتول فرانس
- بلاد العميان : هـ.ج. ويلز
- نادى الانتحار : ستيفنسون
- كوخ العم توم : ستو
- البوهيمية : هنرى موجيه
- فتاة لها ماض : بورجيه
- شيرى : كوليت
- الجريمة والعقاب : دستويفسكى
- لحن كرويتزر : تولستوى
- اميرة مصر : جورج ايبرز
- الامطار : سومرست موم
- افروديت : بييرلويس
- جيجى : كوليت

واليوم اقدم لك احدث قصة اصدرها الاديب الالمانى الفحل ((توماس مان))

تلخيص : الاستاذ محمد بدر الدين خليل

هذه القصة .. ومؤلفها

◆ اتسم الادب الروائى الالمانى الى حد كبير بانه كان دائما يعتد بالفكرة ويقدرها ويرتكز عليها .. وقد اتخذت هذه الفكرة فى كثير من الأحيان الطابع العلمى .. وقد كان ((توماس مان)) - اعظم اديب المانى معاصر - من اقدر الكتاب الذين بنوا الروايات على افكار علمية كسوها بالخيال والرومانسية ..

وهذه الرواية تدور حول فكرة علمية سادت المانيا فى العقدين الثانى والثالث من هذا القرن ، ثم عادت اليوم الى الظهور ، لا فى أوربا وحدها ، بل فى امريكا ايضا ، وأصبحت موضوعا لأحدث الابحاث الطبية والنفسية .. وهى الفكرة التى قرأها قراء ((كتابى)) ولا يزالون يواصلون قراءتها فى كتاب ((الرغبة فى الحياة)) : فكرة العلاقة بين الحالات والانفعالات النفسية ، وبين الامراض البدنية ! .. وقد عالج ((مان)) فى هذه القصة حالة الشبق الجنسى عند المرأة فى خريف عمرها ، بجرأة وصراحة علمية رائعة ، بلغ فيها أوج براعته فى الجمع بين التحليـل النفسى ، والبحث الطبى ، والخيال القصصى .. فى آن واحد !

وقد ولد ((توماس مان)) فى (لوبيك) بالمانيا فى ٦ يونيو سنة ١٨٧٥ ، وانتقل مع اسرته سنة ١٨٩٤ الى ميونيخ ، حيث بدأ يمارس هوايته الأدبية ، فاصدر قصته الاولى ((خيبة أمل)) عام ١٨٩٦ ، ثم ((اسرة بادنبروك)) عام ١٩٠٣ ، و ((الموت فى البندقية)) عام ١٩١١ .. الخ .. وفى سنة ١٩٢٩ منح جائزة ((نوبل)) فى الأدب .. ثم نفاه هتلر عام ١٩٣٨ لأسباب سياسية ، فعين منذ ذلك التاريخ استاذا بجامعة برنستون بأمريكا . والقصة الحالية هى أحدث انتاج له ، فقد أصدرها منذ أسابيع بعد ان بلغ الثمانين !

- ١ -

◆ فى مدينة ((دسلدورف)) - القائمة على ضفة نهر ((الراين)) - كانت تعيش فى العقد الثانى من هذا القرن ، أرملة مضى على ترملها ردح من الزمن - هى فراو (مدام) ((روزالى فون توملر)) - وابنتها ((آنا)) وابنها ((ادوارد)) ، حياة رخية وان لم تكن باذخة .. وكان زوجها قد فقد حياته فى بداية الحرب ، لا فى الميدان ، وانما فى حادث سيارة نجم عن تهور ..

وقد تحملت الزوجة الصدمة القاسية فى جلد ، رغم انها كانت قد تجاوزت الاربعين بقليل ، ورغم ان الحادث لم يحرمها من اب ولديها فحسب ، وانما حرمها من زوج مرح لم تكن انحرافاته العديدة عن قيود الوفاء الزوجى ، سوى مجرد مظهر لحيوينه العارمة !

وبعد موت زوجها انتقلت الأرملة مع ابنتها التى كانت فى الثامنة عشرة من عمرها ، وابنها - الذى كان فى السادسة - الى ((دسلدروف)) ، حبا فى منتزهاتها الجميلة - اذكانت روزالى فون توملر مولعة بالطبيعة - وتمكينا للابنة التى كانت تهوى الرسم من الالتحاق بمعهد الفنون .. وظلت الاسرة طيلة السنوات العشر التالية تقيم فى بيت متواضع تحوطه حديقة ، فى شارع هادىء تحف به ((الفيلات)) من الجانبين .. وكانت أبواب البيت مفتوحة دائما للاقارب والاصدقاء ، وبينهم أساتذة فى معهدى الفنون والطب .. وكانت روزالى فون توملر ميالة للاختلاط بالناس ، بقدر ما وسعتها ظروفها .. وكانت محبوبة لبساطتها ، وبشرها ، ودفء قلبها - الذى تمثل فى حبها للطبيعة - وكانت ضئيلة الجسم ، لكنها ظلت مع ذلك محتفظة برشاقتها ، تبدو شابة بفضل عينيها الجميلتين الفياضتين بالحيوية ، فى وجه يطفر بالانوثة والرنق ..

وكانت ((روزالى)) من مواليد الربيع ، احتفلت فى أحد أيام شهر الربيع - مايو - بعيد ميلادها الخمسين ، مع ولديها وبعض الاصدقاء .. وبدا أن صحتها تأثرت فى ذلك المساء ببعض العوارض التى تنتاب النساء فى عمرها - نتيجة خمود الانوثة فى جسدها - الامر الذى كانت تقابله بمقاومة نفسية متكررة ، أدت الى أن أصبح ينتابها القلق ، والاضطراب العاطفى ، والصداع، والانفعال ، وصار يسود بعض أيامها الوجوم والهم ..

وكانت على مودة فياضة وثقة متبادلة مع ابنتها التى اتخذت منها صديقة لم تعد تتحرج من الحديث معها حتى عن الاعراض التى تنتابها فى هذه المرحلة !.. وكانت ((أنا)) تقترب حثيثا من العام الثلاثين من عمرها دون أن تتزوج .. وهو أمر لم يثر فى نفس ((روزالى)) كثيرا من الاستياء ، اذ كانت - بدافع من الانانية - تؤثر أن تستبقيها زميلة فى البيت وشريكة فى الحياة .. وكانت فراولين (الآنسة) ((فون توملر)) اطول قامة من امها ، ومع انها أوتيت عينين عسليتين كعينيها ، الا انهما كانتا تفتقدان العواطف الحارة التى كانت تفيض من عينى الام .. كانت نظراتهما تنم عن تفكير ، وهدوء .. فلقد ولدت ((أنا)) بعاهة مؤلمة ، اذ كانت احدى قدميها مشوهة ، الامر الذى جعلها تعزف عن الرقص والرياضة ، وعن الوان النشاط التى يمارسها الشباب .. على أنها أوتيت ذكاء خارقا يعوضها عن عاهتها ،

فاستطاعت بالدراسة فى البيت أن تجتاز الامتحـــانات .. ثم تحولت الى الفنون الجميلة ، فابدت نبوغا فى الرسم .. ولم تكن تميل فى هذا الفن الى النقل المجرد عن الطبيعة ، بل كانت تصور الطبيعة بالاشكال التى يوحى بها اليها شعورها ، وفى أشكال زخرفية ورمزية ، وتعنى باتخاذ طريقة خاصة فى مزج الالوان وفقا لالهامها .. بيد أن هذا لم يكن يروق لذوق أمها ، فقد كانت هذه تعجب بالطبيعة على ما هى عليه ، وتحب لابنتها أن تنقلها نقلا ، وأن يكون افتنانها فى التقليد ..

ولقد أدركت « أنا » من باكورة الشباب أن عاهتها قمينة بأن تعترض اى ميل عاطفى يساورها نحو الجنس الآخر ، فحصنت نفسها ضد مثل هذا الميل بكبرياء كانت كفيلة بأن تصد أى شاب على استعداد لان يهواها، رغم عاهتها ! .. ولقد احبت مرة ، عقب انتقال الاسرة الى « دسلدروف » ، فلم تكف عن الشعور بالخجل والندم لانسياقها لعاطفتها هذه التى جعلتها تميل الى الجمال الجسمانى الذى خلعته الطبيعة على كيميائى شاب بلغ منصبا طيبا فى احد معامل المدينة ، واستطاع بجماله ومكانته وبراعته أن يكسب قلوب الكبار والصغار ، وان يستهوى الفتيات .. وقدر لأنا ان تضعف كما ضعفت سواها .. وحاولت جاهدة أن تبقى على كرامتها ازاء هذه العاطفة .. وحلا للشاب أن يتقرب اليها فترة من الزمن ، يستمرىء صحبتها ، ويحدثها فى الادب والفن ، ويخفض من صوته ليهمس اليها ببعض التعليقات الساخرة عـــن بعض المعجبات به !.. لم يكن يعنيه ما كانت تبعثه سخريته من غيرها من النساء فى نفسها من سعادة هانئة ، بل كان كل همه ان يلوذ بصحبتهـــا واحاديثها المثقفة من مطاردة العاشقات !.. وبلغ من اقباله على « أنا » ان أوحى اليها ضعفها - بعد طول المقاومة - بأن الشاب أوشك ان يقدم على خطبتها .. وجزعت ، ولكنه كان جزعا عذبا مستطابا .. غيـــر ان طموح الشاب لم يلبث ان جعله ينأى عنها ، ليتزوج من ابنة احد الاثرياء ؟

ولقد عرفت « روزالى » التجربة الاليمة التى مرت بها ابنتها .. وتلقتها بين ذراعيها ، ووسدتها صدرها لتبكى ما شاءت ، غيظا وخجلا ، فقد أوتيت « فراو فون توملر » ادراكا فذا لكل ما يعرض لوجود المرأة ، سواء من الناحية البدنية أو من الناحية النفسية ، ولكل ما خلعته الطبيعة على المرأة .. لذلك فانها كانت قد أدركت من الابتسامة العابرة ، وومضة العين العاجلة ، أن ابنتها أغرمت بالشاب .. وكانت تدرك نفسية المرأة ، فسرها أن ترى « أنا » تعاون أخاها الصغير فى دروسه ، فى غير ما برم ، اذ وجدت فى ذلك نوعا من الارضاء النفسى لها ، لما يوحيه اليها من الشعور بالتفوق على الجنس الآخر !

ولا يمكن القول بأن « روزالى » كانت تشعر بأى اهتمام خاص نحو ابنها ، الذى كان يشبه أباه فى طوله واحمرار شعره ، بل كانت غاية ما بينهما صداقة فاترة ، اعتادت الام أن تبديها لمجرد المظاهر ، مؤثرة ابنتها ـ دونه ـ بكل صداقتها وثقتها !٠٠ ولو انها كانت تضحك من « أنا » لسذاجتهـا ، وامتعاضها الظاهر كلمـا أصرت على أن تحدثها عن الطبيعـة ٠٠ ولكن ما حيلتها ؟٠٠ ان الكلمات تعجز عن وصف حبها للربيع ، الفصل الذى ولدت فيه ، والذى كان يبعث فيها تيارات خفية من الصحة والابتهاج ٠٠ الفصل الذى كانت تورق فيه الاشجار ، وتسبغ الطبيعـة على الطرق الخلوية التى كانت تخرج للنزهة فيها مع « أنا » شاعرية ساحرة ٠٠ **وكانت تهنأ اذ تدس وجهها فى طاقة من الورود ، وتغمض عينيها ، وتروح تستنشق الرائحة التى كانت تصفها بأنها « عبير الآلهة » ٠٠ وما كانت « روزالى » لتستخدم شيئا من العطور المصطنعة ، ولكنها كانت تحب كل شذى طبيعى حبا يفوق الوصف ٠٠ وكانت تقول لابنتها اذا ما سارتا متنزهتين فى الخلاء المخضوضر ، المزدهر : « يا للروعة !٠٠ انها أنفاس الطبيعة ٠٠ تعالى نستمتع بها فى خشوع ، فما نحن الا أبناء للطبيعـة أيضا !٠٠ هذا ما ينبغى أن ترسموه يا معشر الرسامين ٠٠ ما اظنكم تريدون أن تقصوا الطبيعة عن الفن ٠٠ ان العبير شىء محسوس ومبهـم فى آن واحد ٠٠ صحيح اننا لا نراه ، ولكنه يتحدث الينا خلال الاثير ، فخليق به أن يفتنكم ويحملكم على أن تصوروه للبصر ! »**

✠

❖ وفى احدى نزهاتهما فى فترة باكرة من مراهقة الابنـة ، أحست فراولين فون توملر بألم طارىء ، لم تلبث أن صارحت به أمها ، فهتفت فراو فون توملر : « ألم ؟٠٠ أهى ٠٠ آه ، كيف نسيت أن أنبهك يا طفلتى ؟ ٠٠ اصفحى عنى ٠٠ »

كانت فراولين فون توملر من البداية تعانى آلاما فى المعدة قبيل دورة الحيض الشهرية ، ولم تكن هذه الآلام ذات أثر يذكر فى حد ذاتها ، اذ قال الطبيب انها ضريبة على المرأة لا بد من أدائها نتيجة لتكوينها الجسدى ولا داعى للتوجس منها ٠٠ وراحت الام فى الطريق تخفف عن ابنتهـا قائلة : « أتذكرين أول مرة ؟٠٠ لقد برح بك الخوف ، ولكننى بينت لك أنها مسألة طبيعية وضرورية ، وانها فى الواقع مدعاة للزهو والابتهاج ، لانها دلت على أنك قد نضجت أخيرا وأصبحت امرأة ٠٠ أما هذه الآلام التى تسبقها فليست سوى بلاء من الطبيعة ٠٠ ان الآلام بالنسبة لنـا معشر النساء ، شىء يختلف عنها بالنسبة للرجال ٠٠ انهم لا يشعرون بآلام

سوى آلام المرض .. أما جنسنا ، فالامر مختلف بالنسبة له . اننا نتقبل الآلام فى صبر ، فنحن ((معشر الصابرات)) خلقنا للالم .. لاننا نعرف الالم الطبيعى ، الصحى !.. الالم القدسى الذى آثرنا به الله .. الم المخاض والوضع .. آلام المعدة التى تنتابك قبل الدورات ليست نذر مرض ، وانما هى نوع من الترويح يتخلل مختلف أنواع الآلام التى تعانيها المراة فى حياتهـا .. انها مدعاة للزهو ، لانها وظيفة من وظائف جنسنا .. فطالما كانت الواحدة منا امراة ، فان فيضا من دماء الحياة لا ينفك ينصب فى جهاز الامومة لديها ، لتستخدمه الطبيعة الغالية فى تهيئة الجهاز لاستقبال البيضة الملقحة .. فاذا تم هذا ، امتنعت الدورة الشهريـة وحملنا .. ويا لها من فرحة فى حياة المراة !.. لذلك فخليـق بك أن تغتبطى وتزدهى لانك فى عنفوان قوتك الدموية .. ولقد كان يسعدنى أن أتحمل الآلام لو ان الدورة ظلت معى ، ولكنها لسوء الحظ هجرتنى .. أخذت فى النضوب وعدم الانتظام حتى انقطعت تماما فى الشهرين الاخيرين .. وتقول التوراة فى حديثها عن ((سارة)) ان معجزة وقعت حين ارتد اليها الاخصاب بعد أن انقطعت عنها الدورة لكبر السن .. ولكنى لا أظن أن هذا يحدث فى أيامنا !.. بل ان الدورة حين تنقطع ، لا تعود المراة امراة ، وانما تغدو شبحا ضامرا ، ذاويا ، لا نفع من ورائه .. تغدو فضلة نبذتها الطبيعة !.. وما أمر ذلك على نفس المراة يا طفلتى !.. اننا على العكس من الرجال ، لم نمنح سوى خمس وثلاثين سنة من أعمارنا لنكون نساء ! »

ولم تجب « أنا » ، تعليقا على هذه العبارات المفعمة بالمرارة ، بما تجيب به النساء عادة .. وانما قالت : ((كأنى بك يا أماه تتجاهلين المجد الذى يصيب المراة المسنة اذ تكون قد أدت رسالة حياتها ، فصيرتها الطبيعة الى مخلوقة واهنة ، كريمة ، حبيبة .. تقولين انك تحسدين الرجال لان عمرهم الجنسى غير محدود بالدرجة التى حدد بها عمر المراة ، ولكنى أرتاب فى أن فى هذا ما يستدعى الحسد ، فان المجتمعات المتمدينة جميعا حرصت على ان تضفى على المراة المسنة أرفع ألوان التكريم !))

فشدت روزالى ذراعها حول ابنتها وقالت : « ولكن ضريبة هذا المجد قاسية، فهى تفرض على الجسد حرمانا وعذابا ، لا سيما اذا كان القلب والعقل ما يزالان مفتحين للحيـاة ، متمردين على ضمور الجسد وجفافه .. ان تكيف الروح وفقا لحالة الجسد الجديدة لأصعب أمور الحياة ! »

— بل اعتبرى الروح والجسد واحدا .. فالنفس جزء من الطبيعة كالجسد، والطبيعة تعنى بالنفس عنايتها بالجسد ، فتهيئها للوضع الجديد .. والواقع

أن ليس للمرأة أن تشقى بذلك ، لان الجسد هو الذى يشكل النفس وفقا لحالته !

*

◆ وما قالت فراولين توملر هذا الكلام اعتباطا .. فالواقع انها كانت قد شرعت تتبين تطورات تحدث فى صمت ، فتكاد تذهلها !.. كان ثمة وجه جديد قد بدأ يظهر مرارا فى بيتهم .. وجه عادى ، ولكن صاحبه أوتى ذكاء ممتازا .. وجه شاب أمريكى فى الرابعة والعشرين من عمره يدعى « كين كيتون » ، طوحت به الحرب الى « دسلدورف » فأقام بعدها فى المدينة يدرس الانجليزية فى البيوت ، ويدرب زوجات رجال الصناعة الاثرياء على اتقان النطق بها .. وقد عهدت اليه فراو فون توملر بأن يلقن ابنها اللغة .. وكان « ادوارد » يجد فى طريقة النطق بالانجليزية طرافة مضحكة ، وهكذا كانت الدروس خليطا من الجد والضحك ، مما كان يجتذب الام أحيانا .. فتشترك هى الأخرى فى الضحك ..

وما لبثت ان استملحت منظر استاذ ابنها .. كان عريض المنكبين ، فارع القامة ، اشقر الشعر ، ذا وجه صبيانى تسوده السذاجة ، والود .. وكان رغم اهماله الاناقة ، يوحى بالفتوة وعنفوان الشباب .. كل هذه راقت لروزالى ، كما كانت تروق لها بساطته وتحرره من الكلفة ، ولهجته المضحكة فى النطق بالالمانية والايطالية .. وانتهى بها الامر الى ان اصبحت تدعوه للبقاء كى يتناول العشاء مع الأسرة عقب كل درس !

والواقع ان ما اذكى لديها الاهتمام به ، هو ما سمعته من انه اصاب نجاحا لدى نساء المدينة ، ومن ثم راحت تتأمله عن كثب.. فتبينت أن الشائعات لم تكن بعيدة عن الصدق !

وكان « كين » ثرثارا ، يطلق للسانه العنان فى غير تكلف ، فيثير عاصفة من الضحك .. وكان لا يفتأ يبدى اعجابه بألمانيا وحياة اهلها ، وتاريخها ، ويقول ان اهل امريكا لا يعرفون كيف يعيشون ، وانهم محرومون من التاريخ والمعالم والآثار التى تنم عن عراقة وحياة متحضرة سابقة ..

وكانت « أنا » تتأمل امها فى عجب وتساؤل .. كانت تراها طروبا فى حضرته ، بادية الانفعال احيانا ! .. وأصبحت تكثر من دعوته ، وتطيل التطلع اليه — مع أن « أنا » لم تكن ترى فيه ما يثير الاهتمام ! — وكثيرا ما كانت « روزالى » تسأل ابنتها — حين يكون مستر كيتون قادما — عما اذا كان أنفها محمرا .. وكان المعروف عنها أن أنفها يتضرج اذا ما تولاها انفعال عاطفى !

وادركت ((أنا)) ان امها قد بدأت تهوى مدرس ابنها الشاب ،دون ان تبدى مقاومة ما لعودة عواطفها الى الازدهار !.. ولعلهـــا لم تكن شاعرة بحالهـــا ، ولكنها على أية حال لم تحاول أن تكتم ما بها .. واذا لم تكن العواطف الجديدة قد استخفتها ، فانها لم تعن باخفائها !

وتكشف الموقف جليا لأنا المعذبة ذات مساء قائظ من شهر سبتمبر ، وكان ((كين)) يتناول عشاءه مع الاسرة .. فقد اقترح ((ادوارد)) ان يخلـــع والضيف سترتيهما تخففا من الحر .. وكان ((كين)) يرتدى سترته على قميص من الحرير ((الجرسيه)) بغير اكمام ، فبدت ذراعاه الملتفتان ، المفتولتا العضلات ، البيضاوان ، بديعتى المنظر .. ولم يلحظ ((ادوارد)) الاثر العاطفى الذى احدثه منظر الذراعين فى نفس ربة البيت ولكن ((أنا)) لاحظته فى ألم ورثاء .. فقد أخذت ((روزالى)) تتحدث وتضحك فى انفعال محموم ، وقد جحظت عيناها ، وغاضت دماؤها ، واخذت نظراتها تتهاوى - على الرغم منها - على ذراعى الشاب !

.. وظلت « أنا » تستنكر الموقف فى مرارة ، حتى اذا سنحت لها الفرصة ، تعللت بأن البرودة بدأت تشيع فى جو الليل ، ونصحت الشابين بارتداء سترتيهما ! .. على ان امها لم تلبث ان ختمت الموقف فجأة عقب العشاء ، حين شكت من صداع ومضت لائذة بغرفتها ، حيث اضطجعت على اريكة ودفنت وجهها فى الوسادة ، مستنكرة حالها .. جزعة لاضطـــرارها لأن تعترف لنفسها بالعاطفة الحامية التى اعتورتها ! ..

واخذت تهتف لنفسها : ((يا الهى ! .. اننى احبه .. اجل ، احبه ، انا التى لم تحب ابدا .. والتى اعتزلت النشاط الانثوى ، اذ أحالتها الطبيعة الى مرحلة الكبر الجليل الهادىء .. أليس من الكثير ان استسلم لنزوة الاشتهاء ، كما أفعل فى خيالى المنعور حين أرى ((كين)) وأشـــهد ذراعيه فاحن فى جنون الى ان تحتضنانى ؟ .. هل انا عجوز لا حياء لها ؟ .. لا ، بل اننى استحيى اذ القاه ، واخجل امام شبابه ، فلا أدرى كيف انظر الى عينيه اللتين تفيضان بمودة صبيانية ، وسذاجة لا تتـــوقع منى هذا الجيشان العاطفى الملتهب ! .. ان عصا الحياة قد هوت على ، فبعثت فى كيانى الجاف نشوة مخجلة .. اننى أشتهيه ، انا التى لم اشته من قبل ! .. كان زوجى هو الذى اشتهانى فى صغرى ، فانصعت له ، واستسلمت لغزله ، ورضيت به زوجا وهو فى عنفوان الرجولة ، وكنا نسلم نفسينـــا للشهوة حين يحلو له .. ولكننى فى هذه المرة انا التى أشتهى ، بمحض رغبتى وارادتى ! .. لقد التقطته عيناى كما تلتقط عينا الرجل المرأة التى

ينشد ! .. هذا حكم السن .. حكم كهولتى وشبابه .. ولكن الكهولة لا تكون سعيدة ولا معتدة بذاتها وهى تشتهى ، بل انها تمتلىء بالعار والخوف أمام الشباب وأمام الطبيعة بأسرها ، لانها لا تليق لذلك !.. أواه ، كم من أسى يرتقبنى ، اذ كيف لى أن آمل أن يسر لرغبتى ، وأن ينصاع لهواى ، كما انصعت لزوجى ؟.. انه ليس فتاة، وانما رجل مفتول الذراعين، يود أن تشتهيه النساء لنفسه ، وينعم بحظوة بالغة لديهن.. **ان نفسى لتتلوى وتصرخ لفرط الغيرة ، فان لديه من نساء المدينة أكثر مما ينبغى .. أكاد اجن اذ أتصورهن ينعمن بانفاســه الدافئة ، وشفتيه ، وبيديه تتحسسان اجسامهن !.. اننى افوقهن حسنا ، فانا أجدر منهن بلمسات يديه .. وأى حنان وولاء أستطيع أن أمنحه !.. ولكنهن لا يزلن فى الربيع ، أما أنا ففى جفاف .. يا للغيرة ، والعذاب ، والدموع .. يا للغيرة الماحقة !..** اننى لا أنكرها ، بل اننى أستمرىء العذاب والآلام ، وان تعارضت مع التطور البدنى الذى أتعرض له .. ان الحالة النفسية وليدة الحالة البدنية ، فالجسم يصوغ النفس .. هكذا قالت ((أنا)) .. وهى قد تعذبت ، وأحبت دون ان يكون لحبها مبرر معقول ، فتألمت وأحست وطأة الحياء والذلة .. ولكنها تخطىء فى عدم ايمانها بالمعجزات ، اذ أنها لا تعرف أن الطبيعة تستطيع أن ترد الى النفس ازدهارها مهما تقدمت السن .. ازدهار الحب ، وازدهار الشهوة . وازدهار الغيرة .. أما أنا فأومن بمعجزة نفسى وحواسى ، وسأخضع للمعجزة التى آثرتنى بها الطبيعة ! »

وقضت ليلة ليلاء ، كان القلق البالغ يقض خلالها مضجعها .. فلقد استهواها ان بعثت فى نفسها القدرة على التفتح للعواطف النسوية .. ولم تفكر فى الله ، فقد كانت تولى الطبيعة كل خشوعها ، فاوحت اليها تقواها ان تمجد ما انعمت عليها به هذه الطبيعة ، وان كانت مضطرة الى اخفاء هذه النعمة ، حتى عن ابنتها التى كانت تستودعها ثقتها .. بل عنه هو الآخر ..

عن المحبوب الذى لم يكن ليحدس شيئا .. اذ كيف تجرؤ على التطلع الى شبابه ؟.. وهكذا دب الى علاقتها بـ «كيتون» شعور بالذلة والانكسار لم تقو على مغالبته رغم كبريائها ، ولا على اخفائه عن عينين متفرستين نفاذتين كعينى « أنا » .. بل لقد انتهى الأمر الى ان لاحظ « ادوارد » كل شىء هو الآخر ، فكانت تمر بالاخوين لحظات ينحنيان فيها على طبقيهما ، ويعضان شفتيهما ، و « كين » يجيل بصره متسائلا والصمت يدهشه ، ولكنه لا يفقه من الامر شيئا !

وانتهز ادوارد فرصة خلا فيها الى أخته فسألها :

« ماذا أصاب ماما ؟ » .. فأجابته فى لوم : « فيم تفكر ؟ .. لا شأن لك بمثل هذه الامور ، وفى مثل سنك هذه » .. ثم قالت ان أمهما تتعرض لنوبة من الاضطرابات المتعلقة بصحتها وراحة بالها .. ولكن الفتى لم يكن بالغر الذى يقنع بمثل هذا الجواب ، ومن ثم اقترح على اخته ان ينبىء أمهما بأنه اخذ كفايته من دروس « كيتون » ، كى يقلع الشاب عن الحضور بعد ذلك !

وفعلا ، فاتح «ادوارد» امه فى انه نال كفايته من دراسة اللغة الانجليزية .. فهتفت لفورها : « ولكن ما تقول يدهشنى يا ادوارد ، وما ارانى أحبذه .. اننى اقدر عواطفك اذ تشفق من النفقات التى أبذلها ، ولكنها مهمة لمستقبلك .. لست ادرى لم تريد ان تتوقف فى منتصف الطريق الى اتقان الانجليزية ! .. والى جانب ذلك ، فان علاقاتنا بمستر كيتون لم تعد تسمح بأن نقول له بسهولة : « لم تعد ثمة حاجة اليك ! » .. او « لك ان تنسحب الآن ياسيدى ! » .. فلسوف نفتقده جميعا ، و « أنا » بوجه خاص ، اذ اظنها ستستاء اذا كف عن الحضور وحرم مائدتنا من معرفته الوثيقة بالتاريخ .. كذلك ستفتقده انت الآخر .. لذلك يحسن بنا ان ندع الامور تجرى فى مجراها .. »

وعاد الفتى يفضى الى اخته بفشله .. واصبح تاخر « كيتون » بعد الدرس ليتناول العشاء ، امرا عاديا رتيبا .. وغدت « روزالى » تعنى بمناقشة مدبرة البيت فى اختيار أصناف العشاء فى اليوم الذى يحضر « كيتون » فيه الى الدار ! .. وكانوا بعد الانفضاض عن المائدة يجلسون ساعة فى قاعة الجلوس ، فتبذل الأم اقصى ما فى وسعها لتتجلد ، وهى تتطلع الى الشاب موضع حبها الجنونى .. ولكن النبيذ كان كثيرا ما يتعبها ويحرك فى نفسها شجنها .. فكانت أحيانا تتحمل الالم وتبقى .. واحيانا أخرى تلوذ بمخدعها فتبكى لوعة عليه !

- ٢ -

◆ وبدأ الموسم الاجتماعى بقدوم شهر اكتوبر ، فأصبحت روزالى ترى ((كيتون)) فى بيوت الغير - فى الحفلات - اكثر مما تراه فى دارها .. وكانت فى هذه المناسبات تبحث عنه ، وتفر منه ! .. تبتعد عن الجماعة التى تضمه ، ثم ترتقب فى الحجرة التى تلوذ بها ان يفد فيوليها بعض اهتمامه ، وترهف السمع الى صوته فتعرف مكانه ! .. وكان يعذبها ان ترى الغير يحيطون به ، ويتهافتون على الحديث معه بالانجليزية ، وعلى اشباع الفضول الذى يملأ الناس عادة نحو كل ما هو اجنبى ..

وكان هو يغتبط دواما بالحديث الى ((روزالى)) ، سواء فى حضور الناس، او فى خلوة ، لا لأنها مصدر جزء من دخله فحسب ، بل لأنه كان يجد فى حديثها ما يجتذبه حقا .. فقد كانت - اذا قيست بجمود ابنتها وفتورها - ذات انوثة يستعذب دفئها .. كان جسدها محتفظا بشبابه دائما ، بل ان عينيها العسليتين الجميلتين اكتسبتا مزيدا من البريق ، فيه حمى متقدة ، وفيه فتنة ! .. واخذ اللون يرتد الى ملامحها الشاحبة .. واصبحت الضحكات تنبعث منها كثيرا ، وبصوت عال ، مرح .. وما كان أسعدها يوم قالت لها سيدة تعرفها فى حفلة حضرها ((كين)) : ((ما اروعك ياعزيزتى ، وما افتن منظرك الليلة ! .. ان جمال بنات العشرين لينتابه الخسوف الى جانب بهائك !)) .. فاشاحت عن ((كين)) وقد تضرج وجهها ، ولكنها راحت تفكر - فى الوقت ذاته - فى ذراعيه ، وقد سرت فى جسدها نشوة مستعذبة !

وبعد انفضاض القوم فى احدى هذه الامسيات ، احست انها لم تعد تقوى على كتمان سرها فى قلبها .. السر الذى تمثل فى المعجزة النفسية التى كانت رغم ما اكتنفها من عذاب ومجافاة للاصول ، ذات سحر خلاب .. واحست بحاجة طاغية الى ان تفضى بهذا السر الى ابنتها الصديقة ! .. فلما عادا الى البيت ، زعمت ((روزالى)) انها تعانى صداعا ، وطلبت الى ((انا)) أن تعد شايا لكليهما وتأتى لتجالسها .. ثم ابتدرتها قائلة : ((وددت من وقت طويل أن أتحدث اليك يا ((أنا)) ، ولكن هناك أشياء يتطلب شرحها ومناقشتها جوا من الخلوة التامة ، ووقتا مناسبا ينطلق فيه اللسان .. اريد ان احدثك ياصغيرتى عن امور تتصل بالقلب .. وبالطبيعة .. الطبيعة الرائعة ، الغامضة ، التى تفعل بنا احيانا الغرائب المتناقضة ! .. لقد وجدت نفسى فى الفترة الأخيرة اكثر من التفكير فى غرامك السالف - ومعذرة اذ اذكرك بهذه المسألة ! - وتذكرت الألم الذى بحت لى به فى سباعة لا تختلف عن هذه .. ولقد كنت قاسية فى لومك لنفسك ، بل انك

اعتبرت عاطفتك عارا ، لأن عقلك وآرائك كانت فى صراع مع قلبك ، أو ـ ان شئت ـ مشاعرك .. ولقد كنت دواما ترين ان الطبيعة تخلق الانسجام والاتساق بين الجسم والنفس ، وان هذا التنـاسق لم يتوفر لديك اذ ذاك ، اعنى التناسق بين اهوائك وحكمك على الأمـور .. كنت اذ ذاك صغيرة ، وليس ثمة ما يدعوك لان تستحيى من أهوائك ازاء الطبيعة ، ولكنك كنت تخجلين منها على ضوء آرائك وتقديرك الشخصى ، فرأيت فى ذلك الحب هوانا ومذلة .. ذلك لأنك مفرطة الكبرياء يا ((أنا)) ، وترين ان من دواعى الزهو ان تجتازى الاختبارات والمحن دون ان تخرجى بشىء يدينك امام ضميرك وعقلك .. بل امام الطبيعة ذاتها ! .. وفى هذا نحن نختلف : فالقلب عندى فوق كل شىء ، واذا بثت فيه الطبيعة أحاسيس لم تعد تتلاءم معه ، بل توحى بتناقض القلب مع نفسه ، فليس من شك فى ان هذه حال تبعث الألم والخجل .. ولكن هذا الخجل انما ينبغى ان يصدر عن شعور المرء بانه غير أهل لهذه المنحة من الطبيعة !))

ـ ليس لى ان ارفض الشرف الذى تولينى اياه اذ تبدين الرغبة فى ان تفضى الى ببعض اسرارك ـ فهذا ما افهمه من كلامك ـ ولكنك حتى الآن لم تتحدثى الا عن عموميات .. فكيف لى ان افهم ؟

ـ ماذا تقولين يا ((أنا)) لو ان امك اصيبت فى سنها هذه بعاطفة طاغية لا تستولى عادة الا على قلوب الشباب ، لا على المرأة التى اشرفت على الذبول ؟

ـ أتحبين يا اماه ؟

ـ يا لصراحتك وانطلاقك ياصغيرتى ! .. ما اسهل ما تواتيك الكلمات التى تستعصى على شفتى ، والتى ظللت احتبسها طويلا ، وانا موزعة بين الخجل والفرح والأسى ! .. اجل ، لقد كتمت سرى حتى عنك .. اجل ، اننى أحب .. أحب فى قوة واشتهاء ، ونشوة وعذاب ، كما أحببت انت يوما ! .. ولكن عاطفتى لا ترتضى حكم العقل كعاطفتك ، ومن ثم فاننى أفخر بالربيع الذى بثته الطبيعة فى نفسى .. ومع ذلك فانى اتألم كما تألمت انت يوما ..

ـ ياماه الحبيبة ! .. ومن يكون ؟

ـ انها مفاجأة ستذهلك ياصغيرتى : انه صديق الأسرة الشاب ..

ـ كين كيتون ؟ .. لا تخشى ان اصيح : ((هذا غير معقول)) ! .. ومع ذلك ، فاغفرى لى عطفى المشوب بالقلق ، اذ اسألك : انك تتحدثين عن العواطف التى لا تلائم سنك ، وتقولين انك لم تعودى أهلا لها .. فهل سـاءلت نفسك عما اذا كان هذا الشاب أهلا لهذه المشاعر ؟

ـ لا اكاد افقه ما تعنين ؟ .. اننى احب يا انا ، وان كين لاروع شاب رايته فى حياتى !

ـ هل نجرؤ على قلب هذا الوضع ؟ .. الا يجوز انه يبدو لك رائعا لانك .. لانك تحبينه ؟ .. الا يمكن ان تحاولى ـ ولو لمجرد لحظة عابرة ـ ان لا تنظرى اليه على ضوء حبك ، وانما تتأمليه على ضوء النهار والحقيقة .. وان تسائلى نفسك : ماذا أوتى هذا الذى ألهمك العاطفة .. هذا الذى تتعذبين بسببه ؟

ـ اننى اقدر ما تودين ان تبذليه لى من معونة ، ولكن هذا لا ينبغى ان يكون على حسابه .. لا ينبغى أن تظلميه .. انه مخلوق لا مثيل له البتة .. فكرى فى حياته السابقة ، وفى عزيمته الحديدية .. لقد استطاع ان يشق طريقه الى الجامعة ، وان يبز اقرانه .. ولقد بادر الى تلبية نداء بلاده حين قامت الحرب ، فابلى بلاء حسنا ، ونال وساما لشجاعته .. ودفع ثمن ذلك جرحا أودى باحدى كليتيه .. فى سبيل وطنه ..

ـ انه لم يفعل سوى ما فعله كثير من الجنود .. وصحيح ان المرء يستطيع ان يحيا بكلية واحدة ، ولكن الكلية المفقودة تخلف نقصا وعيبا ، يقللان من روعة شبابه ..

ـ يا لله ! .. «كين» ناقص الرجولة !؟ .. انه كامل الى أبدع درجات الكمال ياصغيرتى المسكينة .. أو تعرفين لماذا اردت ان ابوح لك بسرى ؟ .. لاننى أحببت ان أسالك ـ وارجو ان تجيبينى فى أمانة ـ عما اذا كنت ترين ، من ملاحظاتك له ، انه على علاقة بأية امراة من سيدات المجتمع ؟ .. انهن يتهافتن عليه ، وهذا ما يجعلنى فى شك مضن !

ـ لكم تعذبين نفسك ياأمى الحبيبة المسكينة ! .. ان جوابى هو : لا اظن ذلك .. فما سمعت من احد اى اشتباه فى وجود علاقة من النوع الذى تتحدثين عنه !

ـ حقق الله قولك ياطفلتى ! .. ومع ذلك ، فانى سعيدة بعذابى وشعورى بالعار ، وفخورة بهذا الألم الذى يتفجر فى نفسى !

ـ ان تكتمك السر لم يحل دون ان تبدو لعيون من يحبونك ظواهر راقبوها بمشاعر متضاربة .. لقد لاحظت عليك تغيرا كبيرا فى الاسابيع الأخيرة ياأماه .. لاحظت ان نفحة من الشباب قد اصابتك .. وكان يبدو لى احيانا ان الأم التى كنتها منذ عشرين سنة ، تبدو من خلال اطار الكهولة المهيب الذى يحوطك .. بل لقد خيل لى احيانا اننى لم أرك قط فى هذا الشكل .. وكأنك قد ارتددت الى الصبا .. ايام ان كنت فتاة ! .. وكان

خليقا بهذا ان يبعث الاغتباط فى نفسى ، ولكنه على العكس اثقل فؤادى ! كنت فى اللحظات التى تتبدى عليك فيها امارات الشباب ، ارثى لك .. فلقد رأيت انك كنت تأملين ..

– ان الامارات التى لاحظتها على ، انما هى من فعل شبابه ! .. كانت نفسى تجاهد كى تجارى شبابه ، فلا تتهالك أمامه فى خجل وعار !

وبكت أنا .. واحتضنت كل منهما الأخرى ، وقد اختلطت دموعهما ! .. وقالت الابنة العرجاء بعد جهد : « ان هذه النزوة اللعينة تدمرك .. اننى أراها بعينى ، واسمعها فى كلامك .. يجب ان نكبحها ، وان ننقذك منها بأى ثمن ! .. ان الانسان ياماه ينسى من يكون بعيدا عن بصره ، وهذا كل ما نحتاج اليه .. يجب أن لا يأتى الشاب الى هنا بعد اليوم .. ولكن هذا لا يكفى ، فلسوف ترينه فى اى مكان آخر اذا ما خرجت .. لذلك يجب ان نترك له المدينة .. لنرحل الى « كولونى » او « فرانكفورت » ، فتخلفين بذلك وراءك ما يضنيك ويسوقك الى دمارك ! »

وانسابت « أنا » فى الحديث متحمسة ، لكن امها قاطعتها قائلة : « **كفى ، كفى يا « أنا » .. لا استطيع ان انصت لما تقولين .. هذا مستحيل .. اطرده ؟ .. نهجر المدينة ؟ .. انك تتحدثين عن الطبيعة ، ومع ذلك تصفعينها بما تطلبين .. وتريديننى على ان اصفعها بان اكتم ينبوع الألم الذى فجرته بمعجزتها فى نفسى ! .. أواه يا « أنا » .. اننى مكبلة بشهوتى ، فليس فى وسعى ان اهجر المدينة .. ولو انك حملت « كين » على البعد ، لكرهتك – فيما اعتقد – الى يوم أموت !** »

واشتد بأنا الأسى ، فآثرت ان تنصح امها بأن تنام وتستريح عسى ان تهدأ نفسها ، وتنزل عليها سكينة .. ثم استطردت قائلة : « ان قلبك الغالى ، العزيز ، يحب فى ألم .. الا ترين انه يستطيع مع الزمن ان يحب بدون ألم ، ووفقا لما يقضى به العقل ؟ .. الحب ! ما اكثر الاشياء ، وما اكثر المشاعر المتباينة التى تتضمنها هذه الكلمة ! .. ومع ذلك ، فما اغرب الحب ! .. ان الأم تستطيع ان تحب ابنها ، مثلا .. اننى اعرف ان « ادوارد » ليس مقربا اليك .. ولكن ، ما رأيك فى ان تنتهزى فرصة ان « كين » فى سن ابنك ، فتغمريه بحنان الامومة ؟ »

– وبهذا أوطد التفاهم بين الجسم والنفس فيما تحسبين ؟ .. انك ترهقين ذكاءك .. اننى متعبة ، فشكرا لك ياحبيبتى على صبرك وعطفك !

✠

◆ **ومر** اسبوع ، تناول « كين » خلاله العشـاء مرتين على مائدة آل توملر .. وكان ثمة زوجان عجوزان من اقارب « روزالي » حاضرين في

المرة الاولى ، فلاحظت « أنا » ان الزوجة أخذت تنقل بصرها فى دهشة بين « روزالى » و « كيتون » مرة او اثنتين .. فى الوقت الذى ومضت فيه ابتسامة سريعة تحت شاربى زوجها ! .. كذلك لاحظت الابنة تغيرا فى مسلك الشاب ، فقد اخذ يحرص على ان يجتذب اهتمام « روزالى » اليه كلما تشاغلت عنه !

اما فى المرة الثانية ، فقد كانت فراو فون توملر واجمة ، اذ كان «كين» بادى الاعياء .. وظهر انه كان قد افرط فى السهر فى الليلة السالفة فى احدى الحانات ! .. وقد حمل « ادوارد » القصة الى « أنا » ، فسارعت تفضى بها الى امها .. وفى نهاية السهرة ، امسكت « روزالى » باذن الشاب تعركها فى رفق ، وبصرها مسدد الى ابنتها ، وقالت : « لك كلمة تانيب من « ماما روزالى » يا بنى .. يجب ان تدرك ان بيتها بعد ذلك مفتوح لأولئك المستقيمين فى مسلكهم فقط ، وليس لخفافيش الليل ، الذين يفرطون فى احتساء البيرة .. .. اصلح من سلوكك ! » .. فتصنع « كين » الألم ، وتلوى ، حتى قارب وجهه وجهها .. وهى ماضية فى تانيبه !

وحدث بعد اسبوع حادث اذهل « أنا فون توملر » وحيرها : فحوالى الساعة العاشرة من صباح أحد الايام ، استدعت « روزالى » ابنتها الى مخدعها .. وكانت مستلقية على المقعد الطويل « الشيزلونج » ، وعلى وجهها أمارات انفعال وزهو .. وابتدرتها قائلة : « لا تنزعجى يا ابنتى ، فلست مريضة ! » ... ثم طوحت بذراعيها حول عنق ابنتها ، وهمست فى اذنها بسرعة ، وهى مبهورة الانفاس : « مرحى للنصر يا أنا ! .. لقد عادت لى الدورة الشهرية بعد طول انقطاع .. عادت طبيعية ، كما تواتى اية امرأة ناضجة ، قوية ! .. ياللمعجزة العظيمة .. ما اروع ما كافات به الطبيعة الرحيمة ايمانى بها ! .. لقد وطدت الانسجام بين النفس والجسد ، بالطريقة التى توقعتها .. بأن ثبتت النفس سيطرتها على الجسد .. هنئينى يا حبيبتى ! .. لقد عدت امراة من جديد .. انسانة كاملة .. انثى مثمرة .. اشعر اننى اهل للرجولة الشابة التى فتنتنى .. قبلينى ياطفلتى الحبيبة ! »

فقالت الفتاة مشدوهة : « لا تظنينى انكر ان للعوامل النفسية سلطانا على الجسد .. ولكن للأخير الكلمة النهائية فى العلاقة بينهما .. فكل منهما يعتمد على الآخر ، لكن النفس – مع ذلك – قد تكون عرضة أحيانا للتأثر بظروف الجسد .. فاذا بالمعجزة تحدث ، كما حدثت لك ! ..

ولكن أثر هذا الانتعاش على واحدة ذات بنيان مثلى ، يختلف عنه عليك .. ومن ثم فانى أرى انتعاش مشاعرك ، مناقضا تماما لعمرك المادى .. لعمر جسدك .. بل انه ليبدو لى انتصارا للنفس ! »

– كفى ! .. ان ما تسمينه انتعاش المشاعر ليس حماقة .. لقد اختارتنى الطبيعة لاعلان صوتها .. عنيت بمشاعرى وأظهرت لى أن ليس من داع لان اشعر بالخجل امامها ، أو بالعار ازاء الرجولة الشابة ..

– ما أردت أن أنكر صوت الطبيعة يا أماه العزيزة ، ولا أن أستهين به ، انما قلت ان ما حدث لم يؤد الى تغير كبير فى الحقائق الظاهرية .. وعندما نصحتك ، عندما رجوت مخلصة أن تغالبى نفسك وأن تقصرى شعورك نحو هذا الشاب على الحب الاموى ، انما بنيتِ رجائى على أنه فى الواقع يمكن أن يكون ابنا لك..

– تعنين انك لا تصدقين انه يمكن ان يحبنى الا كابن ؟ .. تذكرى يا طفلتى ان ليس لك خبرة فى مسائل الحب ، اذ أن حظك من النظرة الواقعية بسيط ، فقد استسلمت لليأس سريعا يا قلبى الغالى وحولت وجهك عن هذه المسائل ، وقد عوضك الذكاء فحل لديك محل الطبيعة .. وهذا خير لك ، ولكنه لا يمكنك من أن ترى وتحكمى فى مسائل الحب .. أتريدين أن تقولى ان الشاب انما يعبث بى ؟ .. مهما كان بعدك عن الحب، فليس من الممكن ان تغفلى عن ان اى شاب قد يفضل امرأة ناضجة على فتاة غرة بلهاء ! .. ومن الطبيعى ان ثمة عوامل نفسية تؤثر فى هذا الاتجاه، كالحنين الى الامومة .. ولكن مشاعر الامومة قد تلعب من ناحية اخرى دورا فى اثارة هوى امرأة كبيرة السن نحو شاب يصغرها .. لا تقولى عنى اننى أمل ولى ، لا سيما اليوم وقد اعترفت الطبيعة بمشاعرى واقرتها ! .. صحيح اننى لا استطيع أن أبدأ الآن فجاة بصبغ شعرى الاشيب ، لكننى استطيع ان أجمل وجهى بعض الشىء .. وما أراكم تستنكرون هذا !

– ان « ادوارد » لن ينتبه اليه اذا شرعت فيه بخفة وتدرج .. أما أنا ، فمع أننى لا أرى الاصطناع يتسق مع ما تكنين للطبيعة من شعور عميق ، الا أننى لا أرى فيه ضيرا ..

– ان قلبى مفعم بالفخر والابتهاج ، اذ أرى كيف ساقابل شبابه ..

– ولكنك تخفقين فى أن تحددى لى هدفك .. أى اتجاه يريد أملك أن يسعى اليه فى واقع الحياة ؟ .. هل تعتزمين أن تتزوجى ثانية ؟ .. ان تقفى مع « كين كيتون » أمام الهيكل ؟ .. أخشى ان الفارق بين عمريكما – وهو يناهز ما بين عمرى أم وابنها – سيثير دهشة الجميع !

– لا ، هذه فكرة لم تخطر لى .. وما أرغب فى أن أتخذ لك ولادوارد أبا

ثانيا فى الرابعة والعشرين من عمره ! ٠٠ ان « الامل » هو الامل ، فلماذا تتوقعين أن يطلب لنفسه أهدافا عملية ؟ ٠٠ ان ما منحتنيه الطبيعة جميل، ولا اتوقع أن يترتب عليه سوى كل جميل ، ولكننى لا أملك أن اشرح لك كيف يتأتى ذلك ٠٠

وقلبت أنا شفتيها ، كما لو كان قد غشيها ازدراء لم تملك له دفعا ، فصاحت فراو فون توملر فى ابنتها المشدوهة : « أنا ، ما الذى يجول ببالك ؟ ٠٠ من منا الفنانة ؟ ٠٠ ما خطر لى قط أنك أقل من أمك سعة أفق ورحابة فكر ٠٠ بل انك متخلفة عن الزمن وما أتى به من تحرر ٠٠ اننا الآن فى عهد الحرية ، وقد تطورت الافكار نحو البساطة وعدم التقيد بالرسميات ٠٠ »

ــ دعينى أمعن فى الصراحة ياأماه ، كما اعتدنا فيما بيننا ٠٠ من المؤكد أن علاقة مبهمة كتلك التى تتوقعينها مع كين كيتون ستظل خافية عن المجتمع ٠٠ ولكن ، ماذا يحدث لو ان نزواتك الطروب أعجزتك عن كتمان سرك ؟ ٠٠ لو ان سليطا سخر من ادوارد وأشار الى أن أمه تـ ٠٠ تمارس حياة عابثة ، فلن يتورع عن صفعه ، ومن يدرى أية ضجة رسمية تتأتى عن ذلك ؟

ــ آنا ! ٠٠ أية أوهام تتصورينها ٠٠ انك تشتطين !

وبكت « روزالى » ٠٠ فجففت لها « أنا » دمعها ، وراحت تستغفرها ، وتعدها بالتسامح فيما يحقق سعادتها ٠٠ حتى اذا سرت عنها ، تحولت تقول :

ــ ان الانسجام بين الجسد والنفس شىء ضرورى ، ولك أن تفخرى بأن الطبيعة التى تحبينها قد حققت لك ذلك بطريقة تعد معجـزة ٠٠ ولكن الانسجام بين حياة المرء ، والمبادىء الخلقية والادبية التى يـؤمن بها فى قرارة نفسه ، أمر أكثر ضرورة ٠٠ فاذا لم يتحقق ، ترتب على ذلك خلل يصيب الانفعالات العاطفية ويؤدى الى الشقاء ٠٠ ألا ترين ذلك ؟ ٠٠ ألا ترين انك ستعيشين فى تناقض مع نفسك لو جعلت من أحلامك حقائق ؟ ٠٠ انك فى قرارة نفسك تراعين مبادىء معينة ، فاذا قوضتها ، لم يؤد ذلك الا ٠٠ الى دمار لنفسك ٠٠ واغفرى لى قسوة هذا التعبير !

ــ ما الذى يغريك على هذا التفكير ٠٠ هل السعادة مرض ؟ ٠٠ لا ٠٠ ولا هى بالغاية التافهة ٠٠ انها الحياة ٠٠ العيش فى فرح وأسى ٠٠ والحياة أمل ٠٠ أمل لا املك له شرحا يرضى منطقك !

✥

ما ان افترقت المرأتان ، حتى استغرقت كل منهما فى التفكير فيما دار بينهما من حديث .. لم تكن «أنا» قد جرؤت على أن تقول كل ما كان فى نفسها : الى أى أمد تدوم يقظة الأنوثة فى أمها ؟ .. واذا انصاع لها «كين» ، فالى متى ؟ .. والى أى مدى ترتمى أمها فى أحضان الخـوف والتوجس من كل امرأة شابة ، وترتاب فى ولاء الشاب ، بل فى احترامه لها أيضا ؟

اما ((روزالى)) فكانت شديدة التاثر مما اوحت اليها به ابنتها .. لم يكن من الشطط فى التفكير ان ادوارد قد يعرض مستقبله للخطر من اجل الشرف .. ولقد خفق قلبها زهوا ، رغم انها بكت طويلا من هذه الفكرة .. على أن ما ذكرته ((أنا)) عن ضرورة الاتساق بين حياة المرء ومبادئه الخلقية والادبية التى يؤمن بها ، شغلها طيلة اليوم الذى اعتكفت فيه فى مخدعها .. ولم تملك فى النهاية سوى ان تقر بان هواجس ابنتها كانت صادقة ! .. ولقد كان قلبها يخفق طربا اذ تفكر فى لقاء حبيبها الشاب ، ولكنها اطالت التفكير فيما قالته ابنتها عن ((الحياة فى تناقض مع نفسها !)) .. وراحت تكافح فى اعماقها لتربط بعث الانوثة فى جسمها بالسعادة .. فانتهت فى رايها الى أن هذا البعث قد يغدو سعادة لو استغل فى تحرر وراحة ضمير ..

ووفد «كين» على الدار بعد ثلاثة أيام من الظاهرة البدنية التى اعترت روزالى ، فبدت سعادتها بمرأى وجهه الصبيانى المليح ، فى نظراتها .. وتعمدت فى ذلك اليوم – وفى كل مرة بعد ذلك – ان تجذبه اليها قليلا وهى تصافحه ، وتتطلع اليه فى وجد باد ، ونظرات مليئة بالمعانى .. حتى لقد كانت « أنا » تتوقع منها أن تصارحه بما اعتراها .. ولكن شيئا من ذلك لم يحدث فى الواقع !

وكان ((كيتون)) قد فطن من زمن الى انه قد غزا قلب السيدة الساحرة رغم شيب شعرها .. ولكنه لم يدر كيف يتقبل تطور مسلكها نحوه !.. ومن الطبيعى ان احترامه لها تناقص مذ أدرك ضعفها .. على ان هـذا الضعف اجتذب رجولته ، فاحس بميل اليها .. ولم تكن فكرة الاشتراك معها فى مغامرة غرامية ، بالجديدة عليه ، فقد سبق أن جرب ذلك مع سواها .. ومن ثم أخذ – بين آن وآخر – يتحدث اليها فى لهجة فيها غزل لم يغب عن ملاحظة ((أنا)) !

.. على أن نوعا من المهابة والخشوع وقف فى طريقه ، رغم ما كانت تتعمده المرأة من الضغط على يده اذا صافحته ، ومن شده اليها حتى ليكاد

جسداهما أن يتلامسا .. ورغم ما كان يشهده فى عينيها من تساؤل ! .. وكان لا يفتأ يسائل نفسه : ((أتراها تحبه ؟)) ، ثم يعيب نزواتها وما تبديه من عاطفة فى حضور ابنيها !.. على أن الامر لم يتجاوز بينهما هذه الحدود ، فى الفرص القلائل التى أتيح لهما أن يجلسا فيها على انفراد فى قاعة الجلوس ..

- ٣ -

◆ **واقبل** شهر فبراير ، يحمل بوادر ربيع مبكر .. ومع ان ((روزالى)) كانت تنتعش مع الربيع عادة ، الا أنها لم تبد فى كامل انشراحها .. ولم يغب عن ((أنا)) ان ذلك من آثار ما أوحت به هى اليها من أن ((التمسك بالمعتقدات الخلقية والادبية)) كفيل بأن يجعلها تعيش ((فى تناقض مع نفسها)) ! .. ولامت ((أنا)) نفسها لانها هى التى أثارت هذه الفكرة ، بل ذهبت الى درجة أن ارتابت فى أن تكون ثمة نوازع خبيثة قد دفعت بها الى هذا الايعاز !

.. واخذت تلاحظ ان امها اذا ما خرجت معها للنزهات التى كانت تميل اليها ، لا تلبث ان تشعر بالتعب سراعا .. وكثيرا ما تتعلل بالحجج والمعاذير للعودة الى البيت قبل أن تقضيا فى النزهة نصف الساعة ! .. وعلى الرغم مما كانت تنال من راحة ، فان الهزال بدأ يدب الى جسمها .. فلم تعد لداتها فى المجتمعات يسالنها عن ذلك ((النبع)) الذى يغدق عليها ((الشباب الدائم)) ! .. وبدات ترتسم حول عينيها الجميلتين هالات زرقاء .. ولم تعد الصبغة الحمراء التى كانت تلون بها وجنتيها - تكريما للشباب ولعودة الانوثة اليها - تقوى على مغالبة الشحوب والاصفرار اللذين صارا يكسوان وجهها !

وكانت ((أنا)) ترقب ذلك التبدل فى توجس واشفاق .. لذلك كان سرورها عظيما يوم اشتركت امها ذات مساء معها ومع اخيها و ((كين)) - الذى كان حاضرا - فى التحمس لفكرة القيام بنزهة يزورون فيها قلعة ((هولتروف)) التى كانت من أبدع الآثار التاريخية ، وكانت غير بعيدة عن المدينة .. وبلغ من تحمس فراو فون توملر للفكرة أن راحت تتعجل هذه النزهة ، وتتغزل فى مظاهر جمال الطبيعة التى ستصادفهم ، ثم هتفت : ((لدى فكرة .. سنذهب بطريق النهر .. سيحملنا ((الراين)) الحانى .. واذا شئنا أن نتيح لانفسنا بعض الترف ، فلنستأجر مركبا خاصة بمحرك ، لنكون بمعزل عن غيرنا .. كالبجع الاسود لا يحب الاختلاط بسواه !))

وهكذا كان .. وانطلقت بهم المركب .. وكان اليوم مشمسا ، فبددت حرارة الشمس برودة الرياح التى كانت تهب .. وما لبث الريف ان تجلى

لهم بكامل بهائه ، يحف بضفتى النهر الذى كان يتلوى فى تعاريج كثيرة .. وبعد ساعة ونصف الساعة بلغوا غايتهم .. وكانت « روزالى » طيلة الطريق مضطجعة وقد اغمضت عينيها تنتشى بأنغام الريح ، وقد بدا وجهها الناحل ذا جاذبية تعبث بأوتار القلب .. وابتسمت كثيرا .. وغنت .. وثرثرت دون حساب .. وكانت « أنا » ترقبها فى اشفاق ، اذ كانت تعرف أن أمها قد أصبحت تعانى من « اللمباجو » ..

وانطلقوا من النهر فى حدائق فسيحة ، ولكن « روزالى » لم تبد كثير احتفال بجمال الطبيعة الذى تجلى فى زهورها اليانعة وأشجارها المورقة .. بل سارت فى صمت وبجوارها ادوارد ، وخلفهما المدرس الشاب و « أنا »، التى لم تلبث أن دعت أخاها لتسأله أن يعرفها بمعالم المتنزه .. واذ ذاك سارت فراو فون توملر الى جوار « كين » .. وفجأة ، صاحت : « ها هى ذى ! » .. وأشارت بأصبعها الى زوج من البجع الاسود على سطح جدول كانوا يسيرون بجواره .. واقتربت البجعتان فى اتئاد ، فهتفت روزالى : « ما أجملهما ! .. تأمليهما يا أنا ؟ .. يا للجلال والعظمة اللذين يتمثلان فى الطريقة التى يرفعان بها رأسيهما ! .. أين الخبز ؟ »

وأخرج كيتون بعض الخبز الجاف ، فبدأت روزالى تقضمه .. وبدلا من أن تلقيه للبجعتين أخذت تأكله ، رغم أنه كان خبزا قديما .. واذ ذاك اقتربت احدى البجعتين من الضفة ، وراحت تضرب الهواء بجناحيها الاسودين ، وتمد عنقها ، وتصرخ فى غضب .. فضحك الاربعة ، بيد أنهم أحسوا مع ذلك بشىء من الخوف .. وقالت « أنا » وهم يعاودون السير بعد أن ألقوا للطائرين ببعض قطع الخبز : « أخشى أن لا ينسى هذا الشيطان سريعا انك سلبته غذاءه .. »

فقالت روزالى : « أبدا .. لقد خشى لحظة أن ألتهم الخبز كله فلا أدع له شيئا .. ولكنه ولا بد قد استمرأ طعمه بعد ذلك .. »

وكان بالقلعة الاثرية بعض الزائرين ، فانضم اليهم أصدقاؤنا الاربعة ، وراحوا يتأملون فن العمارة الرائع الذى تجلى فى بنائها .. ثم دخل الزائرون مبنى القلعة ، حيث استقبلهم حارس بدا عليه أنه من الجنود المتقاعدين ، وانطلق فى صوت أجش يفضى اليهم بالمعلومات التى كررها آلاف المرات عن القلعة وتاريخها وعمارتها ومعالمها .. وطاف بهم قاعاتها وردهاتها الحافلة بالتحف .. وكان «كين» يسير الى جانب فراو فون توملر ، ويده تحت ابطها ، خلف الحارس مباشرة ، وقد فصل بعض الزائرين الآخرين بينهما وبين ادوارد وأنا ..

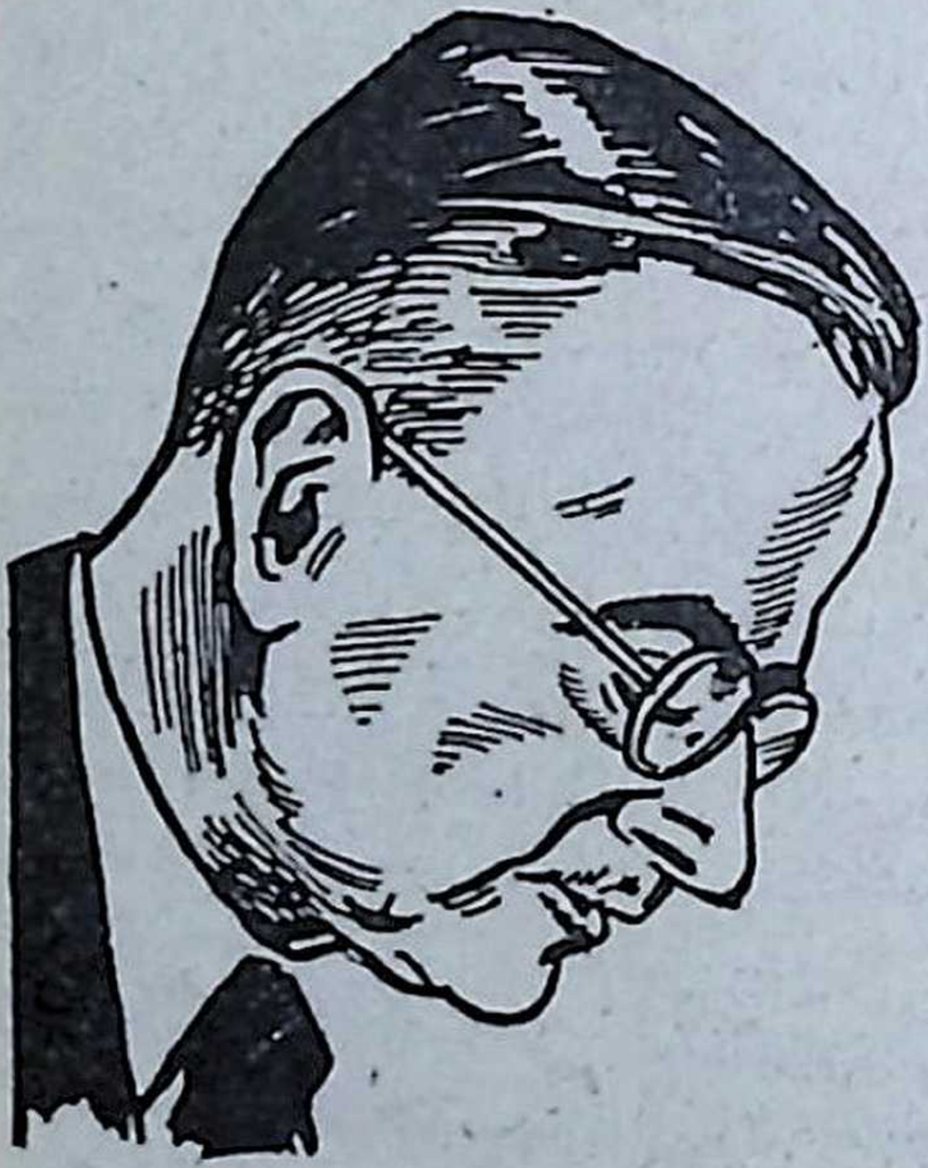

مؤلف القصة : ((توماس مان))

ووقف الحارس عند مرآة طويلة، وهو يتحدث عن المخابىء والسراديب الخفية التى كان أهل عصور الاقطاع ينشئونها فى قصورهم ، ثم ضغط زرا ، فاذا المرآة تنزاح ، وبدت خلفها درجات سلم حلزونى ضيق .. ثم اعاد الحارس المرآة الى مكانها ، وتابع السير بالزائرين .. ولكن فراو فون توملر شكت من حذائها ، فانحنى كيتون يصلحه لها وهو يضحك، ثم تأبط ذراعها .. ولكن روزالى لم تسر ، بل وقفت ترقب الآخرين وهم يغيبون فى القاعات المختلفة ، وقد رفت على فمها ابتسامة حالمة ، ثم استدارت وضغطت زر المخبأ .. واذ انزاح الباب ، وتقدما وراءه بضع خطوات ، القت بذراعيها حول عنق الشاب ، فاحتضنها فى شغف !.. وهمست وهى تلصق وجهها بعنقه : ((كين .. كين .. اننى أحبك .. احبك .. وانت تعرف هذا ، فقد عجزت عن أن أخفيه تماما عنك .. وانت .. انت ، هل تحبنى بكل شبابك ، كما شاءت لى الطبيعة أن أحبك فى شيبى ؟.. هات فمك .. آه ، أخيرا .. هذا الفم الشاب الذى طالما تعطشت اليه .. شفتاك !.. هكذا .. هكذا .. هل لى أن أقبلهما ؟ .. قل لى ياموقظى الحبيب .. ان الحب جبار يا ((كين)) .. انه معجزة ، وهو اذ يفد ياتى بالمعجزات ! .. قبلنى ياحبيبى ، فقد طالما ظمئت الى شفتيك .. أهذا انت حقا .. هو انت أخيرا ؟.. وهذان هما ذراعاك اللتان اعرفهما ، تطوقاننى ؟.. وهذا هو دفء جسمك.. الدفء الذى كان قد سرى الى الخبز الجاف ، فضننت به ، واكلته ، مما اغضب البجعة السوداء ؟!)).

وسرت اليهما رطوبة السرداب .. ورائحة العطن التى تعلق فى جو الاماكن القديمة المهجورة ، فارتعشت قائلة : ((أليس من المحزن يا حبيبى أن نجتمع بين هذه الاطلال ؟.. لا ، ويحك .. ابتعد ايها الشيطان !.. سأسلمك نفسى يا حبيبى ولكن ليس بين هذه الخرائب .. سآتيك غدا فى غرفتك .. ربما الليلة !))

ثم لحقا بالآخرين .. واذ التقيا بادوارد وأخته ، هتف كل من الفريقين : « أين كنتما ؟ » .. وكانت « أنا » وأخوها قد بحثا عن الاثنين طويلا !

- ٤ -

◆ لكن فراو فون توملر لم تذهب الى «كين» !.. فمع طلائع اليوم التالى ، انتابتها وعكة أزعجت ولديها .. وبدا أن ما حسبته فى البداية - وهى مغتبطة - معجزة من الطبيعة ، قد انقلب ينذر بكارثة .. فقد أصابها نزيف حاد .. واستردت وعيها بعد غشية ، فأدهشها أن ترى الطبيب الى جوارها !

وأصر الطبيب على ضرورة نقلها الى مستشفى الامراض النسوية ، لان حالها تتطلب فحصا دقيقا للتأكد من أنها غير مستفحلة الخطر .. فان مثل ذلك النزيف غير العادى - بالنسبة لامرأة فى سنها - قد يكون ناشئا عن تورم خبيث ، لا بد له من مبضع جراح بارع ..

وأثبت الفحص فى المستشفى أن الرحم متضخم فوق ما ينبغى لامرأة فى سنها ، وان الانسجة الليفية قد تراكمت بدرجة غير عادية حول القناة .. وليس من شك فى أن خلايا سرطانية قد استكملت نموها داخل الرحم !

وأبدى الجراح الاخصائى عدم اطمئنانه .. حتى اذا تعمق فى الفحص ، تبين أن لا أمل على الاطلاق ، ولا فى تحسن مؤقت ، اذ كان الوقت المناسب للعلاج قد فات .. فان ثمة خلايا فى نسيج الرحم قد ظلت معطلة عن النمو منذ مولد صاحبتها ، فلما تعرضت - فى سن متقدمة - لمنشطات غير عادية بثت فيها روح النمو ، اتخذ نموها اتجاها خبيثا !

✤

◆ وكانت « أنا » فى انتظار أمها فى الغرفة التى خصصت لهـا فى المستشفى .. فلما أدخلت الاخيرة الى فراشها ، وأفاقت من المخدر ، هتفت فى انزعاج : « أنا .. لقد صرخت فى وجهى غاضبة يا ابنتى ! »

- من يا أعز الامهات !

- **البجعة السوداء ..**

ثم غابت عن الوعى مرة أخرى !

.. على أنها ظلت خلال الاسابيع القلائل التى تلت ذلك ، تذكر البجعة السوداء بمنقارها القانى الحمرة ، وجناحيها الاسودين يضربان الهواء .. فتبدر منها فى كل مرة صيحة انزعاج يائسة !

لكن عذابها لم يطل ، اذ لم تلبث أن تولتها غشية أفقدتها الوعى تماما .. ثم أصيبت بالتهاب رئوى حاد ، لم يحتمله قلبها المضنى الا لبضعة أيام .. وعندما لم يبق بينها وبين النهاية سوى سويعات ، استرد ذهنها صفاءه ،

نتطلعت الى ابنتها التى كانت تجلس الى جوار سريرها ممسكة بيـــدها .. واستطاعت أن تحرك جذعها لتقترب من ابنتها ، وتهمس لها : « أنا .. هل تسمعيننى ؟ »

– بالتأكيد يا أماه العزيزة .. أسمعك

– لا تقولى قط ان الطبيعة خدعتنى يا أنا .. ولا انها ساخرة ، قاسية .. لا تحقدى عليها ، أو تهزئى بها .. اننى أكره أن أرحل .. عنكم جميعا .. عن الحياة وربيعها .. ولكن ، كيف يكون ثمة ربيع دون أن يكون هنـــاك موت ؟.. أجل ، ان الموت هو أعظم أداة للحيـــاة ، واذا كان قد جاءنى مستخفيا فى شكل البعث .. بعث أنوثتى ، وبهجة الحب ، فان هذه لم تكن أكذوبة من الطبيعة .. وانما كانت .. خيرا ورحمة .. »

وجاهدت لتقترب مرة أخرى من ابنتها .. وخفتت همساتها عن ذى قبل وهى تتمتم : « الطبيعة ، لقد كنت دواما أحبها ، وكانت هى الاخرى تحبنى »

وماتت روزالى .. فى رفق ولطف .. فحزن عليها كل من عرفها !

كتـــاب البحث الطبى

فى الامراض البولية والتناسلية المستعصية وتضخم البروســتاتا التى هى سبب العلل فى جسم الانسان .. وطريقة علاجها بجهاز فهجر الذى لا يستعمله الا مخترعه مؤلف هذا الكتاب الدكتور فهمى جرس ٧٨ ش ابراهيم باشا ت ٥٦٢٠٤ ويطلب من المؤلف (٥٠ مليما)

سكك حديد جمهورية مصر

تعلن المصلحة عن التسهيلات الجديدة لتيسير توصيل الطرود المتصدرة من اية محطة بقطارات البضائع الى القاهرة أو الاسكندرية للمنازل أو المتاجر بسياراتها بالقاهرة والاسكندرية وضواحيهمـــا مقابل رسم زهيد يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ مليم للطرد الواحد .

ولزيادة الايضاح يمكن الاستعلام من :

ادارة الحركة والبضائع (تعاريف) تليفون ٧٧٣٦٤

محطة القاهرة : تليفون رقم ٤٩٦٨٢ و ٧٩١١٢ و ٥٦٦٩٧

محطة الاسكندرية : تليفون رقم ٢٦٢٣١ و ٢٠٠١٠ و ٢٣٢٠٧

إقرأ معى :

كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى أعداد سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة التالية :

- آراء جريئة فى الحياة للفيلسوف الانجليزى المعاصر « جود »
- آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد شو
- كيف نجحوا فى الحياة : لديل كارنيجى
- الحياة فى موسكو : هارولد ليكوك
- مراهق : البرتو مورافيا
- آلهة ومقابر وعلماء : سيرام
- الالمان ، شعبا وعباقرة : اميل لودفيج
- مستقبل زوجك فى يدك : مسز ديل كارنيجى
- ثمن اسرائيل : الفريد ليلنتال

واليوم أقدم لك فيما يلى فصلا جديدا شائقا من فصول هذا الكتاب الممتع الذى لخص فيه الكاتب العالمى المعاصر ((اندريه موروا)) سبعا من اشهر القصص الطويلة فى الادب الفرنسى ، باعتبارها تمثل ألوان الحب السبعة !

وفى الاعداد القادمة ازمع ان اقدم لك فى هذا الباب مزيدا من الكتب الممتعة ..

SEPT VISAGES DE L'AMOUR
Par
ANDRÉ MAUROIS
اندريه موروا
أنغام الحب السبعة
٢- الحب المنطوي على الخيال
(چوليا
"هيلويز الجديدة"
لجان جاك روسو)

الحب ((الرومانتيكى)) ..

◆ فى العدد الماضى حدثنا ((موروا)) عن القناع الاول من اقنعة الحب السبعة ، وهو الحب المنطوى على الفروسية .. الحب الذى كان طابع القرن السابع عشر .. وساق ((موروا)) كمثال على هذا النوع من الحب ، قصة ((الاميرة دى كليف)) - لمدام دى لافاييت - فلخصها لنا تلخيصا شائقا ، وعقب عليها بالتساؤل عن مدى التلازم أو التنافر بين العفة .. والسعادة !

واليوم يحدثنا المؤلف عن القناع الثانى من اقنعة الحب السبعة ، وهو الحب الرومانتيكى ، المنطوى على الخيال .. ويسوق لنا مثالا عليه ، قصة جان جاك روسو الخالدة : ((جوليا)) أو ((هيلويز الجديدة)) - وقد أطلق عليها الشطر الاول من الاسم باعتباره اسم بطلتها .. والشطر الثانى ، تشبيها لها بالقصة الواقعية لغرام الفيلسوف والعالم الفرنسى ((بيير أبيلار)) (١٠٧٩ - ١١٤٢) بتلميذته العذبة ((هيلويز)) (١١٠١ - ١١٦٤) .. فتعال معى نصحب أندريه موروا فى رحلته الممتعة هذه ، فنقلب معه صفحات هذه القصة الكلاسيكية الخالدة .. ونعيش ساعات فى جو غرام ((جوليا)) ومعلمها الشاب ((سان بريو)) .. بل نعيش فى جو غراميات ((روسو)) الواقعية ، وجو المجتمع الفرنسى كله فى عصر روسو .. الخ

◆ **عندما** صدر كتاب «جوليا» ، حمله بائع كتب متجول الى الأميرة «دى تالمون» ، فى ليلة كان يقام فيها مرقص كبير فى دار الاوبرا .. فلما تناولت الاميرة العشاء وارتدت ثياب السهرة ، جلست تتصفح الكتاب فى انتظار موعد الحفلة .. حتى أقبلت عليها وصيفتها قبيل منتصف الليل تعلن اليها ان مركبتها قد أعدت .. لكنها استمرت تقرأ .. حتى جاءها الخدم ينبهونها الى أن الساعة قد بلغت الثانية صباحا ، فقالت الاميرة : « لا داعى للعجلة » ، واستمرت فى القراءة ! .. وبعد فترة أخرى توقفت ساعة الاميرة ، فدقت الجرس كى تسأل عن الوقت ، فلما قيل لها انه الرابعة صباحا .. قالت فى غير أسف : « أعتقد ان أوان الذهاب الى الاوبرا قد فات .. فليرجع الحوذى العربة الى حظيرتها » .. ثم خلعت ثياب السهرة، وقضت بقية الليل تقرأ .. القصة !

ولم تكن الاميرة وحدها التى شغفت بالقصة ، بل ان جميع نساء ذلك العصر ، وأكثر رجاله ، قرأوا «جوليا» بنفس الحماسة والانكباب ، نقد كان نجاح الكتاب هائلا - رغم مهاجمة النقاد له ، ومنهم فولتير ! - ويمكن القول فى غير مغالاة ان ((روسو)) ، أستاذ الرقة والاحلام العاطفية ، قد علم الحب - بواسطة هذا الكتاب - لنابليون ، وجيته ، وستندال ، وجميع رجال القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ! .. بل لقد أجمع النقاد على أن روسو كان أول كاتب لفت الاذهان الى الصلة بين العواطف والمشاعر وبين جمال الطبيعة ، فكتب أحدهم يقول : ((هل كانت توجد أشجار وحشائش قبل روسو ؟ .. يكاد المرء يعتقد أنها لم تكن !)) .. واذا كان من الطبيعى والشائع اليوم أن يقرن المرء مولد عاطفة ، بين رجل وامرأة ، بنزهة ليلية فى ضوء القمر .. أو يقرن انطفاء حب بنزهة فى ساعة الغروب ، فى يوم من أيام الخريف ، وقد تساقطت عن الاشجار أوراقها الجافة وتكسرت تحت الاقدام .. الخ .. فان هذا التجاوب بين شاعرية الطبيعة وشاعرية القلب ، لم يصفه كاتب قبل روسو !

والخلاصة ان قصة «جوليا» قد بدلت أساليب الحب لنصف قرن من الزمان على الاقل ! .. فقد رأينا فى قصة «مدام دى كليف» كيف كان الحب فى القرن السابع عشر يقترن بالشرف .. أما فى القرن التالى له فقد صار الناس يسخرون من هذا اللون من ألوان الحب ، واستبدلوه بالحب الذى لا يزيد عن كونه متعة ! وبعد ان كان العشاق يفخرون بكتمان عواطفهم ، صاروا يتفاخرون بسرد غرامياتهم فى حرية وفى جراءة ! ورغم ان الفتيات لم ينقطعن فى ذلك القرن عن قراءة ((مدام دى كليف)) وغيرها من القصص التى تصور حب القرن السابق ، فانهن كن يلقين هذه القصص جانبا اذا ما بلغن سن العشرين ، ويفقدن كل اهتمام بذلك الطراز العتيق من الحب .. تمشيا مع روح العصر والمجتمع الذى يعشن فيه !

.. وهكذا تسلك نساء القرن الثامن عشر مسلك الرجال ، ويقتبسن أخلاقهم ومبادئهم .. لكن تهتكهن هذا ينتج ثمرته الطبيعية ، وهى الشعور بالسأم والملل من الحياة .. فانه لا شىء يملأ فراغ الانسان ويشغل أوقاته مثل الحب الصادق المصحوب بالشكوك ، الذى يجعل العاشق يقضى أياما بأكملها يفكر ، ويحلل ، ويفسر : ابتسامة من المحبوب ، أو تورد خد ، أو نظرة عين ، بحيث يخلق منها فى كل لحظة أسبابا جديدة للأمل ، ومبررات جديدة للخوف ، أو اليأس !

تلك هى الظروف التى ظهرت فيها قصة «جوليا»، فلقيت نجاحا منقطع النظير .. ففى عهود الفساد والانحلال الخلقى يكون امتداح الفضيلة بدعة تثير فضول الناس واقبالهم ! وهكذا وجد أفراد المجتمع الفرنسى فى سنة ١٧٦٠ فى جان جاك روسو وكتابه ضالتهم المنشودة ، فقد كان يمثل فى نظرهم نفس العناصر التى تنقصهم فى حياتهم .. وهى : الفضيلة ، والعاطفة ، وبساطة الحياة الفطرية ..

المـــــؤلف

◆ **كان** أبوه «ساعاتى» فى مدينة (جنيف) ، وأمه ابنة قسيس .. وقد فقدها وهو طفل ، واضطر أبوه الى الفرار من جنيف بسبب نزاع مع السلطة الحاكمة .. وحين كبر الصبى تنقل بين أعمال مختلفة ، فاشتغل فترة عند أحد الصناع ، وفترة أخرى فى مكتب.. ثم هرب بدوره من أبيه ، وبدأ مراهقته شريدا ! .. وبعد حين تبنته امرأة تدعى « مدام دى فارين » ، وتولت تعليمه.. ثم انتهى بها الامر الى أن صارت خليلته ، بغير أن تحبه ! مثلها فى ذلك مثل «جورج صاند» ، التى صارت خليلة الموسيقى شوبان بدافع من الشفقة والشعور بالواجب !

وبعد أن ترك روسو مدام دى فارين ، تقلب فى أكثر من عمل : بين سكرتير لكاهن يونانى ، ونقاش ، وموسيقى ، وتاجر متجول ..الخ.. وخلال ذلك كله ظل دائما نفس الفنان الحالم الذى يستجيب لسحر الطبيعة ومباهجها العاطرة ، فيتأمل صفحة السماء فى جذل ، وينظر الى خضرة الحقول فى نشوة ، ويصغى الى خرير الماء فى الجدول مأخوذا .. فلما جاء عام ١٧٤١ ، شد رحاله الى العاصمة : باريس !

فما الذى أغراه بأن يهجر أشجاره ، وأطياره ، وأنهاره ؟

أغراه المجد ! .. المجد الذى قرأ عنه فى «بلوتارك» وحلم به .. فمضى يسعى اليه عن طريق الموسيقى ! كان قد وضع ألحان أوبرا كاملة ، وابتدع طريقة جديدة لكتابة النوتة الموسيقية .. لكن المجد كان ينتظره من باب آخر ، وواتاه فى سهولة ويسر ! لم يحوجه الامر الى أكثر من بضعة خطابات توصية فتحت له صالون مدام «دوبان» الادبى ، الذى كان قبلة أهل الفن والادب ، فدخل فى زمرتهم .. وحين أعلنت أكاديمية «ديجون» عن مسابقة وجائزة كبيرة لمن يكتب أحسن رسالة فى العلوم والفنون ، كتب رسالته المشهورة التى هاجم فيها الحضارة ونادى بالعودة الى أحضان الطبيعة ، وبنظريته الجديدة التى مؤداها ان مبادىء الفضيلة محفورة فى كل قلب ،

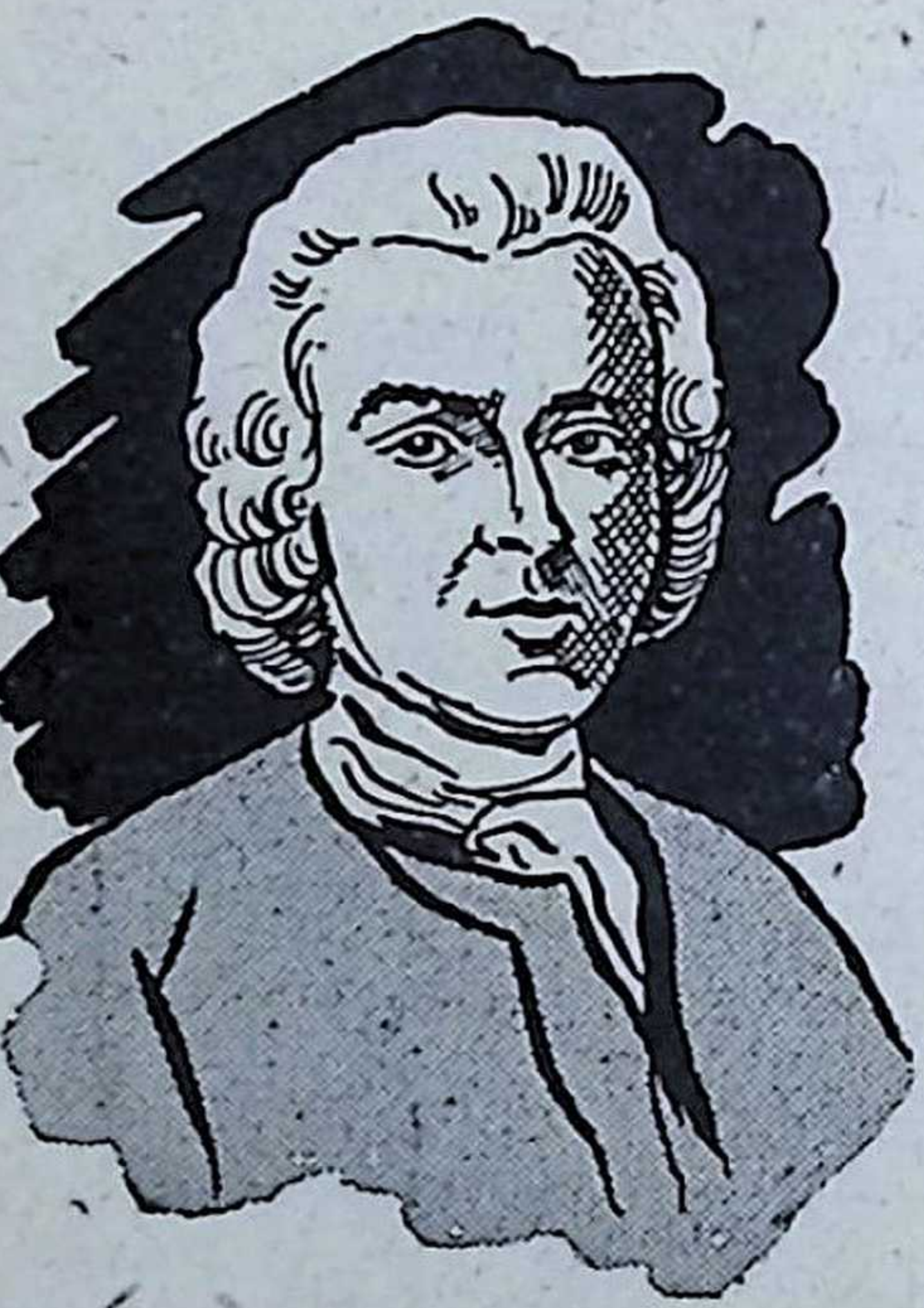
جان جاك روسو

بحيث يكفى أن ينظر الانسان الى أعماق نفسه ويصغى الى صوت ضميره ، فى سكون الرغبات والعواطف ، كى يراها بوضوح !

وفى سنة ١٧٥٢ مثلت روايته « عراف القرية » أمام الملك ، فظفرت بنجاح هائل .. ووقف المؤلف يتلقى التهانىء وقد أطلق لحيته وبدا فى هيئة الرجل المتوحش ، فأثارت غرابة شخصيته فضول الناس .. حتى اشتاقت « فرساى » بأسرها الى التعرف اليه !

باريس تمجد «روسو» !

◆ ولكن المجتمع الذى خف الى الترحيب بروسو فجأة وبسهولة عجيبة، لم يظفر باعجابه.. فراح ينقده فى كتاباته بصراحة وجرأة ، ويسلق بألسنة حداد ما يسود صالوناته من رياء ، وزيف ، وسفسطة ، ومباذل !.. وكان أفراد تلك المجتمعات - وخاصة النساء منهم - يشعرون بنقائصهم ، فأحسوا للذة مريرة فى مطالعة وسماع النقد الموجه اليهم! وكانو على استعداد لان يجعلوا من أى شخص يواجههم بالحقائق الموجعة : بطلا عظيما !.. وقد ظهر روسو فى الوقت المناسب ، فاتخذوه بطلهم المفضل ، وصار اعجابهم به « موضة » العصر ! .. لكن « الموضات » والبدع لا تطول عادة أو تدوم على حال ، بل تتبدل بسرعة .. وهكذا سرعان ما سئم الباريسيون روسو ، بنفس السرعة التى هللوا بها له وكبروا ! .. ولكن اذا تأثر من ذلك روسو الانسان، وتألم، فان أدب روسو قدر له ان يغزو امبراطورية بأسرها، ويبدل أساليب الشعور والعواطف لقرن كامل من الزمان !

« الصومعة ! »

◆ وكانت النتيجة الاولى لكفران باريس بروسو أنه كره العاصمة وأهلها ، وعاوده الحنين الى الارتماء بين أحضان الطبيعة فى الريف .. وتهيأت له أسباب ذلك حين عرضت عليه «مدام ديبيناى» فى سنة ١٧٥٦ أن يعيش فى بيتها الريفى المسمى « الصومعة » ، الكائن فى حدائق «مونتمورينسى» .. فقبل مرحبا ، وحل بالصومعة ذات يوم ومعه خليلته

«تيريز لوفاسور» - التى كانت تعمل فى حانة عندما تعرف بها ، فأعجبته بساطتها وانوثتها ، ورقتها ، وعاهدها على أن لا يهجرها قط .. لكنه صارحها فى الوقت نفسه بأنه لن يتزوجها !

ووجد فيها رفيقة للجسد والقلب ، دون العقل ! .. فلما سافر الى الريف أخذها معه .. وهناك ثمل روسو بخمرة الهواء الطلق الجميل ، وخضرة الحقول ، وتفريد البلبل والكروان ، فبدأ يحلم .. ونبتت فى ذهنه البذور الاولى لقصة جوليا : جمع فى ذاكرته كل النساء اللواتى أثرن مشاعره ، منذ عرف المرأة فى شبابه الباكر حتى الآن ، بادئا بفتاتين من عذارى سويسرا الفاتنات خرج معهما فى نزهة بريئة وهو ما يزال حدثا .. ثم مدام دى فارين ، المرأة الفاضلة التى تبنته فى صباه ، فانزلقت معه الى الخطيئة عطفا عليه ! .. ثم «مدام دى لورناج» التى تغلبت على خجله وحيائه الفطرى بأن بدأت هى بمغازلته ! .. وكفى ، فقد كانت تلك هى كل غرامياته تقريبا من سن الخامسة عشرة حتى سن الخامسة والاربعين ! .. ذلك إنه كان يترفع عن طبقة عاملات المحلات التجارية ، والحائكات ، والخادمات .. وفى هذا يقول فى اعترافاته : **« كنت دائما انشد نساء الاسر العريقة ، لا بدافع الزهو والغرور ، أو التأثر بجاذبية طبقتهن الرفيعة فى ذاتها ، وانما ارضاء لميلى الشديد الى المرأة ذات البشرة الناعمة - التى لم يفسدها العمل اليدوى - والثوب الانيق ، والشعر المصفف ، والحركات المهذبة .. بحيث كنت أفضل المرأة التى تتحلى بهذه الشروط ، ولو كانت أقل جمالا من الحسناء التى تنقصها هذه الامور ! والواقع انى أعتبر هذا التفضيل مدعاة للسخرية ، لكن قلبى يقودنى اليه بالرغم منى ! »**

منشأ فكرة القصة

◆ **قلنا** ان روسو جمع فى ذاكرته كل من عرف من النساء ، كما يجمع السلطان حريمه حوله ، فغلى دم الشباب فى عروقه من جديد ، لا حنينا الى الشباب والحب ، وانما حنينا الى الفن . أراد أن يصوغ من تأملاته وأحلامه عملا فنيا خالدا .. ولندعه يصف مراحل تفكيره فى قصة «جوليا» : **«تصورت الحب والصداقة - معبودى قلبى - فى أبهى صورهما ، فى هيئة امرأتين صديقتين .. ووجدت نفسى أريق عليهما كل جاذبية الجنس الذى طالما عبدته وعشقته ، وكل سحره ، وزينته ! .. ووهبتهما طباعا وأخلاقا مختلفة ، ومظهرا مختلفا : جعلت احداهما سمراء ، والثانية شقراء ! .. احداهما عشيقة للرجل ، والثانية صديقة له . وأما الرجل نفسه - بطل القصة - فقد جعلته ظريفا ، وسيما ، شابا ، له نفس الفضائل**

والرذائل التى أعرفها فى نفسى !.. واذ انتهيت من تهيئة أشخاص القصة ، بدات أبحث لها عن مكان مناسب .. حتى وقع اختيارى على بحيرة جنيفه التى ولدت على شاطئها ، فوضعت الجميلتين اللتين خلقتهما ، فى ضاحية «فيفى» الساحرة ... »

((هيلويز الجديدة !))

◆ **فاذا** بدأت القصة ، فقد اختار النبيل السويسرى مسيو «ديتانج» لابنته «جوليا» معلما يدعى «سان بريو» .. فوقع المعلم فى هوى تلميذته الجميلة ، وآثر أن يفاتحها بغرامه «كتابة» ! .. فأرسل اليها خطابا ، لا يطلب اليها فيه شيئا ، وانما حسبه أن يقول لها ان جمالها قد أعشى عينيه : **« .. ولم لا أفرض ان قلبينا ينبضان بعاطفة واحدة ، كما يخيل الى ؟ .. انه ليحدث أحيانا أن تلتقى أعيننا فجاة ، فتفضح التاوهات مشاعرنا ، وتنهمر من مآقينا الدموع ! أواه ، يا حبيبتى جوليا ، لو يكون اتحاد روحينا الهاما الهيا ! .. لو تكون السماء قد أعدت كلينا للآخر .. دون أن يحوجنا الامر الى الفرار ؟! »**

لكنه لم يكد يرسل هذا الخطاب ، حتى الحق به آخر .. يقول فيه :

« .. مائة مرة فى اليوم أحس باغراء يكاد يدفعنى الى ان ارتمى عند قدميك، واغسلهما بدموعى !.. ولكن رهبة مفاجئة تشل عزمى، فترتجف ركبتاى بحيث لا تقويان على الانحناء ، وتموت الكلمات على شفتى ! .. هل تريديننى ان اذهب ؟ اذن فسأذهب .. »

.. وتخيفها الفكرة ، فتضطر الى ان تكتب اليه .. لأول مرة :

« لا تكن عنيدا فى ظنك ان سفرك ضرورة ملحة.. فان القلب الذى يدين بالفضيلة يستطيع أن يتغلب على حماقته ، او يصمت ! .. على اى حال انت تستطيع أن تبقى .. »

فيجيبها : ((لقد لذت بالصمت زمنا طويلا .. حتى اضطرنى برودك وعدم مبالاتك الى أن اتكلم آخر الامر .. والآن ، يجب أن أذهب !))

فتكتب اليه خطابها الثانى : ((كلا ياسيدى .. انالرجل الحق - كما تعتبر نفسك - لا يفر أو يهرب .. وانما قد يفعل اكثر من ذلك !))

ويخطىء فهم قصدها ، فيرد على خطابها : ((انك تدعيننى الى الانتحار ! حسنا ، سوف اقتل نفسى ، فهذا اقل ألما من الفرار بعيدا عنك !))

وتجيبه فى خطابها الثالث : ((يا لحماقة الشباب .. اذا كانت حياتى غالية عندك ، فلا تمس بسوء حياتك !))

.. ثم تتبعه مباشرة بخطاب رابع : ((هل يجب ان اعترف لك فى النهاية بسرى الرهيب ، الذى لم انجح فى اخفائه ؟ لقد طالما أقسمت ان لا يبرح هذا السر قلبى الا مع نفسى الأخير .. لكن تهديدك ينتزعه الآن منى . أحسبك فهمته .. يا لضيعة شرفى !))

الشرف ! .. نعم ، فانهما رغم غرامهما المتبادل الجارف ، يحرصان كلاهما على ان يلتزما العفة قبل كل شىء آخر .. فترجو جوليا من ((سان بريو)) ألا يتركها ، لكنها تطالبه فى الوقت نفسه بأن .. يحترمها !.. فتناشده : ((كن فاضلا او احتقرك .. واحترمنى أو اتركك !))

لكن جوليا ، رغم حرصها على أن .. يحترمها ! .. تعرض حبيبها التعس لألوان قاسية من الاغراء والتجارب : فهى تضرب له موعدا فى الغابة، حيث تنتظره مع ابنة عمها كلارا .. وفيما يلى مشهد الغابة كما يصفه هو فى خطاب اليها : ((.. وحين دخلت الغابة أدهشنى ان ارى ابنة عمك تقترب منى ، ثم تسألنى فى مذلة مصطنعة أن أمنحها قبلة .. فاذعنت لطلبها ، دون ان افهم اللغز الغامض ! .. ورغم جاذبيتها التى تعرفينها ، فاننى لم احصل من قبل على برهان اقوى اقناعا بانعدام لذة المشاعر التى لا تنبع من القلب ، من البرهان الذى حصلت عليه لحظتئذ ، حين قبلتها ! .. ولكن ما كان أشد اضطرابى ونشوتى ، بعد لحظة ، حين شعرت - ويداى ترتجفان رجفة لطيفة - بشفتيك الورديتين ، شفتى حبيبتى جوليا ، تلتصقان بشفتى .. وأنا بين ذراعيها !! .. وباسرع من البرق الخاطف سرت فى روحى نار مفاجئة ، النار التى تسرى مع تنهداتنا من شفاهنا الملتهبة .. وغاص قلبى فى جوفى وقد تملكته غبطة لا تحتمل ! .. وبغتة رأيت لونك يتغير ، وعينيك تغمضان ، ثم استندت على ابنة عمك ، وسقطت مغشيا عليك ! .. وعندئذ اطفأ الخوف والقلق كل نشوتى ، واختفت سعادتى كما تختفى الظلال .. ولست ادرى شيئا مما حدث منذ تلك اللحظة الميتة ، كما ان الأثر الذى خلفته فى قلبى لن يمحى قط ! .. ترى هل

قصـــدت بقبلتك ان تمنحينى فضـــلا ومنة ! .. كلا ، بل عذابا مروعا ، فاحتفظى بقبلاتك ! لست استطيع ان احتملها .. انها تفيض مـرارة ، وتتغلغل ، بل تلذع ، بل تحرق حتى النخاع .. انها كفيلة بان تقودنى الى الجنون ! »

.. ولكى يسترد « سان بريو » هدوءه وسكينة نفســه ، يضطر الى الارتحال .. وخلال فترة غيابه ، يدخل والد جوليا فى روعها انه لن يسمح لها يوما بالزواج من رجل وضيع الأصل .. ورغم ذلك فان جوليا حين يعود حبيبها ، تصير خليلته ! .. ثم يتملكها وخز الضمير على الفور ، فتحدث نفسها : « **ليته يفر منى الى الأبد ، ويحرم نفسه من تلك اللذة الوحشية ، لذة كونه شاهد عيان لأحزانى .. ولكن لماذا أهذى هــكذا ؟ انه ليس الملوم . أنا وحدى المذنبة . أنا وحدى التى نسجت خيوط مصيرى التعس .. ولست أستطيع أن ألوم غير نفسى ، من أجل ما حدث ! »**

ويحاول صديق لسان بريو يدعى « ادوار ميلــور » أن يقنــع والد جوليا بالموافقة على زواجها من حبيبها ، ولكن دون جدوى ! .. بل ان الوالد يصر على ان يرحل الفتى فورا ويغادر سويسرا بأسرها .. فيضطر التعس الى الذهاب الى باريس .. ومن هناك يواصل مراسلة حبيبته ! .. لكن أمها «تضبط» رسائلهما ، فتكتب اليه جوليا ملتاعة : « **لقد ضاع كل شىء ! واكتشف كل شىء ! لم أجد خطاباتك فى المكان الذى اعتدت ان أخبئها فيه ـ والذى كانت فيه حتى مساء أمس ! ـ لا بد انها نقلت منه اليوم فقط . ولا ريب ان امى هى التى عثرت عليها .. فلو كان أبى هو الذى اكتشفها لفعل اكثر من ذلك .. لقتلنى ! »**

وعند هذا الحد ختم روسو قصته فى البداية ، معتبرا أنها قد انتهت بانفصال الحبيبين الى غير لقاء ! .. وحين قرأها على خليلته « تيريز » ، وأمها مدام لوفاسور ، بكت المرأتان تأثرا واعجابا .. ولكن الاقدار كانت تدبر للقصة نهاية اخرى ، ولمؤلفها مغامرة غرامية جديدة ، فتحت امام « جوليا » آفاقا اخرى .. (مما يعتبر مثلا حيا من أمثلة الصلة العجيبة بين الحياة والقصص .. بين الحقيقة والخيال !)

مدام دوديتــو !

◆ .. **ففى تلك الفترة** ، كانت احدى قريبات مدام ديبيناى ـ صاحبة « الصومعة » ومضيفة روسو ـ وتدعى « مدام دوديتو » ، تضمر لزوجها فى قلبها ، (مثل اكثر زوجات القرن الثامن عشر) ، نفورا خفيا .. انتهى بها الى ان تتخذ لنفسها عشيقا ، هو الضابط الشاعر « سان لامبير » ..

ويحدثنا روسو فى اعترافاته ، ان مدام دوديتو كانت وقتئذ فى الثلاثين ، لكنها لم تكن جميلة او ممتازة بشىء ، فيما عدا ثروتها من الشعر الأسود المتموج الذى كان يصل الى ركبتيها .. وفيما عدا روحها الخفيفة ، ولطف معشرها

.. لكن الظروف تشاء أن تقطن مدام دوديتو قرب الصومعة ، وأن تدخل على روسو يوما اثناء عاصفة ممطرة وقد ابتلت ثيابها بالماء والوحل ، فتعيرها خليلته « تيريز » بعض الثياب .. وفى مرة اخرى تقبل على الصومعة على ظهر جواد وقد ارتدت زى رجل .. ثم تتكرر زياراتها للكاتب العاطفى ، لا بغية ايقاعه فى هواها ، وانما تلبية لتوصية خليلها « سان لامبير » الذى كان صديقا لروسو فأوصاها قبل سفره المؤقت ان تؤنس وحدة « الأديب المنطوى على نفسه » بزياراتها من حين لآخر !

وتعلم المرأة أن روسو يعرف بأمر صلتها مع سان لامبير ، فلا ترى بأسا فى أن تحدثه عن الحب ، وتناقشه فيه .. غافلة عن أن المسكين قد وقع فعلا فى هواها ، وانتقل الحب من حديثه الى قلبه ! .. أو كما يقول فى اعترافاته : « **كنت قد ثملت بحب لا طائل وراءه .. فصرت أرى فى مدام دوديتو بطلة قصتى جوليا ! .. وبعد حين صرت لا أرى غير مدام دوديتو !** »

.. ورغم تدله روسو فى حب مدام دوديتو ، فقد حرص على الا يخون صديقه - وخليلها - سان لامبير .. قانعا بان يكون لها ، مجرد .. صديق ! .. وكانت هى مثله ، تحب نزهة المشى على الأقدام فى الغابات ذات المناظر الطبيعية الساحرة .. وذات ليلة ، خرجا للنزهة بعد أن تناولا العشاء معا ، فى ضوء القمر .. وخلبهما جمال الكون ، وأشعل فى قلب روسو هواه الكظيم ، فارتمى عند قدمى « محبوبته » وأغرق ركبتها بعبراته ، وأسال عبراتها هى ، برغمها !.. فذكرته بصديقه «سان لامبير» ، واذ ذاك تنهد وصمت .. واكتفى بأن يقبلها : « **وأى قبلات ! .. كانت قد انقضت عليها ستة أشهر وهى بعيدة عن عشيقها وعن زوجها .. وانقضت على انا ثلاثة اشهر كنت فيها أراها كل يوم ، أنا وهى وحدنا .. والحب ثالثنا !.. وفى تلك الليلة كنا قد تعشينا معا ، وجلسنا فى الغابة وحدنا ، فى ضوء القمر .. وبعد خلوة استمرت ساعتين ، وكانت من أرق الخلوات وأكثرها ارهافا للحس ، خرجت هى فى ظلام الليل من الغابة ، ومن بين**

ذراعى ((صديقها)) ، سليمة طاهرة الجسم والقلب ، كما دخلت ! .. آواه ايها القارىء .. زن جميع هذه الاعتبارات واحــكم .. فلن اضيف انا شيئا !))

شيطان الغيرة !

◆ ورغم سيطرة الطرفين على عواطفهما على هذا النحو ، فقد دب فى قلب صاحبة الصومعة دبيب الغيرة من قريبتها مدام دوديتو ، وحين استلم كل من «سان لامبير» عشيق المرأة ، و «تيريز» - عشيقة روسو - خطابا يفضح لهما تلك الصلة ، فصب كلاهما جام غضبه على روسو .. اتهم هذا مضيفته الغيورة بارسال الخطاب ، واغلظ لها فى القول ! ومنذ ذلك اليوم تعذر عليه أن يبقى فى الصومعة التى تملكها ، جارا لحبيبته مدام دوديتو التى تقطن بيتا بالقرب منها ! .. وبانتقاله من هناك ، انقطعت صلة « الرؤية » بينه وبين محبوبته ، فاستعاض عنها بصلة المراسلة .. صار يرسل لها خطابات حب من نار ، ويحلم بأن ينتقـل ليعيش معها ومع خليلها فى بيت واحد ! .. ولم يمانع « لامبير » فى ذلك ، فكتب اليه خطابا رقيقا يقول فيه : ((**ان شعورها نحوك لم يتغـير ، فهى تحبك وتقدرك ، ولئن كنت أنا الذى قربت بينكما ، فانى لست نادما على ذلك .. بل ان قلبى لمشتاق الى أن اعيش مع المرأة التى احبها ، والصديق الذى اقدره .. فى بيت واحد ! .. ولقد طالما تمنيت أن اقضى حياتى بينهــا وبينك !))**

.. وكانت هذه الفكرة هى التى أوحت الى روسو بأن يضيف الى قصة « جوليا » فصولا جديدة ، بعد أن ختمها على النحو الذى أسلفنا .. وهكذا نرى « سان بريو » يحل جوليا من عهدها القديم له بأن لا تصير زوجة لسواه .. ومن ثم تقبل ، اطاعة لابيها ، أن تتزوج من « مسيو دى فالمار » ، وهو رجل وقور ، بارد الطباع .. يكبرها بسنوات !

.. بينما يقوم « سان بريو » بسياحة طويلة حول العالم . وحين يعود - بعد ست سنوات - يستقبله الزوجان فى بيتهما السعيد ، الذى تأوى اليه الفضيلة . ويجد سان بريو صعوبة فى الانفراد بجوليـا ، الى أن يتم له ذلك . لكنها لا تكاد تشرع فى تبرير زواجها وموقفها ، حتى يدخل زوجها الغرفة ! .. غير أنها تستمر فى كلامها كما لو لم يكن موجودا .. وحين يلحظ الزوج دهشة الضيف من ذلك ، يقـول له وهو يبتسم : ((**ها انت ترى مثالا من الاخلاص ، ان تكن عفيفا فلتنقل صورة منه ، مما يجري هنا ! .. انه الطلب الوحيد الذي اطلبه منك ، والدرس الذي اعلمك**

اياه ! .. فان الخطوة الاولى نحو الرذيلة ، هى اخفاء التصرفات البريئة فى ذاتها ! .. وليكن شعارك دائما : أن لا تقول أو تفعل شيئا تجد غضاضة فى أن يسمعه الناس جميعا او يروه ! »

ويعجب سان بريو بما يلمسه من حكمة « جوليا » و « فولمار » ، فى كل تصرفاتهما .. ثم يخرج مع حبيبته السابقة للنزهة فى قارب ، فتذكرهما خلوتهما الشاعرية بالماضى !

« وأيقظ صوت المجدافين الرتيب أحلامى القديمة .. وقبضت صدرى زقزقة العصافير ، التى أعادت الى ذاكرتى مباهج الماضى السعيد .. وتزايدت الكآبة الجاثمة على قلبى بالتدريج .. فان السماء الصافية ، وانعكاس أشعة القمر اللطيفة على الماء ، وزبد الأمواج الفضى المتراقص أمامنا .. بل ووجود الحبيبة ذاتها الى جوارى .. لم يستطع كله أن يذود عن ذهنى ألف خاطر مرير وخاطر ! »

وكل من قرأ قصيدة « لامرتين » المشهورة : (البحيرة) .. وكتابى : « مذكرات من وراء القبر » لشاتوبريان ، و « أشجان أوليمب » لفيكتور هيجو ، توقظ فيه عبارات « روسو » السابقة ذكريات صفحات مماثلة رائعة من أدب هؤلاء الثلاثة .. بل ان العبارات المذكورة قد نزلت من نفوس قراء القرن الثامن عشر منزلة رفيعة ، باعتبارها نموذجا للاخلاص ، والحرارة ، والصدق فى التصوير والتعبير ..

.. لكن جوليا لا تلبث ان ترقد على فراش الموت .. وفيما هى تحتضر ، تنصح « سان بريو » بأن يتزوج من ابنة عمها كلارا . لكن هذه ترفض .. فيعيش الاثنان يجتران ذكرى حبيبتهما جوليا ، ويسهران على تربية اطفالها !

الشرف .. أقوى من العفة !

◆ ورغم أن هذا الجزء الختامى من القصة كان أقل نجاحا من الاجزاء التى سبقته ، فان الحقيقة التى لا مراء فيها ان « هيلويز الجديدة » كانت وما تزال أصدق قصص ذلك العصر تعبيرا عن روحه وطابعه ، بدليل انها أثرت تأثيرا هائلا فى جيل بأسره من الأفراد !

بقى أن نتساءل : فيم تختلف عواطف الحب التى صورها روسو فى « هيلويز الجديدة » ، عن تلك التى صورتها مدام دى لافاييت فى « مدام دى كليف » ؟

الجواب : ان الحس المرهف قد امتد نطاقه الى عدد أكبر من الافراد ، فلم يعد وقفا على « الابطال » ، وانما صار في متناول الجميع !.. فأشخاص

نصة روسو ليسوا أبطالا معصومين ، بل هم أقرب الى «البشر» من أشخاص نصة مدام دى لافاييت .. فأنت ترى فى القصة الثانية كيف تحتفظ مدام دى كليف وزوجها بوقارهما وترفعهما ، وبلغة التخاطب الصارمة بينهما ، حتى وهما يموتان من الحزن !.. فى حين تنزل « جوليا » و « سان بريو » عن منزلة هذه البطولة شبه الالهية ، الى منزلة البشر الضعفاء ، فيطلقان التنهدات .. ويذرفان الدموع .. وحين يبلغ بهما الانفعال والتأثر مبلغهما ، يقطع عباراتهما النشيج والغصة !.. صحيح ان أشخاص كل من الروايتين يقاومون شهوتهم باستبسال ، ولا يستسلمون لها كما يفعل أبطال كثير من القصص العصرية .. لكن الفارق الجوهرى بين القصتين ، هو أن « الحافز » على المقاومة يختلف فى كل منهما : فهو بالنسبة لمدام دى كليف : الشرف !.. لكنه بالنسبة لجوليا : العفة !.. وقد يبدو أن الشرف أقوى من العفة ، اذا لاحظنا أن مدام دى كليف ظلت طاهرة الذيل ، بينما استسلمت جوليا من أول وهلة .. بل شجعت حبيبها على أن يجترىء عليها !.. واذا قارنا بين مشهد الغابة فى كل من القصتين ، ألفينا المفارقة صارخة : فمدام دى كليف لا تعلم أن حبيبها مختبىء بين الاشجار يرقبها .. ومن ثم يستمر المشهد حالما محلقا فى عالم الصفاء !.. أما جوليا فهى التى تدعو حبيبها الى لقائها فى الغابة ، وتمنحه القبلة التى لم يجرؤ على طلبها !.. والفارق بين «الرجلين» فى كل من القصتين لا يقل استرعاء للنظر : فنحن نرى « دى بريو » رجلا ضعيفا خائرا ، بل حقيرا — على حد تعبير « ستندال » — فى حين كان كل من « دى كليف » و « دى نيمور » بطلا ، شهما ، نبيلا !

هل الانسان عفيف بطبيعته ؟

◆ على ان قصة روسو اذا لم تتطرف فى « السمو » الى مستوى « مدام دى كليف » ، فانها لا تتطرف من ناحية أخرى فى « الواقعية » الى مستوى قصة أخرى من الروائع الكلاسيكية ، هى « مانون ليسكو » ، حيث لا يوقظ الحب الشهوانى أى وخز فى الضمير .. وحيث يستسلم أشخاص القصة لغرائزهم دون أى وازع خلقى !.. ففى قصة روسو على الاقل نجد فكرة العفة ماثلة لنا على الدوام .. والعفة عنده هى « الحاسة الباطنية التى توجه الى فعل الصواب » ... هى القانون الطبيعى أو الالهى — (والمعنيان فى نظر روسو مترادفان !) — الذى يسيطر على أفعالنا !.. فروسو يؤمن بأن الانسان ، اذا استطاع أن يستخير ضميره بملء حريته ، سار دون مشقة فى الطريق الذى يرسمه القانون الالهى .. فاذا كان لا يفعل ذلك فلأن المجتمع يحيد به بعيدا عن هذا الطريق !.. ومن هنا نرى جوليا وفولمار قد استطاعا أن

يعيشا وفقا ((للطبيعة)) - وبالتالى وفقا لمقتضيات ((العفة)) - ، متى ؟ حين اختارا العيش فى الريف ٠٠ اعنى بعيدا عن المجتمع !

ولكن هل صحيح ان الانسان ، اذا تحرر من المغريات التى يضعها المجتمع فى طريقه ، يكون بطبيعته عفيفا ؟ وهل أشخاص روسو ، مثل جوليا أو فولمار ، فيهم طباع البشر الحقيقيين ؟ لو سئل روسو هذا السؤال فانى اعتقد انه كان يجيب بقوله : ان هؤلاء الاشخاص أكثر واقعية ، و ((بشرية)) ، من المنافق أو الداعر الذى صوره سواه من مؤلفى القصص فى ذلك العصر ٠٠ أمثال ((لاروشفوكو)) !

وقد كتب روسو يصف الشعور الذى انتابه حين أعاد قراءة ((هيلويز الجديدة)) بعد أن أتم كتابتها ، قال : ((٠٠ أما وقد فرغت من اعادة قراءة هذه القصة ، فانى أستطيع أن أفهم لماذا تروقنى ، كما لا بد تروق لكل قارىء سليم النفس والطوية ٠٠ ذلك لانها تثير حولها جوا من النقاء ٠٠ النقاء غير الممزوج بالألم ، ولا الشرور ، أو الجرائم ، أو أعاصير البغضاء والكراهية ٠٠ فأنا لا أفهم كيف يمكن أن توجد أية متعة فى تصور أو تصوير شخصية نذل حقير !٠٠ بل انى لأرثى لأولئك المؤلفين الذين تحفل مآسيهم بالفواجع الرهيبة ٠٠ ولئن كنت على استعداد للاعتراف بمواهبهم وعبقريتهم ، غير انى أحمد الله لانه لم يمنحنى هذه المواهب والعبقرية !))

وهو على حق ٠٠ فالناس الابرار ((موجودون)) ! وهم اذا لم يظهروا كثيرا فى القصص ، فانما سبب ذلك هو خشية المؤلفين أن يضيق القراء بوجودهم ، أو يتهموهم هم - خالقيهم - ((بالنفاق)) و ((الرياء)) اللذين نمقتهما جميعا ٠٠ لكن الواقع أن الاشخاص ((الطيبين)) أو الابرار ليسوا دائما مجلبة للضيق والسام ، فنحن لا نضيق بشخصية مسيو ((ميرييل)) فى (البؤساء) ٠٠ ولا بشخصيتى ((اوجينى جرانديه)) او امها مدام جرانديه فى قصة بلزاك المعروفة بهذا الاسم ٠٠ بل ان هؤلاء جميعا - على العكس - يمتعوننا حقا ، وأى متعة !

٠٠ ذلك ان العفة التى تبعث الضيق والسام هى العفة الزائفة ، لا العفة الحقيقية ٠٠ اما هذه فتبعث البهجة والانشراح ، وكل ما يلزمها كى تكون محبوبة أن تقترن بالموهبة عند الكاتب الذى يصورها !

وقد وضع فيها روسو ذوب قلبه ، فكفل لها الغلبة والنصر !

نقد ((فولتير)) للقصة

◆ على أن القصة لم تسلم من قلم ((فولتير)) الساخر ، فكتب يقول فى نقدها : ((٠٠ ان الشخصية الرئيسية فى القصة هى شخصية شاب سويسرى

تلقى دراسة ضئيلة ، وراح يلقن ما تلقى لجوليا ، وهى ابنة « بارون » من نبلاء اقليم (فود) .. واذ نحن نرى الشاب يتحدث الى جوليا فى الحب .. وجوليا تمنح معلمها قبلة طويلة ، شديدة المرارة ، يروح الشاب يردد شكواه منها !.. وفى اليوم التالى يودع صاحبنا أحشاء فتاته « جنينا » . وقد تحسب النساء ان هذه هى نهاية القصة ، ولكن هنا - أيها الرجال - عقدة القصة الدقيقة ، هنا فلسفتها الرائعة ، التى تتيح لها أن تستمر خمسة مجلدات أخرى بعد هذه النهاية ! »

.. ثم يصف فولتير موقف « فولمار » وهو يواجه الشاب « سان بريو » .. على هذا النحو : **« لقد كنت عشيق زوجتى ، وسوف تظل دائما صديقها الصدوق .. لكنك ستحرص أيضا على صداقتى أنا الآخر .. فلنعش ثلاثتنا معا ، كمواطنين سويسريين طيبين ، كأقارب متحابين .. كما لو لم يكن قد حدث شىء !.. ولتكن على ثقة من أن حياتنا على هذا النحو سوف تكون نموذجا للفلسفة والسعادة ! »**

.. وهو نقد طريف ، لكنه ظالم !.. فبرغم كل حملات النقاد ، وسخريتهم ، فقد كان نجاح الكتاب خالدا .. حتى لقد جعل من روسو معلما للجيل ، وقائدا « روحيا » له ، علم الناس حب الطبيعة ، والحنين الى الحياة البسيطة .. وصارت حساسيته ، التى كانت أشد حدة من حساسية الرجل العادى - حتى ليمكن اعتبار انها كانت عنده « مرضا » من الامراض ! - صارت القاعدة والنموذج لقومه ، لعدة أجيال ..

وفى العدد القادم يواصل الحب كشف أقنعته لنا ...

الخالدات

شهيرات النساء

عزيزى القارىء ...

فى اعداد سابقة قدمت لك فى هذا الباب من قصص حياة شهيرات النساء ، هذه السير :

- فلورنس نايتنجيل
- مدام كورى
- سارة برنار

واليوم أقدم فيما يلى ، الفصل الثانى من هذا الكتاب الممتاز « ملكات ونساء » للكاتب الفرنسى المعاصر « هنرى بوردو » عضو الاكاديمية الفرنسية ـ وقد قدمت لك الفصل الاول من الكتاب فى العدد رقم ٣٣ ، وكان يتناول سيرة ملكة فلسطين القديمة « بيرينيس » ـ وفى هذا الفصل الجديد يحدثنا « بوردو » بافاضة عن كليوباترا ، ملكة مصر القديمة ، ويرد على كثير من الافتراءات التى حرفها التاريخ عنها .. كما يفند حملات بعض الكتاب عليها ، (وفى مقدمتهم شكسبير ، فى مسرحيته المشهورة « قيصر وكليوباترة »)

وفى أعداد قادمة أزمع أن أقدم لك باذن الله قصص حياة اخريات من نساء العالم الشهيرات ، فى هذا الميدان أو ذاك ، ومنهن : جان دارك ، تيودورا ، كاترين ، مارى ملكة اسكتلنده ، شارلوت برونتى ، مدام شيانج كاى شيك ، مسز روزفلت .. الخ

رسم بارز لكليوباترة بمعبد "دندرة"

هنري بوردو

ملكات ونساء

٢ - كليوباترا

كليوباترا .. المفترى عليها !

هذه الفاتنة ، الماجنة : كليوباترا ...

هذه العاصفة الهوجاء : كليوباترا ...

هذه الماكرة الساحرة .. مقوضة العروش ومثيرة الفتن .. التى اشعلت نار الحروب ، كما اشعلت النار فى القلوب !! .. لكم أتعبت المؤرخين والمؤلفين ، والشعراء والكتاب والروائيين ، من قدامى ومحدثين !

لقد كتب عنها « بلوتارك » ..

وعنى بأمرها « شكسبير » ..

ولعنها من لعنها ، واحبها من أحبها ! .. وكان الذى يلعنها يحبها ويركع تحت قدميها !!

ودافع عنها كثيرون .. وافرغوا فى الدفاع عنها المحابر .. وظلت شخصيتها الفذة تترنح بين القادحين والمادحين .. تتقاذفها التيارات المتعارضة ، والاقوال المتناقضة .. وهى من القلق لا تستقر على حال !

وجاء دور الكاتب الفرنسى ذائع الصيت « هنرى بوردو » ليكتب عنها ، بل ليجرد قلمه المسنون للدفاع عن هذه التى ما زال التاريخ يوقفها فى قفص الاتهام .. ويفترى عليها !

فلنقرأ معا ما نقب عنه من حقائق فى تاريخها ، لم يلق عليها الضوء كاتب قبله أو مؤرخ ، مما يضفى على حديثه عنها جدة تجعلك تحس كانك تقف فى كل سطر منه على جوانب من حياتها واحداث فى تاريخها لم يقدر لقارىء أن يقف عليها قبل الآن !.. بل تعال نقرأ حملته الشديدة على « شكسبير » ، واتهاماته له : بالسرقة عن « بلوتارك » ! – فيما يتصل بمادة مسرحيته المشهورة « انطونيو وكليوباترا » ! – ثم بالتحامل المغرض على كليوباترا فى تلك المسرحية بما يجافى الحقيقة والتاريخ !

والفصل الذى أقدمه لك فيما يلى عن كليوباترا ، هو احد فصول كتاب بوردو الممتع « ملكات ونساء » الذى قرأت الفصل الاول منه عن « بيرينيس » فى العدد الاسبق .. وتقرأ الفصول التالية منه فى الاعداد القادمة باذن الله

١ ـ الاسكندرية .. كما رأيتها

◆ كانت الاسكندرية أول مدينة وقع عليها بصرى فى الشرق ، فرأيت فيها تلك الشمس الساطعة التى تغلف أشعتها الدافئة افقها المتسع الصافى الاديم ، وتنسكب على مياه البحر الباهتة الزرقاء .. لكنى اذ استثنيت هذه الروعة التى احسستها من النظرة الأولى اليها ، وجدتها تدعو الى خيبة الأمل .. فقد رايتها خالية من كل معالم التاريخ الخالدة التى سطرت على صفحات مصر ! فلا معابد ولا تماثيل من تلك التى تزدان بها مصر العليا .. ولا شىء يذكرك بانها المدينة التى اسسها الاسكندر .. ووقع يوليوس قيصر فى شرك غرام كليوباترا فوق ارضها .. وغزاها ((نابليون بونابرت)) ليبعثها الى الحياة من جديد بعد أن ظلت قرونا محنطة كالمومياء .. بل المدينة التى التقت فيها الدنيا باسرها : التقى فيها الغزاة المنتصرون ، وتعانق فيها الحب والموت .. ومن الجزر البريطانية التى يغطيها الضباب نظم ((شكسبير)) شعره الخالد عن غرامها بانطونيو !

ومن العبث أن تسال فى الاسكندرية هذا السؤال : اين القبر الذى ترقد فيه «كليوباترا» ، بعد أن احرقت جثة «انطونيو» على اثر انتحاره ؟! ان احدا لم يستطع العثور على هذا القبر .. أما جسد انطونيو فقد أكلته النيران ..

لقد اندثر كل هذا الماضى الفخم الحافل بالاحداث الجسام .. ولم يعد الاسكندر ، ويوليوس قيصر ، ومارك انطونيو ، الا مجرد اسماء ! .. فاذا كان هناك اسم ما زال يرن صداه فى الاسكندرية فهو اسم ((نابليون بونابرت)) الذى ما يزال ذكره فيها ضخما ، ضخامة تمثال «ممنون» الرابض على احدى ضفاف النيل ، فى مصر العليا ، يبث النيل شكواه كلما اشرقت عليه الشمس لتلفحه بحرارتها .. وليس كمصر بلد يمجد الموت ! .. وليس كالاسكندرية مدينة تنسج فيها خيوط النسيان !!

لقد كانت الاسكندرية فى عهد ((كليوباترا)) اكبر مدينة فى العالم بعد روما ! ـ (بل لقد كانت ((كليوباترا)) تزمع ان تجعلها مساوية لروما فى العظمة) ـ وهى تطل على البحر الابيض المتوسط ، تفصلها عن الدلتا المصرية بحيرة مريوط التى كانت تتدفق عليها جميع حاصلات البلاد الداخلية .. ترى الى اى حد كانت تمتد سلطة الملوك القدماء فى داخل البلاد ؟! اننا نستطيع الحكم على ذلك من كنوز «كليوباترا» التى لم يعرف التاريخ لها نظيرا ، والتي كانت تكتنزها حتي حدود السودان فى افريقيا !

ومناخ الاسكندرية المعتدل يجعل الاقامة فيها ممتعة مريحة .. ولا يعدل جمال مبانيها الا جمال حدائقها العامة .. وأهلها مزيج من جميع الاجناس - وان كان العنصر الاغريقى هو الغالب بينها - فهى تأوى سكان البلاد الاصليين ، والايطاليين ، والفينيقيين ، والسوريين ، والارمن .. الخ

ويتميز أهل الاسكندرية بالاندفاع وقلة الاكتراث ، ولكنهم برغم ذلك اكفاء فى الاعمال ، يحرزون فيها نجاحا عجيبا . يضاف الى ذلك تذوقهم للنكتة المليحة . وقد شبه المؤرخ «فيرارو» الرجل الاسكندرى فى عهد «كليوباترا» ، بالباريسى فى عهدنا الحاضر ! .. ولكم وددت لو اكتملت المقارنة من جميع نواحيها .. ولكن كليوباترا تنقصنا اليوم فى باريس ، مع الأسف !

والاسكندرية الآن مدينة تجارية كبيرة كثيرة الحركة ، تعج بالاعمال ، ذات مبان كبيرة ، ما فى ذلك شك . وجوها صحو وهواؤها جميل عليل .. ولكنها برغم كل هذه المؤهلات ، ليست على شىء من الجمال الحقيقى .. واكثر ما تدب فيها الحياة فى فصل الصيف ، حين ينتجعها المصيفون من جميع ارجاء مصر ليستمتعوا بهوائها وبحرها .. وقد زارها « موريس باريز » فأبدع فى وصفها حين قال : **« ان الاسكندرية هى احدى مدن العالم التى تلتقى فيها باكبر مجموعة من النساء الفاتنات .. ان الاغريقيات فيها يخلبن اللب بقوامهن المشوق واعطافهن الرخصة .. ونساء الاسكندرية انفسهن رائعات ساحرات .. وفى هذه المدينة تلتقى جميع أجناس العالم ، هذه الاجناس التى ترتبط فوق ارضها باقوى روابط المودة والاخاء .. »**

ولقد صادفت اثناء زيارتى لها بعضا من هؤلاء الفاتنات اللواتى قدمن اليها من كل فج وصوب .. فرايتهن جميعا يلبسن أحدث وأرشق ازياء باريس ، ويتحدثن بلغات متعددة مختلفة تكون مزيجا رائعا عذبا .. وكان الزى الجديد الذى شاع واستحوذ على نساء الاسكندرية ، اثناء زيارتى لها ، هو زى سكان الصحراء ! .. غير أن هؤلاء الجميلات لم يلقين بالا الى انهن قد نزعن عن هذا الزى طابعه الخاص الذى تتميز به الصحراء، الا وهو : « طابع الوحدة ! »

٢ - من هى كليوباترا ؟

◆ **عندما** نريد ان نتناول شخصية « كليوباترا » يتعين علينا أن ناخذ حذرنا من المؤرخين الرومان .. فان المنتصر يكتب التاريخ دائما على هواه ! فهو يعمد الى سحق شخصية المهزوم وتشويهها .. ولقد حاول « أوكتاف » (اوكتافيوس) - هذا الحاذق الماهر ، الذى كان دبلوماسيا اكثر منه محاربا ، وكان مجردا من العبقرية والسمو ، اذ لم يبرع فى شىء الا فى الاساليب

التى يمكنه ان يستغل بها انتصاراته ! ـ لقد حاول « اوكتـــاف » هذا أن يشوه سمعة كليوباترا التى كانت تنافسه فى الشهرة وذيوع الصيت اكثر مما ينافسه مارك انطونيو !

ولعلها عادة درج عليها التاريخ : فان اليزابيث ملكة انجلترا قد شوهت سمعة مارى ستيوارت .. ومرغت الثورة الفرنسية سمعة مارى انطوانيت فى الوحل .. فلنحافظ على تراث الانسانية التليد من هؤلاء الحقراء الذين ينالون منه بدافع الغيرة والحسد !

وهكذا فعلت روما ، فقد بذلت اقصى جهدها فى تصوير « كليوباترا » على انها امراة مجردة من الخلق ، ملهمة للشر ، مدمرة ، هدامة ، فاجرة ! .. فى الوقت الذى كانت فيه روما هذه ـ بالذات ـ مباءة للاقذار ، تعب فى الشهوات ولا تتورع عن اقتراف ابشع جرائم الفسق والمجـــون ! ..

حقا لقد كان من سخرية الاقدار ان تنبـــرى روما لاتهام كليوباترا ، وهى ـ روما ـ التى تراجع فيها الشرف أمام الدعارة ، والمتع المبتذلة ، وبيع الاعراض .. فاحتلت الداعرات مكان الصدارة فيها ، (مثل ام « بروتس » وزوجة « لوسيلوس » ، وزوجة « سيزاروس » .. الخ)

نعم ، روما تتهم كليوباترا ، وهى المدينة التى كانت الرشوة فيها هى القانون ، وشراء الذمم هو دستور الحاكمين ! .. فلنتريث اذن قليلا أمام اتهامات روما الزائفة لكليوباترا ، لانها اتهامات مبنية على الحقد والحســد والافتراء !

ذات الجاذبية « الذرية » !

◆ **وقبل** أن نتحدث عن كليوباترا ونرسم صورة لها ، ينبغى ان نتساءل : من هى كليوباترا ؟ وما مقدار حظها من الجمال الذى تحدث عنه «بسكال» ، وعزا اليه انه كان سببا فى تغيير تاريخ العالم ؟

يحدثنا « بلوتارك » عن جمال « كليوباترا » فيقول انه لم يكن جمـــالا خارقا يذهب باللب ويسلب الرشد ، ولكنه كان أنوثة وجاذبيــة ليس الى الصمود امامهما من سبيل !.. يضاف اليهما ذكاء لماح ، وحديث طلى ساحر ينساب فى صوت ذى نغمات موسيقية ، سحر كل من سمعه من الناس ، من جميع الاجناس !! .. وبالرغم من ان « ديون كاسيوس » كان قاسيا فى الحكم عليها ، فانه وصفها بقوله : « لقد كانت تبدو رائعـــة لسامعيهـــا ومشاهديها معا ، قادرة على أن تغزو اصلب القلوب عودا .. لا سيما بسحر حديثها وصوتها الموسيقى اللذين كانا يوقعان فى اسرها كل من يراها أو يسمعها بغير استثناء !! »

فهذا الوصف ، أو هذا الثناء ، يظهر لنا « كليوباترا » بعيدة عن ذلك « الفوران الحسى » الذى يتميز به الشرق عموما ونساء الشرق على وجه الخصوص ! .. والواقع انه لم تكن فى عروق كليوباترا - على وجه التحديد والتوكيد - قطرة واحدة من الدم الشرقى .. فلقد كانت يونانية صميمة ، نزحت اسرتها - التى كانت تدعى اسرة البطالسة - من (مقدونيا) .. وكانت ذات بشرة بيضاء ، ان لم تكن شقراء ، وعينين زرقاوين - وقال بعض المؤرخين انها كانت ذات شعر بنى وعينين تميلان الى السمرة - ولكنها على اى حال كانت بعيدة عن ان تكون مصرية سمراء ، لها ما للمصرية من شعر أسود فاحم وعينين واسعتين من ذوات الأهداب الطويلة ! .. والصورة الوحيدة التى لدينا لكليوباترا هى التى وجدت على بعض قطع النقود ، ومنها نستنتج انها كانت ذات انف صغير مقوس وقوام متوسط الطول .. اما أجمل تماثيلها فقد دمر ! .. ولعلها كانت قصيرة القامة ، وقد استنتج ذلك من الطريقة الرشيقة المفعمة بالدلال التى كانت تحاول أن تمد بها قامتها أمام يوليوس قيصر !.. وبالاختصار فقد كانت جميلة بلا مراء ، لكن جمالها لم يكن ذلك الجمال الذى لا عيب فيه .. وانما كانت جاذبية كليوباترا ، وسحرها ، وفتنتها ، كامنة كلها فى نبرات صوتها .. وهنا يصفها «بلوتارك» بقوله : « **ان الخلوة معها كانت ذات فتنة لا تقاوم ! .. وقوة الاغراء التى تتدفق فى نبرات صوتها ، والاساليب العجيبة التى كانت تنفرد بها فى تكييف كل ما يصدر عنها ، كل ذلك كان يحدث فيمن يراها ويسمعها تاثيرا عنيفا مثيرا ! » .. يضاف الى هذا ، حركة دائبة دائمة لا تفتر .. فهى شعلة من نار ، تحرق وتنير ، وتتدفق طوفانا من الحيوية والحياة .. فنراها تقفز من العبوس الى الضحك فى لحظة ، ومن القسوة الى الرقة فى طرفة عين .. وتنزل من قمة الخيلاء الى سفح الطفولة والصبيانية دفعة واحدة ! .. ولما كانت قد ولدت على أريكة الملك ، لانها من سلالة عدة ملوك ، فقد عرفت كيف تصون للملك كرامته ، وتحفظ له وقاره ومهابته .. وكانت مولعة باحاطة نفسها بابهة الملك وبهرجه وزخرفه ، لتحمل رعاياها على اجلالها واكبارها وتعظيمها .. وقد رآها « شيشرون » فوصفها بانها كانت « شديدة الكبرياء ! »**

وكانت طموحة ، ليس لطموحها ولا لاطماعها حد .. فأرادت ان تجعل من مصر مملكة قوية جبارة فى الشرق ، كما أرادت ان تجعل من الغرب - بواسطة قيصر وانطونيو - امبراطورية قوية جبارة بدورها فى الطرف الآخر من البحر الابيض ..

وكانت عوامل السياسة ومفاجآتها تتنازع كليوباترة وتتقاذفها فى غير اتزان .. فلم تكن لتهاب الحروب ، وكان مجرد وجودها وسط الجنود فى ميادين القتال يلهب مشاعرهم ويشعل حماستهم الى حد الجنون ! .. وكان جنودها ورعاياها يتقبلون الاسراف فى بهرجها بالرضا والاعجاب ، لأنه لم يكن فى تقديرهم بهرجا زائفا وبريقا خداعا ، بل كان قطعة منها .. كان هو « كليوباترا » !

نعم ، كانت مقدامة شجاعة لا تخشى الموت ، ولا تهاب المغامرات التى قد يترتب عليها مصير الانسانية جمعاء ! .. شديدة الثقة بنفسها ، وبطالعها السعيد ونجمها الصاعد .. فاذا أصابها مكروه قاومت بلدد لا يتراجع ، وعناد لا تزحزحه الجبال ! .. ولقد عاشت ملكة فى كل اطوار حياتها .. فلما اقترب منها الموت بوجهه الكالح المرهوب ، واجهته كملكة ايضا !

وبالرغم من انها كانت مندفعة متهورة ، الا انها كانت واسعة الافق والعقل والادراك : فهى سليمة النية وماكرة معا .. سريعة الغضب وقادرة على ضبط اعصابها فى آن واحد .. فكانت تلتقى فيها اكبر مجموعة من المتناقضات التى يستحيل ان تتجمع فى انسان ، أو تلتقى فى مكان ! .. فكما وصفها « ارثر ويجل » : « كانت تحرك بيديها البضتين الناعمتين مصائر الانسانية .. فهى رداء نسيجه من الظلال والنور ! »

وعليه فكيف يريدنا الناس أن نصدق المؤرخين الرومان الذين يصورونها لنا فى صورة المرأة الماجنة الداعرة المستعبدة لحواسها ؟ .. اننا اذا تتبعنا حياتها لا نجد الا الطموح والحب ، مجتمعين .. ولقد احبت مرتين ، وكانت فى كل مرة تحب رجلا يكبرها فى السن ، ورغم ذلك فقد ظلت وفية لهما ، وفاء المرأة لزوجين « شرعيين » متعاقبين . وكانت أما لاربعة اطفال ، انجبت واحدا منهم من قيصر والثلاثة الآخرين من مارك انطونيـو ، وظلت ترعاهم وتحميهم الى آخر نسمة من حياتها ..

هذه هى المرأة التى حاولت روما أن تمرغها فى الوحل لانها لوثت الرومان ! .. روما التى كسدت فيها تجارة محترفات الدعارة لشدة منافسة نساء الطبقة الارستقراطية لهن فى هذه التجارة .. !

كليوباترا « السابعة » !

◆ تولت كليوباترا الملك وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، على اثر وفاة والدها « بطليموس الثالث عشر » ، الذى ترك الملك مناصفة بينها وبين ابنه « بطليموس » .. وكانت « كليوباترا » كبرى بناته ، فلقبت بكليوباترا

« السابعة » ، كما كان أخوها بطليموس اكبر اولاده فحمل لقب « بطليموس الرابع عشر » ..

وكانت التقاليد المصرية تقضى بان يتزوج الأخ من اخته حتى يظل الدم الموروث من الآلهة نقيا لا يشوبه دم أجنبى ! ولكن « بطليموس » كان فى الحادية عشرة من عمره ، فأراد أحد الخصيان ـ ويدعى « باثان » ـ أن ينفرد بالملك باسم الأخ الصغير ، فطرد كليوباترا واضطرها الى الفرار الى سوريا حيث جردت هناك جيشا لمقاتلته .. والتقى الجيشان فى مدينة « بيلوزا » ـ التى هى الآن مدينة (بورسعيد) ـ وتأهبا للقتال !

وبطريق الصدفة ، وصل الى (بيلوزا) فى تلك الآونة القائد الرومانى المشهور « بومبى » ـ منافس قيصر ـ بعد أن هزمه الاخير فى معركة (فارسال) .. ولجأ بومبى الى بطليموس ، طالبا منه أن يحميه ، جزاء له على دفاعه عن مصر .. لكن قيصر جاء الى مصر فى أثره ، ليقضى على ما بقى من فلول جيشه .. وذبحته جيوش قيصر فى بورسعيد ذبح الشاة ، على مرأى من زوجته التى ولت الادبار ، بمساعدة فرقتين من جيش زوجها المهزوم !

٣ ـ كليوباترا .. وقيصر

◆ لما دخلت جيوش يوليوس قيصر الى مصر منتصرة ، أصدر قيصر أمره الى كليوباترا واخيها بتسريح جيشيهما والمثول أمامه ، ليكون حكما فيما بينهما من خلاف !.. فامتثلت كليوباترا ، أما أخوها فابى أن يسرح جيشه، وحال بينها وبين الذهاب للقاء قيصر ، بأن سد عليها منافذ الطرق وسبل الهرب .. فماذا صنعت الماكرة ؟

كان من اتباعها الاوفياء صياد من صقلية اسمه « أبوللودور » ، فاتفقا معا على أن تركب زورقه فى ظلام الليل ، هاربة من الارصاد المنبثة حولها ، ثم يرافقها الصياد الى قصر « لوتشيا » حيث يقيم قيصر !

ونجحت الحيلة ، وافلتت كليوباترا من براثن أخيها ، فقد دخل الصياد قصر لوتشيا يحمل على كتفيه « بساطا » مطويا .. وبشجاعة فائقة تقدم من قيصر ، ثم انزل حمله وبسطه أمامه بحركة سريعة ، فاذا بكليوباترا تخرج منه ، وترتمى على قدمى قيصر !

أذهلت المفاجأة قيصر ، وراعته براعة الحيلة ، وامضى الليل فى استجوابها ، فادهشه ذكاؤها الخارق ، ولم يتمالك نفسه من الاعجاب بحسنها ودلالها ، وصوتها الساحر !

يوليوس قيصر

كان قيصر يومئذ فى الرابعة والخمسين ، قوى الجسم ، معتدل القامة ، تبدو عليه العراقة والنبل .. له وجه دقيق وعينان سوداوان ، وملامح قوية ، وفم ذو ابتسامة ساحرة حازمة .. يميل لونه الى الاصفرار - الامر الذى يدل على أن له حياة عنيفة صاخبة مع النساء ! - وكان رشيقا ، لا يزيد وزنه على الستين كيلو جراما .. خبيرا بالالعاب الرياضية ، كالسباحة وركوب الخيل ، يمارسهما فى خفة وبراعة ! .. شديد التانق فى ملبسه ، لا تفوته الاناقة حتى وهو فى ساحات القتال ! .. وفى هذا المضمار كان جنديا باسلا مقداما ، وقائدا عبقريا يبعث الثقة به فى نفوس جنوده ، حتى ليجودون بارواحهم فى سبيل نصرته !.. كما كان واسع المعرفة بالعلوم والفنون والآداب ، فصيحا ، قديرا على التحمل والصبر اذا دارت رحى المعارك فى الميادين .. وكان ذا ارادة حديدية ، لا يتطرق اليأس الى قلبه ولا تعرف الهزيمة الى نفسه سبيلا !

وبالرغم من كل هذه الصفات السامية ، كانت الغاية عنده تبرر الوسيلة !.. كان يشترى الاصوات لمرشحيه ، ويقيم ولائم لم يسمع التاريخ بمثلها - حتى لقد دعا مرة لتناول الفداء ، اثنين وعشرين ألف نسمة ! - وكان يدفع نفقات حفلاته الباهظة من الاتاوات التى يفرضها على المهزومين !

أما سلوكه مع النساء ، فقد كان كله ضعة وحقارة .. كان يفرد بهن ، ثم يلقيهن فى عرض الطريق ، بعد أن يشبع منهن شهوته ! .. وكان يتزوج ويطلق بغير حساب . وقيل انه ارتكب فى صباه من الموبقات ، ما يقشعر لهوله البدن !

وأما سلوكه مع الرجال ، فقد كان من نوع آخر .. انه فى حاجة الى الرجال ، ولذلك برع فى فن استمالتهم ، بمعسول الكلم ، والاسراف والملق ، والنفاق .. حتى يمتصهم الى آخر قطرة ، ويعيش على تضحياتهم ، وبهذا انتصر فى كل المعارك التى خاضها : انتصر فى بلاد الغال ، وانتصر

على « بومبى » فى (فارسال) .. وآلت اليه مقادير العالم !

هذا الرجل ، هذا الطاغية ، هذا القائد المنتصر ، هذا الحاكم الذى لا مرد لقضائه وقدره .. ترى ماذا تستطيع أن تصنع معه فتاة صغيرة ملفوفة فى بساط ؟!.. الا أن تكون فريسة جديدة من فرائس متعه المبتذلة وشهواته الدنيئة .. أو تكون وسيلة – باعتبارها ملكة – لاخضاع مصر لسلطانه !

لكن كليوباترا عرفت كيف تسلب لبه على مهل .. ولاول مرة رأى قيصر نفسه أمام امرأة تختلف عمن تعود رؤيتهن !.. فبدأت كليوباترا تجد منه رعاية واهتماما بالفين ، أخذا فى التحول والتطور ، حتى استحالا الى .. حب !

الغرام الذى غير وجه التاريخ !

◆ **نعم.. احب يوليوس قيصر «كليوباترا» ، ذلك الحب الذى يشعر به رجل الخمسين ، عندما يحس اهتزاز قوائم الفتوة ودعائم الشباب فى بدنه !.. وتطور حبه تطورا غير مجرى حياته ، وجعلها تنحرف من اقصى اليمين .. الى أقصى اليسار !.. فكان من الطبيعى – بعد ذلك – أن يسعى لارضاء كليوباترا ، بشتى الوسائل ،** فدعا أخاها للحضور أمامه .. ولم يكن بطليموس يعرف أن أخته استطاعت الفكاك من الحصار الذى ضربه عليها ، فما ان مثل بين يدى قيصر ، حتى فوجىء بها بجانبه !!

كان بطليموس – اذ ذاك – فى الخامسة عشرة ، فلم يتمالك أعصابه من شدة المفاجأة ، وأغلظ القول لقيصر !.. لكن الثمن الذى دفعه كان باهظا : فبعد قليل اقتحم قيصر بجيشه أبواب الاسكندرية ، ودخلها دخول الظافر المنتصر ، وقضى على بطليموس وجيشه .. وبذلك تخلصت كليوباترا من منافسها ، وصارت ملكة مصر بغير منازع !

وأرادت الماكرة الداهية أن تجمع الشعب المصرى حولها .. انه شعب متدين ، يعبد الاله آمون ، فلتدخل فى روعه أن قيصر ، ان هو الا الاله آمون متجسدا !.. وقد فعلت ! وحين رزقت من قيصر بعد ذلك بابنهما « قيصر الصغير » – سيزارون – ادخلت فى روع الشعب مرة اخرى أن الطفل ليس سوى ابن آمون متجسدا أيضا !.. وكانت هذه هى الطريقة الوحيدة لوضع قيصر أمام الشعب فى وضع شرعى مقبول !

واستبد حب كليوباترا بقيصر .. فنسى روما والعالم بأسره ، وهو يذرع النيل بين احضان معشوقته ، فى رحلاتهما الشاعرية العديدة بسفينتها الفاخرة المشهورة .. وحين عاد الى روما بعد فتوحه المظفرة ، استقبل

استقبالا لم يشهد التاريخ مثله ! لقد قررت روما أن تحتفل به أربعة أيام متوالية ، تبجيلا له وتكريما .. لكنه لن يهنأ بالمواكب الهاتفة باسمه ، الا اذا كانت حبيبته الى جواره .. فأرسل يدعوها لتشاطره مجده ، وتشاركه سعادته وهناءه !

ووافته كليوباترا فى روما ، وشاهدت معه مهرجانات الايام الاربعة.. فراع جمالها وأبهة مظهرها أهل روما ، وقد بدت الى جانب قيصر أشد ما تكون كبرياء ودلالا .. لكنهم أخذوا يتوجسون خيفة من هذه الدخيلة عليهم ، الاجنبية عنهم !.. ولم يجرؤ قيصر على طلاق زوجته ((كالبورنيا)) ـ ليتزوج من كليوباترا ! ـ فقد كان يخشى غضب روما ان فعل .. ومن ثم راح يعبد الطريق مع ملكة مصر لتكوين مملكة مصرية رومانية متحدة ، يؤول عرشها الى ((سيزارون)) .. ابنه من كليوباترا !.. لكن تخوف روما من كليوباترا ، من ناحية ، وطمع قيصر فى أن يصبح ملكا ، من ناحية أخرى ، أثارا عليه حقد الرومان وكراهيتهم .. وأحبطا مشروعه !

وأقامت كليوباترا فى روما ثلاث سنوات ، أخذت فى نهايتها تستعد للعودة الى مصر .. أما قيصر فقد أخذ يستعد لغزو جديد ، تمهيدا لجمع الشرق والغرب تحت لوائه ، فى مملكة واحدة .. ولكن فيما هو يستعد لتلك الحملة ، اغتيل فى مجلس الشيوخ ، بتدبير من أعوانه وفى مقدمتهم ((كاسيوس)) و ((بروتس)) .. وكانت الطعنة الاخيرة التى أجهزت عليه بيد صفيه الحميم ((بروتس)) ـ الذى يرجح كثير من المؤرخين انه كان ابنه !! ـ وهى الطعنة التى انتزعت من صدره المتحشرج الذبيح صيحته المشهورة التى دلت على مبلغ ما أحسه من جحود ، ويأس ، وألم : ((حتى انت يا بروتس ؟!))

واذا كان الحادث قد فجع الرومان وروعهم ، فكم بالاحرى كان تأثيره على كليوباترا !.. ماذا يكون مصيرها ومصير ابنها ((سيزارون)) ؟!. يا له من مصير قاتم محفوف بالمكاره والاخطار !.. وبقيت الملكة المفجوعة فى روما حتى فضت وصية قيصر ، واعلنت على الملا ، فاذا بها لصالح ((أوكتافيوس)) .. وليست لصالح ابنها ((سيزارون)) !.. ومن يدرى ؟ ربما تكون الوصية الحقيقية التى خطها قيصر بيده قد اعدمت .. ربما تكون ((كالبورنيا)) زوجة قيصر قد اعدمتها ، من فرط غيرتها من كليوباترا وبغضها لها ، وزورت هذه الوصية الاخرى بدلا منها !

وعادت كليوباترا الى مصر ، ناجية من ذلك البلد الاجنبى الذى يناصبها أهله العداء ، ولا يضمرون لها غير الكراهية والبغضاء !

٤ ـ كليوباترا .. ومارك أنطونيو

◆ لم يكن فى روما رجل يستطيع أن يملأ الفراغ الذى تركه يوليوس قيصر ، أو يحمل وحده الاعباء الجسام التى كان يحملها .. لذلك وزعت سلطاته على ثلاثة ، هم : « أوكتافيوس » و « ليبيدس » و « مارك انطونيو » .. ولم يكن من العسير أن يلاحظ ، أن مارك أنطونيو هو أقوى الثلاثة ، وأنه لن يمضى وقت طويل حتى « يبتلع » شريكيه !.. وكانت كليوباترا قد التقت بانطونيو فى روما ، وسمعته يرثى يوليوس قيصر .. وسنرى كيف بدأت علاقتها به ، وكيف دفعته الى تحقيق الحلم الذى يداعبها منذ زمن بعيد ، وهو توحيد الشرق والغرب فى امبراطورية واحدة !

وقد وصف « بلوتارك » ، « مارك أنطونيو » بقوله : « كان رجلا وسيما جدا ، ممشوق القامة ، قوى البنية ، مفتول الساعدين ، منسق الشعر ، حلو القسمات ، يشبه « هرقل » شبها عجيبا .. تنبعث من عينيه الضاحكتين ابتسامة ساحرة ، ساخرة .. وكان موضع اعجاب النساء ـ ذلك الاعجاب الذى استغله الى أبعد الحدود ! ـ وكان شجاعا لا يقهر ، ولد للحرب والنزال .. يتبسط مع جنوده ويعرف كيف يجتذبهم . وكانت فصاحته تحدث فى الشعب تاثيرا أقوى مما كانت تحدثه عبارات قيصر المنمقة !.. وقد كان قيصر يعتبره خير ضباطه ، وان انكر منه جهله بالاداب العامة ، وعدم تعففه عن ارتكاب أحقر مباذل الدعارة فى أقذر الامكنة ، بلا حياء !.. فهو يسير فى الطرقات مترنحا من السكر ، ولا يزامل الا الدهماء والرعاع . وقد وصفه « رينان » أدق وصف فقال : « كان أنطونيو « طفلا » جبارا ، يستطيع أن يغزو العالم ويقهره ، لكنه يعجز عن أن يقهر النزوة العابرة ! » .. أما « بلوتارك » فقال عنه : « كان أنطونيو مزيجا من النبل والسفالة .. يضطلع باشرف الاعمال ويرتكب أدنا الجرائم ، فى آن واحد ! »

وكانت زوجته « فولفيا » قوية الشكيمة ، شديدة الذكاء ، واسعة الحيلة ، ومع ذلك لم تسلم من شروره .. كان يسىء الى الجماهير فتثور عليه ، لكنه لا يلبث أن يهدىء من ثائرتها ، بسحر ساحر !

والآن .. كيف التقى مارك أنطونيو بكليوباترا ؟

بينما كان معسكرا فى جزيرة صقلية ، يحيط به الملوك والامراء ، أرسل الى ملكة مصر يدعوها ليستجوبها عن علاقتها بيوليوس قيصر ، ويتهمها بأنها بمسلكها الشائن معه ، عاونت على اغتياله !

فلما وصلت الدعوة الى كليوباترا ، لم تتعجل السفر .. انها تثق فى قدرتها وفتنتها وسحرها ، ولا ترى فى دعوة انطونيو اياها - بحجة استجوابها - الا حيلة يبغى من ورائها ان يراها !

مارك انطونيو

وهكذا ، فى غير ما عجلة ، أعدت كليوباترا عدتها للذهاب اليه .. وقد وصف المؤرخون والكتاب والشعراء - وعلى رأسهم باوتارك وشكسبير - الموكب التاريخى الذى حف بكليوباترا وهى ذاهبة للقاء مارك انطونيو .. لقد ابحرت فى سفينة ذات مجاذيف من ذهب ، واشرعة من دمقس ! وكانت المجاذيف تتحرك على أنغام الموسيقى الساحرة ، وقد اضطجعت كليوباترا مثقلة بجواهرها تحت خيمة موشاة بالذهب ، تحيط بها الحور والولدان.. وكان عبير العطور ينبعث من السفينة فيسكر الموج ، وتنتشى به أعطافه ..

.. فلما وصل الموكب الى شاطىء صقلية ، اجتذبت روعته الجماهير ، فاجتمعت فى مواجهته وراحت تحيى ملكة مصر !.. حتى حاشية أنطونيو نسيت واجبها ، وتركته بمفرده ، لترى الملكة القادمة فى موكب لم تر مثله عين ، ولم تسمع بمثله أذن !

وأرسل انطونيو اليها ، يدعوها للعشاء .. لكنها لم تحفل بدعوته ! أمثلها تذهب اليه ؟!.. كلا ! بل هو الذى يجىء اليها !.. وقد كان لها ما ارادت ، جاء اليها فى سفينتها ..

ولقد عرفت كليوباترا بذكائها الوقاد وقوة ملاحظتها ، نقطة الضعف فى كل من الرجلين - قيصر وأنطونيو - فضربت لكل منهما على الوتر الحساس : عرفت فى الاول الثبات والعمق والكياسة ، وعرفت فى الثانى انه رجل سطحى تستهويه المظاهر البراقة ، فاجتذبته بالاسلوب الذى يرضيه !.. كان لقيصر ذكاء أهل الفنون وذوقهم ، فعاشت فى جوه .. وكان فى انطونيو خلق الاوباش فسايرته ، وزاملت من كان يحب مزاملتهم من الرعاع، حتى تقبض على ناصيته فلا يفلت منها ، ولا يجد عليها ماخذا واحدا فى حبها وولائها له !

لكنها فى الموت ، كانت الملكة التى تليق بقيصر .. بينما كان أنطونيو فى موته هباء لا قيمة له .. ولو أننا حذفنا من حياته أن كليوباترا دخلت فيها ، لما كان فيها ما يستحق الالتفات أو التسجيل !

تناول أنطونيو العشاء فى سفينة كليوباترا ، تحيط به المشاعل وأناشيد القيان ، وكانت هى تغازله وتعابثه فى دلال وخيلاء ، وتدنيه وتقصيه فى ترفع الملكات !.. وقضى الامر ، ونفذت سهام كليوباترا فى قلب « الطفل » الكبير .. فاذا هى تعود به الى الاسكندرية ، وتدخل به قصر لوتشيا ـ نفس القصر الذى كانت قد دخلته لمقابلة قيصر ملفوفة فى بساط ! ـ تدخله بأنطونيو عبدا ، متيما ، خاضعا !

وحاصرته بمظاهر الترف ، والموائد المتخمة باشهى المأكولات ـ اذ كان نهما ! ـ فانسته كل شىء : وطنــه ايطاليا ، وشريكه الذى يتربص له « أوكتافيوس » ، وزوجته القوية الذكية « فولفيا » .. والدنيا بما فيها ومن فيها !

أما هى ، فلم تنس حلمها الجميل : توحيد الشرق والغرب فى امبراطورية واحدة ، تدين لها بالطاعة والولاء !.. ولم تنس العقبــة التى تعترض طريقها الى تحقيقه ، انها « أوكتافيوس » .. مغتصب المنصب الذى كان سيشغله ابنها « سيزارون » !

فراق .. وطلاق .. فزواج !

◆ ولكن فجاة ، ساءت الاحوال : لقد حاولت « فولفيا » زوجة أنطونيو أن تؤلب ايطاليا ضد « أوكتافيوس » منافس زوجها .. فلمــا فشلت ، هربت !.. وفى الوقت نفسه هبت فرقتان من جيش أنطونيو المرابط فى سوريا تهددان بالعصيان ، فوجب على أنطونيو أن يخرج من « جنتــه » ليواجه الخطر المزدوج .. فأبحر من الاسكندرية ، تاركا كليوباترا تحمل فى احشائها التوامين اللذين وضعتهما بعد حين : التوأم الذكر « الكسندر هيلوس » ـ أى الشمس ـ والانثى التى سمتها كليوباترا « سيلينى » ، أى القمر .. لقد انجبت من أنطونيو الشمس والقمر ، مجتمعين !

وطالت فرقة الحبيبين .. أربع سنوات !.. وكان أنطونيو بطبيعته ممن يتأثرون بالمؤثرات الوقتية ، فما كاد يبتعد عن كليوباترا حتى شغلته المؤثرات الجديدة : ان زوجته المزعجة « فولفيا » تنغص عليه عيشه بما تسببه له من متاعب .. و « أوكتافيوس » ينافسه ويتربص له ويقض مضجعه !.. فلماذا لا يتخلص من « فولفيا » ، ويسالم أوكتافيوس ، فينجو بنفسه من المنغصات والمتاعب جميعا ؟!.. لماذا لا يقتسم العالم مع « أوكتافيوس » ، فيترك له حكم الغرب ، وينفرد هو بحكم الشرق ؟!.. فليمهد لتنفيذ الامرين

معا ، بالزواج من ((أوكتافيا)) ، أخت ((أوكتافيـوس)) !.. وكانت ((أوكتافيا)) امرأة شريفة عفيفة - بالرغم من الفساد الذى استشرى فى روما - وكانت تفوق كليوباترا جمالا وشبابا ، الى جانب انها كانت شديدة الذكاء أيضا ، وواسعة الادراك ..

واستقبلت كليوباترا نبأ الزواج أسوأ استقبال ! كان بمثابة خيانة لها ، وطعنة لكبريائها فى الصميم ، بل كان فيه القضاء أيضا على أمنيتها السياسية الضخمة !.. وفى هذه الاثناء تتابعت الاحداث بسرعة ، فلم يلبث « أوكتافيوس » أن هزم فى حرب نشبت بينه وبين « سكتوس » ، ابن بومبى » .. وكان انطونيو خلال هـذه الحرب يمد « أوكتافيوس » بالاسلحة ومعدات القتال .. فعجبت كليوباترا من موقفه هذا ، وقد كان فى وسعه أن ينتهز الفرصة الذهبية ليقضى على منافسه ، وينفرد بحكم العالم !.. ان زواجه من « أوكتافيا » هو السبب ، فقد جعله يحالف أخاها بدلا من أن يحاربه !

لكن الطفل الكبير سرعان ما مل عشرة أوكتافيا .. انها برغم شبابها وجمالها لم تكن تلهب احساسه وتثير غريزته كما كانت تفعل كليوباترا !.. وعاوده الحنين الى ملكة مصر ، فارسل ((أوكتافيا)) الى مكان قصى فى ايطاليا ، وأرسل يستدعى ((كليوباترا)) من جديد !.. لقد مل ((الطفل الكبير)) لعبته الجديدة ، وأخذ يصيح طالبا لعبته القديمة !.. فهل تقبل كليوباترا ضراعته وتوسلاته ؟.. لقد فعلت !.. قبلت ((كليوباترا)) - التى لم تكن تتورع أو تترفع عن شىء فى سبيل تحقيق حلمها السياسى الكبير - ضراعته وتوسلاته ، حرصا منها على احياء هذا الحلم ، ورغبة فى تحقيقه !.. ومن ثم ابحرت الى سوريا - وكان انطونيو قد سبقها اليها - فجمع الله الشتيتين مرة أخرى !

وهناك ، فى « انتيوك » ، أملت عليه شروطها ، وجعلت قبول هـذه الشروط ثمنا لصفحها وغفرانها : وكان أول ما اشترطته أن يطلـق « أوكتافيا » .. وثانيهما أن يتزوجها هى ، وفقـا للطقوس المصرية .. وثالثها أن يعترف بابنها من قيصر « سيزارون » ، وارثا شرعيا للعرش.. ورابعها أن يمنحها جميع السلطات التى كانت للملوك الفراعنة الاقدمين.. وخامسها أن يتحالف معها لتكوين جبهة ضد « أوكتافيوس »

واعتبرت الشرط الاخير أهم شروطها !

ووعدها انطونيو بتحقيق هذه الشروط .. وأخذ فى اعداد حملة حربية جديدة على اعدائه الالداء « البارثيين » ، فحاولت أن تصرفه عن ذلك .

ليوجه كل قوته لمحاربة عدوهما المشترك « أوكتافيوس » .. فلما فشلت المحاولة ، تركته وعادت الى مصر ، من طريق فلسطين ..

وانتصر أنطونيو على أعدائه .. ثم سافر الى الاسكندرية ، حيث احتفل بانتصاره ، فى مهرجانات رائعة .. ولكن بالرغم من انتصاره ، كان مركزه فى روما يتدهور تدهورا سريعا ، بسبب خضوعه لهذه المصرية التى استحوذت عليه ، وابقته بجوارها .. بينما كان « أوكتافيوس » يزداد نفوذا وقوة .. حتى غدت المبارزة بين الرجلين أمرا ليس عنه محيد .. واية مبارزة ! انها لم تكن مصارعة بين رجلين ، بل كانت معركة رهيبة بين نصفى العالم .. بين الشرق والغرب !

٥ ـ نهاية كليوباترا

◆ جمع انطونيو وكليوباترا جيوشهما البرية والبحرية فى « ايفيس » فكان عرض هذه الجيوش فرصة جديدة لأعياد زاخرة زاهرة .. وكان انطونيو قد وصل الى حالة من الانهيار العصبى يرثى لها ، من شدة افراطه فى اللهو والمجون .. فهو يضحك ويبكى !.. ويثور ويهدأ ! وتخوز قواه وييأس من الدنيا يأسا مطبقا ، وفجأة تتدفق فيه الحماسة والفتوة !.. وكان فى هذه الاثناء قد طلق زوجته « أوكتافيا » .. اخت أوكتافيوس ـ تنفيذا لشرط من الشروط التى أملتها عليه كليوباترا ! ـ فأثار ذلك سخط « أوكتافيوس » وروما معا !

وأخيرا دارت رحي معركة « أكتيوم » التاريخية ، التى كانت نقطة تحول فى تاريخ العالم القديم ، فاندحر فيها أنطونيو ، وانتصر عليه أوكتافيوس انتصارا ساحقا !.. أما كليوباترا ، فقد هربت ناجية بأسطولها وكنوزها الثمينة ، تاركة أنطونيو يواجه مصيره المحتوم ..

ويطيب لبعض المؤرخين والكتاب أن ينعوا على كليوباترا هربها من معركة « اكتيوم » .. ويصفوها بالجبن والنذالة .. ولكن ، ماذا كانت تستطيع أن تفعل ، وقد رأت الموت يطبق عليها من كل جانب !؟.. الواقع ان الذى ينطبق عليه وصف النذالة هو انطونيو ، فانه ما كاد يراها تبتعد عنه ، حتى ترك المعركة المحتدمة ، والجنود الذين يقاتلون من اجله ، وأسرع خلفها ، تاركا الدار تنعى من بناها ... ترك الجيش من غير قائد ، ليلحق بالمرأة التى يحبها !.. وظل جيشه يقاتل سبعة أيام ، قتال المستميت ، واخيرا اضطر الى التسليم !

ولو كانت كليوباترا امرأة عادية ، لسرها أن يترك القائد ميدان القتال ليجرى وراءها .. لكنها كانت تقدر الرجال بقدر أعمال البطولة التى يأتونها .. ومن هنا ازدرت أنطونيو لمسلكه الشائن ، ورفضت أن تقابله .. نظل يرسل الشفعاء اليها ثلاثة أيام ، حتى قبلت أخيرا أن يمثل بين يديها، كما يمثل العبد الذليل بين يدى مولاه !

وبينما انصرفت كليوباترا فى الايام التالية الى انقاذ ما يمكن انقاذه ، لم ينصرف انطونيو عن موبقاته ، فعاد الى فسقه وفجوره واستهتاره ، ومزاملته للاوباش !.. **بل ان حكمة كليوباترة جعلتها تحول أسطولها الحمل بكنوزها ، الى البحر الاحمر .. حتى اذا ما دخل أوكتافيوس الاسكندرية بجيوشه ، لم تسقط هذه الكنوز فى يديه !.. وفى الوقت نفسه اخذت تفاوض « أوكتافيوس » ، عساها تجد مخرجا لنفسها وعرشها واولادها - وبينهم ثلاثة من انطونيو ! - فبعث « أوكتافيوس » اليها رسولا يبلغها انه يطلب منها أن تسلمه انطونيو حيا !.. فاذا تعذر عليها ذلك ، فلتقض عليه ، باى طريقة .. وانه ، فى نظير ذلك ، يمنحها حريتها كاملة .. ويتركها ملكة لمصر !**

موقف نبيل !

◆ فتح باب النجاة أمام كليوباترا !.. لكنها انفت أن تشترى النجاة بالخسة والضعة .. وردت على « أوكتافيوس » ردها التاريخى الذى قالت فيه : **« انك تلح فى طلب رأس إنطونيو .. ان راسه لا يساوى الآن شيئا كثيرا .. لكننى آنف من أن أكون جلادته ، فاسلمه الى أيدى أعدائه !.. فاذا كان هذا المطلب عزيزا عليك ، واذا كنت توافا الى تحقيقه ، فما عليك الا أن تدك أسوار المدينة وتدخلها غازيا فاتحا ، واذ ذاك .. تجد راس انطونيو بين يديك ! »**

وهذا ما فعله « أوكتافيوس » .. ابحر بجيشه الى مصر لمنازلة انطونيو .. فافاق انطونيو قليلا من سكرة الشراب والعبث والمجون .. والتحم الجيشان ، فانتصر انطونيو فى البداية ، لكنه كان انتصارا سطحيا ، بدا كالسراب ثم اختفى ، فقد هزمه « أوكتافيوس » فى النهاية شر هزيمة ، فولى الادبار باحثا عن كليوباترا !.. وكانت هى مختفية فى مخبأ تحت الارض ، يرجحون انه معبد « ايزيس » .. فلما لم يعثر عليها ، ظنها انتحرت .. فانتحر !

وعثر أوكتافيوس على مخبأ كليوباترا ، لكنه امر جنوده بالا يمسوها باذى .. ثم زارها فى مخبئها ، فادهشه مرآها ! **ان بريق عينيها ما يزال**

يسلب اللب ، ويزلزل أركان القلب ! وصوتها الساحر ما يزال على سحره ! أتراها تعيد تمثيل الرواية معه ؟!.. الرواية التى مثلتها مع قيصر، ثم مع مارك انطونيو ؟!.. لكنها الآن فى الثامنة والثلاثين ، واوكتافيوس رجل وقور ، لا يستهويه الاغراء ، ولا يذرع العالم جريا وراء النساء !.. ولقد أدركت هى من النظرة الاولى انه يختلف عن صاحبيه ، فاخذت توصيه خيرا بمصر .. وباولادها .. وكشفت له عن مخابىء كنوزها - فقد كانت تعلم أن الوصول اليها هو أمنيته الكبرى ! - لكنها كتمت عنه أمر بعضها ، فاذا أحد اتباعها يشى بمكانها لاوكتافيوس .. فيزداد موقف كليوباترا سوءا وحرجا !

وفرض عليها « أوكتافيوس » حراسة شديدة .. لكنها استطاعت أن تستميل اليها حارسا اسمه « دولابلا » !.. فلما سقط فى شرك غرامها ، أمرته بأن يتجسس على قائده .. لتعرف ماذا ينوى أن يصنع بها ؟

الملاذ الأخير !

◆ وجاءها « دولابلا » بالنبأ المحزن : ان « أوكتافيوس » اعتزم أن ياخذها معه حين يعود الى روما ، ليعرضها هناك على الشعب - فى المهرجانات التى ستقام احتفالا بانتصاره ! - كما يعرض الاسرى ، بكامل أبهتها ، وحللها ، وجواهرها !

يا للهول !.. اتعيش كليوباترا لترى ذلك اليوم ، وتقاسى ذلك الهوان ؟! لا .. بل ان الموت لأرحم وأهون !

وذات يوم .. لبست الملكة ثيابها الرسمية ، وتحلت بجواهرها ، وتزينت ابدع زينة .. ثم أمرت فجاءوا لها بافعى فى سلة من التين ، فاخرجت الافعى ووضعتها على ثديها الجميل ، فعضته بنابها المسموم .. وماتت على الفور ! ماتت كريمة عزيزة ، دون أن تمتد الى جمالها الرائع يد ، أو يعدو على كرامتها عدو شامت !

وما كاد نبأ موتها يصل الى أوكتافيوس ، حتى سارع الى ابنها « سيزارون » لقتله ! وأقام نفسه خليفة لقيصر .. وجلس على عرش مصر ، ملكا متوجا !

وهنا يحدثنا التاريخ عن نبل « أوكتافيا » ، أخت « أوكتافيوس » التى طلقها انطونيو امتثالا لامر كليوباترا !.. فلقد سمت بنفسها على الضغائن والاحقاد ، فسارعت الى اولاد كليوباترا من انطونيو - زوجها الغادر! - وآوتهم فى بيتها ، واولتهم حنانها ، واشرفت على تربيتهم فى عطف سابغ رفيع !

٦ ـ مأساة شكسبير

◆ **واخيرا** .. ماذا صنع شكسبير ، بهذه المأساة التاريخية الضخمة التى نسجت السياسة والحرب والحب خيوطها ؟.. هذه المأساة التى اصطرع فيها الشرق والغرب صراعا رهيبا !.. لقد سطا شكسبير على بلوتارك ، فاغتصب منه معظم المواقف التى صورها !.. لا ، بل سطا على « ألفاظ » بعينها مما كتب بلوتارك !.. ثم لم يقنع بهذا ، انه يريد أن يدخل أنفه فى المأساة الكبرى ، فماذا يصنع ؟.. ان بلوتارك لم يبخس كليوباترا حقها من التبجيل ، بالرغم مما كال لها من اتهامات .. واذا بشكسبير ينزع التاج من على رأس الملكة ، ويصورها فى صورة المرأة المستهترة الخليعة التى لا هم لها غير اشباع شهوتها الى الرجال !.. فى الوقت الذى يصور لنا فيه أنطونيو فى صورة الرجل « الفاضل » الذى جنت كليوباترا على أخلاقه وصفاته السامية ، ودكت صرحها دكا !.. ولم يعد شكسبير الى كليوباترا تاجها وجلالها الا فى مشهد موتها ، فقد صورها ملكة فى مماتها .. ولم يصورها ملكة فى حياتها !

شكسبير

وقد بدأ شكسبير مأساته باظهار كليوباترا فى ثوب المرأة التى بدأت تشيخ ، عندما ذهبت للقاء أطونيو فى « سيدنوس » .. مع أنها كانت وقتئذ فى الخامسة والعشرين ! ـ فلقد ماتت بعد أربعة عشر عاما فى التاسعة والثلاثين ! ـ وفى ذلك اللقاء التاريخى العجيب ، أجرى شكسبير على لسانها كلاما لا يجرى الا على ألسنة العجائز ! .. بل لقد وصف المؤرخ «أونابارنوس» كليوباترا عند موتها ، فى صورة تزيد « نضارة » عما وصفها به شكسبير وهى فى أوج شبابها !.. اذ قال الاول يصفها فى أيامها الاخيرة : « **ان تقدمها فى السن لم يذبل نضارة الزهرة التى التقت فيها أكبر مجموعة من الاضداد ..والتى ظلت ، مع ذلك ، المرأة المعبودة**

المشتهاة !.. لقد امتازت عن بنات جنسها بأن غيرها من الجميلات ، اذا منحن الرجال أنفسهن ، شبعوا وانصرفوا عنهن !.. أما هى ، فكانت كلما ازدادت سخاء ، ازداد الرجال جوعا !.. بل ان الصفات الحقيرة فى غيرها من النساء ، كانت تنقلب جميلة نبيلة فيها !.. ألم يباركها رجال الدين فى موتها ، برغم انتحارها عامدة ؟!

ومن الانصاف لكليوباترا أن نعترف لها بأنها كانت ذات ذوق فنى رائع ، واحساس مرهف ..

فلنسمع وصفها للموسيقى : « ان الموسيقى هى غذاؤنا نحن الذين نعيش بالحب ! » .. وفى الوقت نفسه ، كانت لها شخصية المرأة التى يشفق كبار قوادها من غضبها وعبوسها !.. ولم تكن تمجد فى الرجال الا قدرتهم على الاتيان بجلائل الاعمال .. كانت تعشق فيهم الفروسية والبطولة ، والقدرة على الغزو والنضال !.. وكانت تحتقر أنطونيو كلما أتى عملا لا يليق .. كانت تحب أن ترى فيه الرجل المثالى ، والبطل المثالى، وبهذا سمت على غيرها من النساء !

ومن العجيب ، أن أنطونيو كان فى أيامه الاخيرة يكيل لها السباب كيلا ! كان يصفها بأنها المصرية الوضيعة !.. وأنها أكبر عار يمشى على الارض !.. وأنها العجوز الذابلة الآفلة !.. وأنها السبب فى تقويض دعائم مجده وتشويه سمعته ! ـ وهو القائد الذى ترك الميدان ، أثناء احتدام معركة « أكتيوم » الفاصلة ، ليلحق بها !.. كالكلب الذى يشم رائحة اللحم فيجرى نحوه ! ـ والواقع أن كليوباترا أرادت أن تجعل من أنطونيو .. هذا الطفل الكبير !.. سيدا على العالمين ، لكن أخلاقه هى التى حطمته وأهلكته !.. بل انها ، بعد أن عرفت قيصر ، أرادت أن تجعل من أنطونيو صنوا له ، وبذلت فى سبيل ذلك جهود الجبابرة ، لكنها فشلت .. كانت ضعة أخلاقه وصفاته أقوى من كل محاولاتها !

وبالرغم من أن شكسبير عبث بكثير من الحقائق فى مسرحيته « كليوباترا ومارك أنطونيو » .. فان هذه المأساة لا تزال أروع ما كتب عن الفساد والشهوات والدعارة : كيف تحطم الرجال ، وتدحر الشعوب ، وتقضى على الدول !.. وبذلك وضع شكسبير ، كليوباترا ومارك أنطونيو ، فى نفس المكان الذى وضع فيه دانتى وبودلير ، أولئك الذين صبت عليهم اللعنات فى قرارة الجحيم !

الادارة العامة للخزانات والقناطر الكبرى

تقبل العطاءات بمكاتب الادارة العامة للخزانات والقناطر الكبرى بوزارة الاشغال العمومية بالقاهرة لغاية الساعة الثانية عشر من ظهر يوم الاربعاء ٢ مارس سنة ١٩٥٥ عن المناقصة العامة عن عملية انشاء مخازن ومبانى وتوسيع مداخل قناطر زفتى بزفتى ٠

ويمكن الحصول على نسخة من الاشتراطات والمواصفات وجدول الفيات والرسومات الخاصة بهذه المناقصة من المكتب المذكور نظير تقديم طلب على ورقة تمغة من فئة ٥٠ مليما (خمسين مليما) مصحوبا بالثمن وقدره ٣ جنيهات (ثلاثة جنيهات مصرية) أو ٣جنيهات و١٠٠ مليم (ثلاثة جنيهات ومائة مليم) فى حالة طلب الارسال بالبريد ٠

وكل عطاء غير مصحوب بتامين مؤقت وقدره ٢٪ من قيمة العطاء سوف لا يلتفت اليه ٠

٩٩٨٠

وزارة الشئون البلدية والقروية

ادارة العقود والمشتريات

تقبل العطاءات بمكتب السيد مدير عام الادارة العامة للوائح والرخص لغاية ظهر يوم ٢٦/٢/١٩٥٥ عن مزايدة تاجير مقصف ديوان عام الادارة بالمبنى المجمع بالفلكى عن عام ١٩٥٥ - وتطلب الشروط والمواصفات من ادارة المخازن بديوان عام وزارة الشئون البلدية والقروية بميدان لاظوغلى بمصر نظير دفع مبلغ ٢٥٠ مليما (مائتين وخمسين مليما) ٠

وكل عطاء غير مصحوب بالتامين الابتدائى وقدره اثنين فى المائة من قيمته لا يلتفت اليه ٠

٩٩٧٨

مصلحة السجون - اعلان

ادارة الامدادات والتموين (العقود)

تقبل عطاءات بمكتب السيد مدير عام مصلحة السجون لغاية الساعة الثانية عشرة ظهر يوم ٢١/٢/٥٥ عن توريد خيزران ملكان وقش بسات رفيع وليف هندى مفتول ٠ وتقدم الطلبات على طلب مدموغ فئة خمسين مليما ويمكن الحصول على النسخة من المناقصة بمبلغ ٢٠٠ مليم يضاف اليها اجرة البريد فى حالة طلب النسخة بالبريد ٠

٩٩٥٥

اعلان

تقبل العطاءات بمجلس بلدى ميت غمر حتى ظهر يوم ٢٠/٢/١٩٥٥ لتوريد عدادات كهربائية وتطلب الشروط والمواصفات من البلدية نظير مبلغ ٥٠٠ مليم على عرضحال تمغة فئة ٥٠ مليما ولن يلتفت لاى عطاء يرد بدون تامين

٩٩٥٠

حوافز الحياة

النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء ...

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الاتية على التوالى : « كيف تصارح اولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة الزوجية » و « مركب النقص » و « حواء الجديدة » ثم « كيف تقهر الخجل » و« كيف تقهر القلق وتستمتع بالحياة » ..

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة » التى شرحها المفكر العالمى « اندريه موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصداقة ، فن العمل ، فن الزعامة ، فن السعادة ، فن التفكير ، واخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم قرات معى فى هذا الباب فصول كتاب «غزو السعادة» لبرتراند رسل .. فكتاب فرويد المشهور «التحليل النفسى» ، يليه «كيف تضاعف من نجاحك فى الحياة» ، ثم «الجنس الاخر» ، و«عش حياة ايجابية» ، و«ابواب الحب المغلقة» ، و«فن الحب» للشاعر الرومانى اوفيد .. ثم «الانتصار على الخوف» ، للاخصائى المعروف «جميس بندر» .. و «عش بحكمة تعش سليما» للاخصائى الالمانى «برنارد ديتمار » ثم : « كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة » لويلفريد نورثفليد

واليوم اقدم لك الجزء الثانى من الكتاب الرائع «الرغبة فى الحياة» .

العزم في الحياة

للعالم النفسانى الدكتور ارنولد هتشنكر

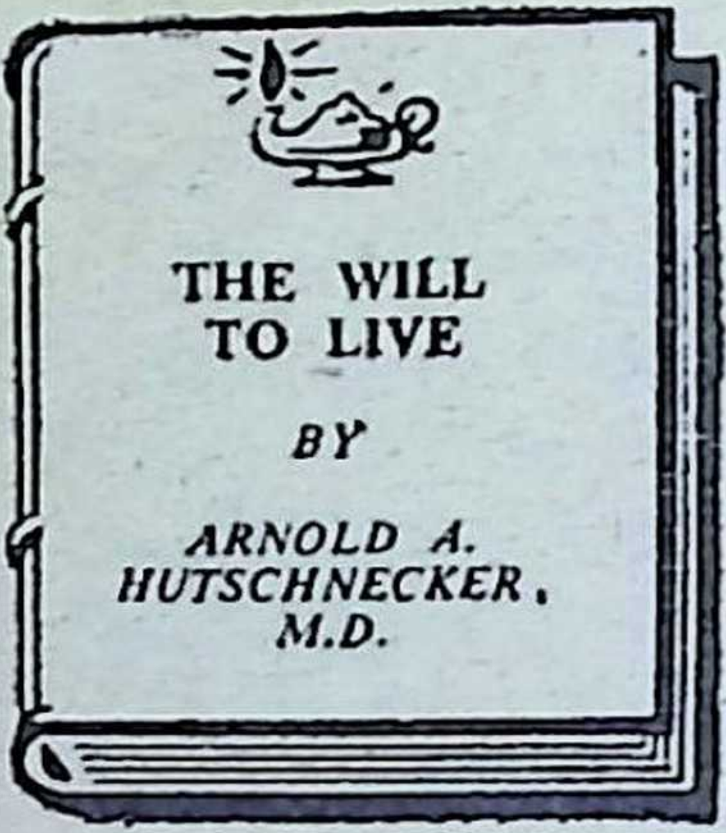

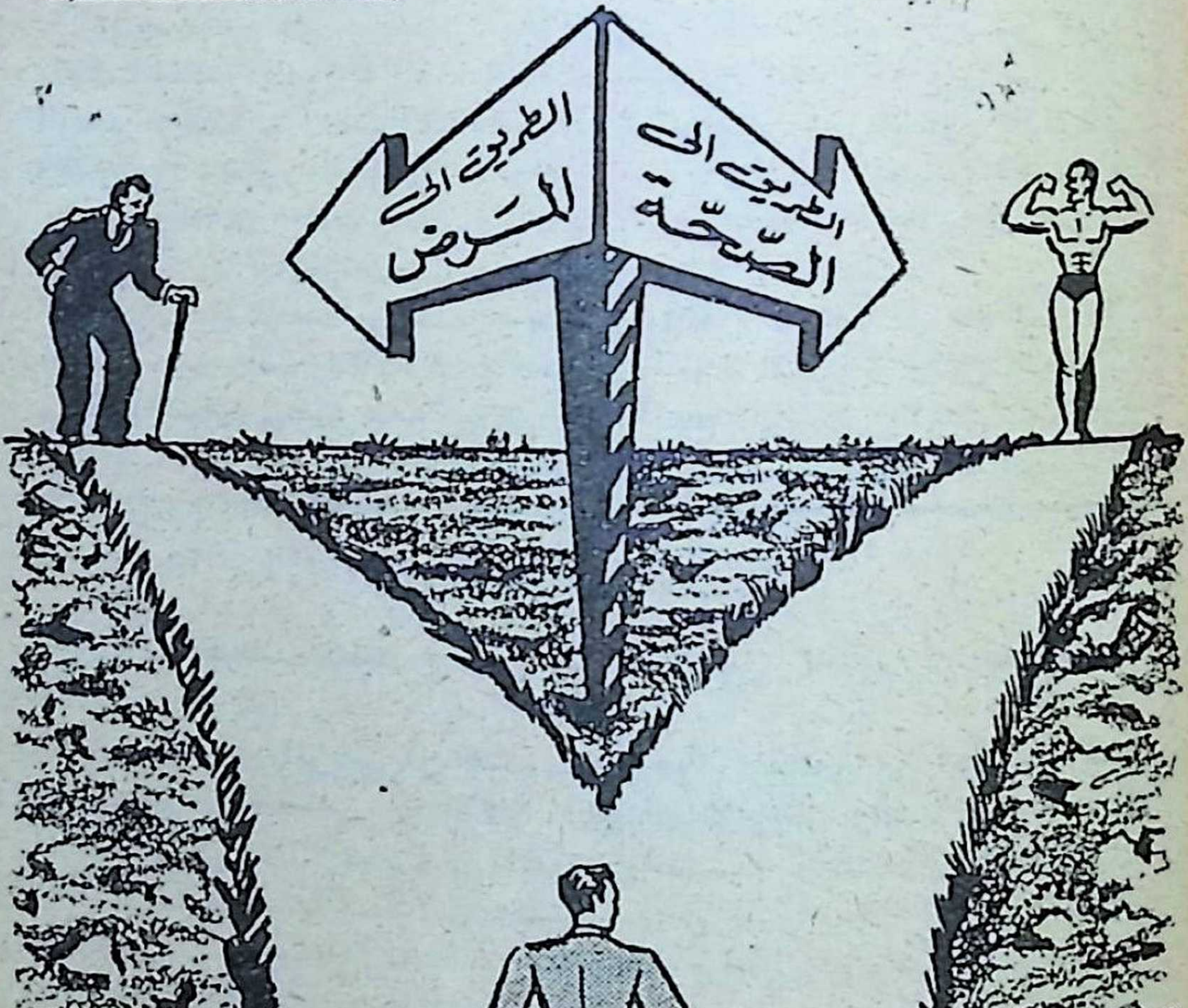

الاسباب النفسية .. للاصابة بالامراض البدنية !

◆ فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، الذى قدمته لك فى العدد الماضى ، رأينا كيف تتنازع كلا منا غرزتان متعارضتان : غريزة البناء ، التى تلهب فينا الرغبة فى الحياة والانتاج .. وغريزة الهدم ، التى تغرينا بالاستسلام لعوامل الفناء والموت !.. وبقدر سيطرة كل من هاتين الغريزتين علينا ، تكون استجابتنا للحياة .. أو سعينا الى الهلاك !

واليوم أقدم لك فيما يلى الجزء الثانى من الكتاب ، وهو يشرح مختلف مظاهر الغريزة الهدامة وأساليبها فى الهدم .. ومن بين هذه المظاهر : الخوف والقلق الهدامين – لا الواقيين – والشعور بالاثم .. والعجز أو النفور الجنسى عند الرجل .. والبرود الجنسى عند المراة .. و ((ادمان)) الحوادث والعمليات الجراحية .. والارهاق البدنى والعاطفى .. والافراط فى البدانة .. الخ .. الخ

على أن استفادتك من هذا البحث وأمثاله ، تتوقف الى حد كبير على نظرتك اليه وأنت تطالعه : لا باعتباره مادة للتسلية وقتل الوقت ، وانما باعتباره بحثا جديا يهيىء لك أنجع الوسائل للاستفادة من الحياة ، والوقاية من الامراض ، والاستمتاع بالصحة .. الخ

اختفاء طبيب الاسرة !

◆ لماذا يختلف الاطباء فيما بينهم، فلا تتفق كلمتهم على تشخيص علمى واحد لاى مرض ؟

.. كيف يتنقل المريض من طبيب الى آخر ، فيتلقى من احدهما تشخيصا وعلاجا مغايرين لما يتلقى من الآخر ، مع أن الاعراض واحدة ؟

الواقع أن من الظلم الطعن فى كفاءة أى طبيب .. ثم ان هذا لا يؤدى الى نتيجة تحل المشكلة .. بل ان الطبيب ليس أسوأ من المريض الذى يعانى من أعراض « وهمية » .. كل منهما ضحية .. وبينما يتألم المريض ، يتعرض الطبيب للحيرة ، والشعور بالخيبة ، بل لسوء السمعة !.. فلماذا؟

ان الانقلاب الآلى ، الذى هيأ لنا المحركات لتقوم بما كانت تؤديه العضلات ، والذى وفر لنا الآلات الدقيقة لتعمل ما كانت تعمله الايدى البارعة ، قد تغلغل فى جميع نواحى النشاط الانسانى ، بما فيها الطب .. فتحول الطب من فن ، الى علم دقيق ، منظم بقيود معينة ، لا سيما خلال

القرن السابق للحرب العالمية الاولى ، الذى تميز بتقدم بعيد المدى : ففيه اكتشف الطب البكتريا ، وجراثيم عشرات الامراض .. وأخذت المشاهدات والتجارب - النظرية والعملية - والبيانات العلمية ، تتزايد وتتراكم ، حتى أصبح الطبيب ازاءها قزما ، اذ ليس فى وسع انسان - مهما بلغ علمه - أن يستوعب كل هذه المعرفة وأن يطبقها .. ومن ثم ظهر التخصص فى ميدان البحث ، ثم استطرد حتى شمل الناحية « العملية » للطب ، أى ممارسته .. وهكذا ، كانت الخطوة المنطقية التالية : اختفاء « طبيب الاسرة » الذى يعالج جميع الامراض .. الرجل الذى كان يعرف كل شىء عن حياة المريض ، وعمله ، وأسرته .. والذى ربما كان قد عنى به فى طفولته ، ومراهقته ، واستطاع أن يكسب ثقته فعرف فكره كما عرف جسده !.. هذا الرجل راح ضحية تحول فن العلاج الى ميدان التخصص ، والى مراعاة قواعد علمية وفنية محددة . كان طبيب الاسرة فى الماضى يعتمد على دقة ملاحظته ومعرفته بالمرضى وخبرته باحوالهم. ولكن الطبيب العلمى المتخصص أصبح الآن يعتمد على طائفة من الاجهزة والادوات . لم يعد يرى فى المريض سوى المرض نفسه ، فهو يقتصر فى بحثه على العضو المريض ، كما تتركز العناية على الجزء البالى أو المكسور من آلة يراد اصلاحها !.. والأنكى من هذا ، ان العلم الحديث راح يحذره من السماح للعوامل الانسانية - سواء من ناحيته أو ناحية المريض - بان تؤثر فى الاسلوب العلمى الذى ينتهجه مع المريض . وأصبح على المريض أن يتنفس ، وأن يقول « آه » ، وأن يجلس وأن ينام ، دون أن يتكلم .. حتى لا يقطع على الطبيب حبل استغراقه فى البحث العلمى .. فاذا جاء أوان التشخيص ، تكلم الطبيب .. دون أن يستمع للمريض !.. فالطبيب يجلس الآن محوطا بالاحصاءات ، والرسوم البيانية ، وصور الاشعة ، والتحاليل الكيمياوية ، وتقارير الاخصائيين ، ليبين للمريض - المحروم من ايضاح شكواه - علته وطريقة الشفاء منها .. أو ليقول له انه لا يعانى شيئا ، مهما كان الالم الذى يشكو منه ! - فهكذا تقول التحريات العلمية - ولس للطبيب ، كما حذر أثناء الدراسة والتدريب، أن يدع مجالا للعنصر الانسانى ، غير العلمى ، فى فحصه المرض !

نجحت العملية .. ومات المريض !

◆ ولقد استطاعت الجراحة أن تفوز بقصب السبق فى التقدم ، اكثر من باقى فروع التخصص .. وكان من اثر ذلك أن وجد الجراح حوله فرعا كاملا من علم الطب ، ومن الالات والاجهزة والمواد الكيمياوية ، التى تتزايد وتنمو لتمكنه من أن يعمل كـ « مايسترو » ، يسير هذه الاجهزة والالات بالاشارة ،

وبوجهها بالايماء !.. وجاء يوم على أهل أوربا كانوا يرون فيه العمليات الجراحية أنجع الطرق وأقصرها نحو الشفاء ، حتى لقد انتشرت منذ سنوات نكتة عن رجل نقش بالوشم على بطنه : « لا تستأصلوا زائدتى الدودية .. فقد استؤصلت مرتين ! » .. وكانت النكتة للسخرية من الاطباء الذين كانوا يعزون اى مغص الى التهاب الزائدة الدودية ، مهما أقسم المريض بأنها استؤصلت من جوفه من قبل !

ومن حق المرء أن يرتاب فى تقدم الطب ، حين يرى أن الطبيب يركز كل اتجاهه فى الناحية الفنية حتى انه لا يرى من المريض سوى البقعة التى تجرى فيها العملية الجراحية ، فلا يعنى بسواها .. ولا بحياة المريض ذاتها !.. ومن النكات التى ذاعت فى هذا الصدد أن جراحا كبيرا سجل فى تقرير عن أحد مرضاه : « نجحت العملية .. ومات المريض ! »

على أن التمرد على هذا الاسلوب الجامد لم يلبث أن أخذ فى الظهور ، فبدأ الطب يتساءل : هل كان على حق حين فصل بين حالة الجسم وبين الحالة العقلية للمريض ؟.. وبين علم الطب ، وعلم الاعصاب ؟!. وكان طب العقل والاعصاب عاجزا عن أن يجد أعراضا بدنية ملموسة للامراض العقلية والعصبية ، سواء فى أنسجة المخ أو الاعصاب .. وفى الوقت الذى توطد فيه هذا العجز ، كان التحليل النفسى يسير قدما نحو النجاح .. فأثبت « بافلوف » بالتجارب أن وظائف الجسم تنبعث عن حوافز « نفسية » ! واتجه أطباء الاعصاب الى البحث عن المسالك العصبية التى تتحول عن طريقها الافكار ، من « فكرة » فى العقل الى « حركة » بدنية !.. ثم توصل « فرويد » الى استكناه غوامض عالم « اللاشعور » فى النفس البشرية ..

ومن هنا بدأ يطرأ على التفكير الطبى لون من التغيير ، لا سيما فى أمراض النساء .. فان ما كشفه « فرويد » عن البواعث الجنسية ، اضطر أساطين الاطباء الى امعان الفكر .. فكتب مدير المستشفى النسوى بجامعة «نوبينجن» بالمانيا يقول : « .. ان أمراض النساء عبارة عن صراع « نفسى » يستتر وراء أعراض خاصة بالاجهزة التناسلية جازت على الاطباء الذين لا يحفلون بغير القشور ! »

وسمعت نفس الملاحظات المتمردة فى الفروع الاخرى من الطب . وكانت السنوات التى توالت بين الحربين العالميتين زاخرة بالقلق والتردد .. فى الطب ، كما فى السياسة والاقتصاد .. وكان المرضى الذين لم يجدوا من يفهمهم ، أو الذين كانوا يسمون فى سخرية : مصابين « بالهستيريا » ، أو بالتهاب الاعصاب ، أو باختلال العقل ، مضطرين الى أن يلوذوا بالسحرة والدجالين ! كانت الفترة مرحلة فقدان للايمان .. مرحلة جوع الى الاعتقاد

نى اى شىء !.. وظل الاطباء يضنون بالوقت والعطف على المرضى ب « الاعصاب » ، متشبثين بما خلقه الطب العلمى من فارق بين الامراض البدنية والامراض العقلية .. وبين اعتلال أعضاء الجسم واعتلال « الاعصاب » !

الآلام النفسية تؤدي الى عمليات جراحية !

◆ ولكن علماء الاعصاب والنفس ظلوا فى طريقهم ، وعكفوا فى معاملهم على دراسة الظواهر البدنية للمشاعر والانفعالات : درسوا العلاقة بين الغضب وارتفاع ضغط الدم ، وبين الخوف وسرعة خفقان القلب ، وبين الرغبة فى الاكل وافراز عصارات الهضم فى المعدة .. الخ . واتجه البحث الى محاولة تعرف صلة هذه الظواهر البدنية بالحالات النفسية .. فاجريت بحوث هائلة فى هذا الصدد فى العقدين الثانى والثالث من هذا القرن ، لم يتسرب منها الى الطب العلاجى الا القليل ، الى زمن قريب .. ولقد كتب حجة ألمانى فى أمراض النساء فى سنة ١٩٢٩ يقول : ((من المهم جدا الاعتراف بالآلام النفسية - اى المنبعثة عن عوامل نفسية - لان معظم هذه الآلام ينتهى دون مبرر الى عمليات جراحية كبرى !.. وكم من زائدة دودية راحت ضحية ألم لا ضرر منه فى الجزء السفلى الايسر من الامعاء ! ولقد عزيت يوما آلام الظهر عند النساء الى ((انتقال الرحم من موضعه)) .. الخ .. ذلك لان المريض الذى يعانى انفعالا عاطفيا ، وآلاما بدنية ، من أجهل الناس بتعرف أسباب أوجاعه .. وهو لا يتردد فى أن يتبع اى انسان يبشره بمخرج من بؤسه ومن ثم لا يحجم عن أن يرقد على مائدة العمليات ، وأن يضحى بجزء من جسمه ، فى سبيل الخلاص !

وكم فى ملفات الاطباء من حالات انتهت الى عمليات لم يكن لها من داع ! وقد كان بين مرضاى شابة فى السادسة والعشرين ، استؤصل الرحم وجزء من المبيضين من جسمها ، بعد حالة اجهاض وحالات نزيف انتابتها .. ومع ذلك ظلت تعانى نفس الاوجاع التى كانت تشكو منها ، اذ كان النزيف والاضطرابات التى عانتها ناجمة عن صدمة ((عاطفية)) من جراء زواج فاشل أعقبه طلاق !

الوهم يضاعف اعراض الامراض !

◆ ورغم تزايد المعرفة بالعلاقات بين الجسد والعقل ، فقد ظل بعض أساتذة الطب مصرين على عدم التسليم بها ! وكان الطبيب الذى يدرك أن أوجاع مريضه ناتجة عن اضطرابات نفسية وعاطفية - فيعالجه بدواء منوم ،

وبالنصح والتوجيه - يعتبر « غير أمين » ، أو « جاهلا » بأصول العلم على الاقل !

على أن الاطباء فى أوربا لم يلبثوا أن راحوا يحاولون البحث عن منفذ يكفل لهم مراعاة الناحية العاطفية للمرضى ، دون أن يتقيدوا بهـا فى الوقت ذاته !.. وفى هذا الصدد علل أحد الاطباء اختلاف تقدير المرض بين الطبيب والمريض ، بأن المريض يغـالى فى تجسيم المرض لنفسه ، فيؤدى هذا الى مضاعفة الاعراض التى تظهر للطبيب !.. ومن ثم اقترح أن يحاول الطبيب أن ينفذ الى شخصية المريض ، وأن يحسب لها حسابا الى جانب العضو المعتل .. وأن يحاول التأثير على عقل المريض اذا دعت الحاجة الى ذلك .. فاللباقة ، والحيلة ، والدراية بالطبيعة الانسانية ، والتعرف الى مشاعر المريض ، تساعد كثيرا فى العلاج !

ويعلل الدكتور « فرانز الكسندر » - مدير معهـد شيكاغو للتحليل النفسى - هذه الحقيقة بقوله : **« ان أولى الحقائق التى نعرفها عن الحيـاة هى أن العقل يسيطر على الجسم ، رغم اهمال الطب وعلم الاحياء لشأنه . وهذه الحقيقة نراها باستمرار طوال حياتنا جميعا ، منذ لحظة استيقاظنا فى الصباح . ان حياتنا كلها تتألف من أداء حركات اختيارية تهدف الى تحقيق أفكار ورغبات ، والى اشباع الحاجات المادية كالعطش والجوع .. الخ .. فالجسم آلة معقدة ، تقوم باصعب وادق انواع النشـاط ، تحت تأثير ظواهر نفسية كالافكار والرغبات .. ونحن نعبر عن كل مشاعرنا بحركات جسدية : كالعبوس ، والبكاء ، والانبساط ، والضحك ، والخجل .. وكل المشاعر تكون مصحوبة بتغيرات بدنية : كالخوف اذ يرافقه اضطراب خفقان القلب ، والغضب الذى يصحبه ازدياد نشـاط القلب وارتفاع ضغط الدم .. الخ .. فكل هذه الظواهر ايعازات من الاعصاب ، تنشـأ بدورها عن انفعالات عاطفية معينة تتأتى - هى الاخرى - عن اتصالاتنا بغيرنا من الناس .. فاكثر الامراض البدنية يسهل ادراك مبعثها تحت أضواء علم النفس .. »**

ومن هنا فقط ، نستطيع أن نقيس صورة صادقة لاسباب المرض ، ولابد فى سلوك هذا الطريق من أن يتعاون الطبيب والمريض معا ..

مشاعرنا أصدق من مقاييس العلم والطب !

◆ وقد علمنا فى الفصول السابقة ان الغريزة الهدامة « قوة » تكمن متأهبة فى العقل اللاواعى ، أو العقل الباطن .. حتى اذا تهيأ لها الجو - كأن افرطنا فى التعب أو تعرضنا لصراع عاطفى أو انفعالات حية - نشطت واخلت تهدد صحتنا !

ولكن .. كيف يستطيع الانسان العادى أن يعرف نذر المؤامرة التى تدبر ضد صحته ؟

ما علامات الحرب الدائرة فى أعماقنا ؟

ان المرض لا يتسلل الينا كاللص دون انذار .. واذا كنا قد صرنا فى العصر الحديث لا نكاد نقرأ هذه النذر ، فلأن عقولنا قد اصطبغت بالصبغة الآلية ، ولم نعد نحفل بمشاعرنا الداخلية اذا ما أوحت الينا بوجود اعتلال أو اضطراب فى صحتنا ، اعتمادا على أن مقاييس الصحة والمرض ـ كميزان الحرارة ، أو مقياس ضغط الدم ـ لا تسجل هذه النذر .. فى حين أن هذه النذر بطبيعتها لا يمكن أن تسجل بمثل هذه المقاييس .. وخليق بنا أن نتعلم كيف نصغى أحيانا الى الهواتف المنبعثة من عقلنا الباطن !

الروح المعنوية العالية تقهر التعب !

◆ **والتعب** هو من هذه النذر والهواتف !.. التعب الذى لا نجد له مبررا ، ولا سببا عضويا ظاهرا .. فالتعب من العمل والجهد أمر مألوف .. ولكن التعب بدون سبب مفهوم هو الذى ينبغى أن يسترعى الاهتمام . والأمر الذى لا نفطن اليه عادة ، هو أن الرجل ـ أو المرأة ـ يستطيع أن يمضى فى العمل الشاق ، الجاد ، طويلا دون ما راحة ، ومع ذلك فانه لا يعانى من التعب أكثر من ذلك القدر الذى يكفى نوم ليلة لتبديده .. ولقد ذكر « ونستون تشرشل » فى ذكرياته عن الحرب الثانية ان المسئولين خشوا أثناء الغارات الجوية على لندن أن يؤدى عنت الحياة الى تفشى الاوبئة ، اذ كان الناس لا يحظون من النوم الا بالقليل ، فى حين كانوا يتكبدون الكثير من الجهد .. وكانوا يتكأكأون فى المخابىء كل ليلة ، ويعملون على أداء واجباتهم العملية والمنزلية فى ظروف محفوفة بمتاعب تفوق الوصف .. ومع ذلك فان صحة أهالى لندن خلال ذلك الشتاء القاسى كانت فوق المتوسط ، اذ أن قوة احتمال العناء والآلام لدى الناس العاديين ـ فى أية دولة ـ تغدو هائلة لا حد لها اذا ما هبت روحهم المعنوية متحفزة .. أو تحمسوا لعملهم !

والذين يشكون من التعب الحاد ، أو المزمن ، ليسوا فى الغالب ممن يمارسون أعمالا مرهقة !.. وكثيرا ما يلازمهم هذا التعب قبل أن يبدأوا أى عمل ! وقد حاول الطب أن يحدد أعراض التعب ، ولكنه ألفى أن الاعراض ـ اذا وجدت ـ كثيرا ما لا تكون قاصرة على التعب وحده : فان انخفاض ضغط الدم ، والانيميا ، والهزال ، أعراض مشتركة لعدة أمراض وعلل .. كما أن هناك أعراضا أخرى لا يمكن قياسها بأجهزة الطبيب !

والواقع اننا لو نفذنا الى ما وراء التعب ، لوجدنا حالة كامنة من القلق

.. فالرجل الذى ينهمك فى عمله الى درجة الانهاك ، يسير مدفوعا بقلق او خوف خفى ، مبهم !.. كذلك هناك صنف من الناس تمنعهم « عزة النفس » والكرامة من الاعتراف بالتعب والقلق !.. انهم يجعلون من انفسهم ربابنة يقظين لمراقبة سفنهم .. فهم يدفعون انفسهم فى الحياة غير مشفقين، حتى يهزمهم المرض .. وما شجاعتهم هذه سوى مكابرة لا تؤدى الا الى التلف ..

الخوف الوهمى والامراض التى تنشأ عنه !

◆ ولقد عرف « فرويد » القلق بأنه « خوف مكتوم فى داخل النفس » .. والخوف نذير بالخطر .. فالحيوان اذا ما واجه خطرا ، وقف لحظة مترددا : أحرب أم هرب ؟.. وفى هذه اللحظة التى يتعين عليه فيها أن يتخذ القرار الذى تتوقف عليه حياته أو موته .. فى هذه اللحظة ، يعانى شعورا بالخوف .. وهى حالة تصحبها تطورات « بدنية » ، أهمها سرعة دقات القلب ، وارتفاع ضغط الدم ، وانسياب الرسائل والايعازات خلال الاعصاب ، وتسابقها الى الغدد .. فاذا الجسد ينشط .. ويستعد !

والانسان لا يحتاج الى مواجهة خطر « قائم » بالفعل ، كى يشعر بالخوف .. فهو قد يخشى اعصارا يقرأ عن نذره ولا يزال على مسافة أميال عديدة منه .. وهو قد يخاف من مخدومه ، أو مدرسه ، أو يخشى فقدان عمله ، أو حلول يوم الامتحان ، أو اقتراب خطر الحرب .. الخ .. وما دامت الظروف الخارجية تعزز وجود الخطر ، بحيث تبرر الخوف ، فان الانسان يظل يقظا ، متأهبا .. كالحيوان !.. فاذا ما زال الخوف ، استراح الجسد، وعاد القلب والدم والضغط والغدد الى حالتها العادية !

أما اذا لم يكن الخطر حقيقيا ، اى ليس له من وجود الا فى خيال المعذب، فان الخوف فى هذه الحالة لا يكون معقولا .. بل يكون مرضا ، مكبوتا ، مدمرا ، نسميه « القلق » .. فنعانى ألوانا مبهمة من عدم الارتياح ، والانزعاج العام ، والغم ، والضغط ، والتوتر .. وهذه المشاعر تؤدى الى اعراض بدنية كارتفاع الضغط ، وسرعة النبض ، دون ما سبب عضوى ظاهر !

وتتباين أسباب القلق باختلاف الاشخاص ، وطوايا نفس كل منهم ، والبيئة التى ولد فيها ونضج ، والظروف التى لابست حياته .. وهذه الاسباب تكون عادة متغلغلة فى أعماق اللاشعور ـ العقل الباطن ـ وقد يرجع بعضها الى متاعب فى الطفولة ، وعداوات قديمة ، أو شعور بالنقص أو شعور بالذنب .. الخ

اسباب الشعور بالاثم .. ونتائجه !

◆ ومعظمنا يستطيع أن يقول فى غير مغالاة : « لقد بذلت كل ما فى طوقى لأكون ابنا صالحا ، وزوجا صالحا ، وأبا صالحا ، وعضوا صالحا فى المجتمع ، فلماذا أشعر بالذنب ؟ »

والجواب هو : الضمير .. ذلك الجزء من النفس الذى يقيم من ذاته حكما بين النفس الواعية ، والنفس الباطنة ، المؤلفة من حاجات ورغبات غريزية ، كما يقول « فرويد » ..

والمهم هنا أن نذكر أن أسس الضمير يتم ارساؤها فى النفس منذ الطفولة ، وان أحكامه ووزنه للحق والخطأ تقوم على أحكام وتقديرات صبيانية ، وان الذنوب التى يؤنبنا عليها ضميرنا فى الكبر ليست ذنوبا الا بالنسبة لتقديرات الطفل غير الناضج الفكر ولا المكتمل التجربة !.. وكيفما كانت أسباب الشعور بالذنب ، فان الذنب يتطلب عقابا ، ومن ثم فان الفرد يظل يتوقع العقاب ، ويخشاه .. وفى الوقت ذاته « يتوق اليه » ، ليكفر عن «جريمته» ويحرر نفسه من الشعور بالذنب !.. وكم لدينا من حالات عن مجرمين مختلى الاعصاب ، ارتكبوا الجرائم عامدين كى يتلقوا القصاص !.. فان العقاب الذى يتلقونه عن الجريمة يكفر - فى شعورهم - الى حد ما عن « الذنب » الكامن فى أعماقهم منذ الصغر !.. وفى الحالات المتطرفة نجد أن أولئك الذين يشعرون بانه لم يعد فى وسعهم أن يحتملوا الشعور بالذنب ولا الخوف من العقاب ، لا يترددون فى الانتحار !

على أن الكثيرين منا يحملون عبء الشعور بالذنب فى بساطة .. حتى اذا ما تعرضوا يوما لضغط العمل والحياة ، طفا الشعور بالذنب الى السطح فى صورة .. القلق !

واذا كنا قد تحدثنا عن الشعور بالذنب ، فما ذلك الا لانه أكثر المشاعر شيوعا .. بيد أن هناك مشاعر أخرى تسبب القلق : هب أن طفلا يتوق الى الحب ، فلا يلقى من أبيه سوى الفتور ! مثل هذا الطفل يمضى فى الحياة ساعيا الى الحب فى لهفة ، وفى نفسه اقتناع مرير بأنه لا يمكن أن يوفق فى هذا السعى !.. وهذا الشعور يدفعه الى أن يحدد لنفسه أهدافا سامية، شبه مستحيلة ، لكى يثرى وينجح ويكون أهلا للحب .. ويتسلل الشعور بالعداء بينه وبين أولئك الذين يهفو الى حبهم .. فلا يقوى على حبهم ، لانه قانط من أن يحبوه !

ومن هذا نرى أن القلق عرض خفى يكمن وراء معظم الامراض والاوجاع : سواء كانت تعبا ، أو أرقا ، أو سوء هضم ، أو امساك ، أو اسهال .. الخ

البدانة تنتج عن الاضطراب النفسى !

◆ ومن المعروف أن كثيرا من العلل ينجم عن اضطرابات عاطفية .. وقائمة هذه العلل تنمو الآن باضطراد !.. فقد أصبح معروفا مثلا أن آلام الرأس تنجم عن أسباب « نفسية » ، كما تنجم أيضا عن أسباب بدنية .. وان اضطرابات الحياة ذات تأثير فى التهابات المفاصل ، وفى القرح المعوية ، وفى آلام الاسنان .. الخ

فلنلق نظرة على مقدمات بعض هذه العلل الكثيرة الانتشار :

لقد بات من الثابت الآن أن الافراط فى السمنة من نتائج الاضطرابات النفسية والعاطفية !.. وأصبح الميل المطرد الى تناول الطعام والحلوى بمغالاة ، يفسر على أنه من علامات عدم الاطمئنان ، وانه دليل على انشغال البال والاضطراب النفسى !.. ولما كان يجمل بنا أن لا ننتظر حتى نترهل بدانة ، لما تنطوى عليه البدانة من خطر على الصحة ، لذلك ينبغى أن نفطن الى اضطراباتنا النفسية اذا ما وجدنا ان أوزاننا تزيد .. وكثيرا ما يؤكد الآخذون فى البدانة انهم لا يفرطون فى الاكل .. وهذا صحيح ، لان عجزهم عن مواجهة المشكلة الحقيقية التى تواجههم هو مصدر دائهم ، لا الافراط فى الاكل .. وهم يتقبلون تفسير الطب لسمنتهم بأنها نتيجة اضطراب فى الغدد ، لان فى هذا القبول خلاصا لهم من الاضطرار لمواجهة المشكلة الحقيقية !.. فى حين ان اضطراب الغدد ليس فى الواقع سوى أحد الاعراض المبكرة فى سلسلة الآثار التى تترتب على الاضطراب العاطفى !

وخليق بنا أن نعلم ـ فى هذا الصدد ـ أن المرء الذى يسرف فى التردد عند انتقاء ألوان الطعام ، لا يفعل ذلك لضعف معدته ، كما يخال ، وانما لان اضطراب مشاعره ونفسه يضعف مقدرته على الهضم ، ويوحى اليه بالتزام الحذر فى اختيار طعامه .. وقد يخال البعض أن هذا الحذر أشبه بصمام الامن ، ولكن العلل التى تنجم عن اضطراب الهضم ـ مهما غالينا فى الحذر ـ كقرحة المعدة مثلا ، تجعلنا لا نرى فى ذلك الحذر اى أمن على الاطلاق !

الاسباب النفسية للمشكلات الجنسية !

◆ والمتاعب الجنسية ـ على تعدد مظاهرها ـ دليل آخر من ادلة نشاط الغريزة الهدامة .. ويقول « الدكتور كينزى » صاحب الاحصائيات المشهورة ان عدم التجانس الجنسى ـ وهو من هذه المتاعب ـ يسبب ثلاثة ارباع حالات الانفصال والطلاق بين الازواج

ومن اسباب عدم التجانس الجنسى فقدان القدرة الجنسية لدى الرجل ـ لفترة مؤقتة ، او على الدوام ـ وهذا الفقدان ينتج فى بعض الاحيان عن

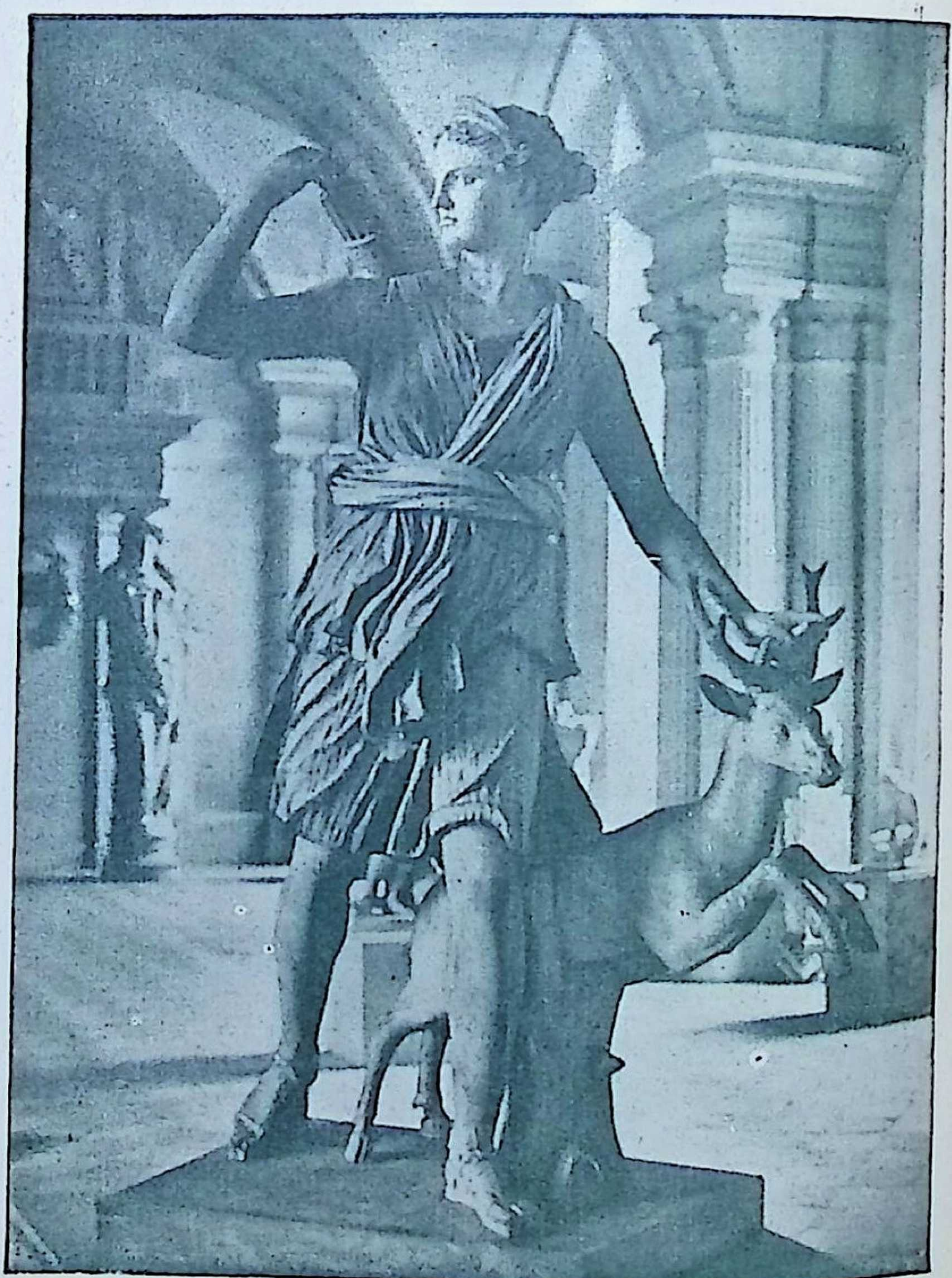

ديانا الهة الصيد

تمثال خالد فى أحد ابهاء متحف اللوفر بباريس

قاذف القـــرص

صورة مكبرة لجزء من تمثال رائع
بمتحف الفـاتيكان برومـا
(للمثال « ميرون »)

اختلال عصبى أو نفسى .. ثم هناك الفتور الجنسى ، الذى يترتب على انشغال البال بمشكلات قاسية ، أو بمتاعب مالية ، أو هموم عائلية .. الخ .. فان الانشغال المفرط بالمشكلات العويصة قد يثير مخاوف جنسية كامنة فى اعماق النفس ، ويدفع بها الى السطح .. وهذه المخاوف قد تكون بدورها ناشئة منذ الصغر ، ثم تغلغلت فى أعماق نفس الشخص - كالخوف من الامراض السرية ، أو الشعور بأن العلاقات الجنسية خارجة عن الادب ! - بل ان مجرد الخوف من العجز الجنسى قد يشل القوة الجنسية العادية عند صاحبها ، أو يشوه الاستمتاع بالعلاقات الجنسية .. وكيفما كان الامر، فالعجز الجنسى صورة من الصور التى تتخذها الغريزة الهدامة ..

ومن ناحية أخرى فان العوامل النفسية هى وحدها المسؤولة عن البرود الجنسى عند المرأة - أو « الاستجابة على كره » - وهذه العوامل النفسية شبيهة بتلك التى تخلق العجز عند الرجل ، ويضاف اليها خوف المرأة من الحمل .. ومن هنا نرى المرأة تستسلم أحيانا للرجل وهى تبرر عملها - دون أن تفطن - « بالتضحية » من أجل ارضائه !

والواقع ان معظم الاضطرابات الجسمية النسوية يمكن أن ترد الى أصل عاطفى ونفسانى !

ادمان « الحوادث » والعمليات الجراحية !

◆ و « ادمان الحوادث » مظهر آخر من مظاهر الخوف والقلق الهدامين .. وقد كان أول من فطن الى ذلك العالم النفسى الالمانى « مارب » منذ ربع قرن ، فقد لاحظ أن تعرض الانسان للاصابة بالحوادث قد يصبح « عادة » ! وان هناك من يعتاد الحوادث كما يعتاد غيره الاجرام !.. اذ يعتبر كلاهما ثائرا على المجتمع ، وان كان المجرم يكسر القانون ، بينما الآخر يكسر ساقه أو ذراعه !.. وما أظن بين النساء من لا تذكر يوما لازمها فيه النحس أثناء وقوفها فى المطبخ ، بحيث كانت لا تكاد تمسك شيئا حتى يفلت من يدها ، ولا تكاد تتناول طبقا حتى ينزلق ويتحطم .. بل ان هذا النحس قد يمتد أحيانا الى جسمها ، فتجرح يدها ، أو تحرق أصابعها .. الخ

ومن مظاهر الاضطراب النفسانى الهدام أيضا ، « ادمان » العمليات الجراحية ! ويعزو بعض علماء النفس ذلك الى الشعور بذنب كامن فى العقل الباطن ، يجعل المريض يتوقع « العقاب » على ذلك الذنب المبهم ، فيعرض نفسه المرة تلو المرة لمبضع الجراح ، آملا أن يكفى ذلك للتكفير عن ذنبه ، كى تبقى له حياته !.. وفعلا ، تعقب الجراحة فترة ارتياح ، كما لو كان المريض قد قنع بهذا التكفير !

واحيانا تكون الجراحة عملا ضروريا لاراحة ((نفس)) المريض . وكيفما كان الأمر ، فان الاصرار على اللجوء الى الجراحة ، مظهر لنشاط القوة الهدامة فى نفس الانسان !

الكهولة المبكرة !

◆ **وعلامات الاكتهال** قبل الاوان ، نذر أخرى لنشاط الغريزة الهدامة .. فنحن لا نشيب بفعل السنين ، وانما بفعل الاحداث ، والانفعالات العاطفية التى تصيبنا كنتيجة لها : فلقد يفلس الرجل ، فاذا به يستيقظ فى اليوم التالى وقد شاب شعره !.. بينما نجد سواه اذا أفلس يكافح فترة من الزمن، ثم يهتدى الى طريق جديدة يشق خلالها سبيله مرة أخرى !.. وقد تترك المحنة بضعة خطوط على جبينه ، ولكنه بعدم انصياعه لها يتغلب عليها وعلى الغريزة الهدامة فى نفسه ، فيجدد نشاطه وحيويته ..

والارامل خير مثل لهذه الظاهرة : **فمن النساء من اذا فقدت زوجها ، فقدت معه اهتمامها بالحياة ، وبدت عليها أمارات ذلك ، فذوت ، وذبلت ، ودب الشيب فى شعرها .. ومنهن من تكون كبيرة السن فعلا ، ولكنها لا تلبث أن تنتعش وتزدهر ، وكأن موت زوجها قد أطلقها من الشيخوخة لتجدد حياتها !.. ومن ثم فجدير بنا اذا ما رأينا الشيخوخة تدب فى انسان قبل الاوان ، أن نثق من أنه قد سئم النضال سريعا ، واستسلم لاغراء الغريزة الهدامة ، أو غريزة القضاء على النفس !**

.. من النساء أرملة تستسلم لحزنها
.. واخرى تستأنف حياتها من جديد

وقد يكون الاكتهال المبكر أحيانا لونا من ((الدفاع)) ضد شىء لم تعد ثمة طاقة لاحتماله .. كما حدث لمريض لى، جاءنى يوما محدودب الظهر ، مرتعش اليدين ، فتبينت أنه برم بالحياة ، لانه منى بالصمم منذ سنين .. والصمم فى بعض الاحيان قد لا يكون شاملا ، كاملا ، فكم من أناس ثقل سمعهم فباتوا لا يلتقطون ما يقال لهم صراخا ، فى حين انهم قد يسمعون الهمسة

الخانقة اذا كانت « عنهم » !.. ونحن نعتبر هذا الصمم أحيانا من قبيل المكر ، أو منفذا للتهرب من المسئوليات ، أو وسيلة خبيثة لازعاج الاسرة ! .. ولكن هذا لا يمنع من الاعتراف بأن الصمم - رغم هذا - قائم فعلا ، وان المصاب به قد آثر أن يضحى بجزء من حواسه ، هو حاسة السمع ، خضوعا لايحاء الغريزة الهدامة التى تفعل فعلها فى كيانه !

ومن الملاحظ أيضا ، أن بعض الفلاحات اللاتى يعملن فى الحقول لقاء أجر زهيد ، يصبن بانكماش بشرة الوجه وتغضنها قبل الاوان - وان لم يقلل هذا من قواهن البدنية - وهذا مثال آخر للاكتهال المبكر ، فهؤلاء النسوة قد يئسن من الكسب فى مضمار الانوثة ، فارتضين حياة العمل التى لا تتطلب جمالا ، وانما تتطلب قوة !

والواقع ان اكتهال قسمات المرء يتوقف على تعبيرات وجهه ، لانها انعكاس لما يدور فى نفسه ، وهى مقياس انفعالاته ، وعواطفه ، وأدق نواحى حياته الخاصة ..

رب ضارة نافعه !

◆ ومن المظاهر الاخرى لنشاط الغريزة الهدامة اصابات يمكن أن نعتبرها « مهنية » - أى لها علاقة بمهنة الشخص - كاصابة الطالب أو الكاتب بالعجز عن الكتابة !.. ويحاول بعض الاطباء أن يعزوا مثل هذه الاصابات الى سبب بدنى ، كضعف عضلات اليد أو أعصابها ، أو نحول الاصابع .. ولكن « القلق » قد يكون السبب الحقيقى والعامل الاول فى هذا المجال !.. **وحياة ذوى المهن والفنانين حافلة بمثل هذه الامثلة التى توحى بالاتجاه الى القضاء على النفس ! ومع ذلك فقد تكون لهذا الاتجاه الهدام نهاية مجيدة .. فلقد قضى صمم بيتهوفن على كل فرصة لديه ليكون مغنيا أو عازفا ، فركز همه فى تاليف الالحان .. وهكذا أخرج أروع « السيمفونيات » التى خلدته !**

ورغم ذلك تبقى الحقيقة الواقعة ، وهى أن هناك أمارات تنذر بالهدم والوبال : فالمغنى الذى يصاب بالحشرجة قبل حفلة كبيرة هامة ، والمدرس الذى يصاب بالتهاب الحنجرة ، و« المايسترو » الذى تلتهب أعصاب ذراعه !.. كلهم أمثلة لما قد يترتب على ما ينتاب المرء أحيانا من شك فى نفسه .. فاذا تكرر العجز ، لم يعد مجرد شك طارىء ، وانما قد يكون نذيرا بصراع نفسانى ترجح فيه الكفة الهدامة !

وقد يظهر القلق أحيانا فى شكل خوف لا مبرر له ولا سبب ، كما يحدث للشخص الذى يستيقظ فى الليل وهو واثق من أنه سمع حركة مريبة ،

فيحمل سلاحا ويطوف بأرجاء البيت وهو ينصت الى وقع أقدام يخال انه يسمعها .. ثم لا يلبث أن يتبين انها ليست سوى صوت خفقان قلبه !

والخوف الداخلى - أو القلق - يظهر فى صورة نزوات ومخاوف عديدة الاشكال : فهناك «الاكروفوبيا» أو الخوف من المرتفعات ، و «الكلاوستروفوبيا» أو الخوف من الاماكن المغلقة ، و « الأجورافوبيا » أو الخوف من الاماكن المكشوفة ، و « الأستروفوبيا » أو الخوف من الرعد والبرق ، و « الدروموفوبيا » أو الخوف من اجتياز الشوارع ، و « السايتوفوبيا » أو الخوف من الكلاب .. وهكذا . والخوف الحقيقى فى هذه الحالات دليل على اضطراب داخلى عميق .. فنحن اذ نضطر الى الكشف عن القلق الداخلى الذى يراودنا ، نعمد الى تركيزه على أسباب تافهة !

فى حياتنا « فترات » و « فصول » خطرة !

◆ ومما يساعدنا على تعرف الامارات الخطرة التى تسبق المرض ، أن ندرك أن هناك « فترات خطرة » فى الحياة ، و « فصولا خطرة » فى السنة !.. وتقل فرص السلامة من هذه الفترات بالنسبة للمضطربين ، عنها بالنسبة للمطمئنين .. وقد يجتاز المرء عشرات السنين دون ماصعوبة، طالما كانت البيئة والظروف مواتية ، فلا يكشف عن شىء مما يدور فى أعماقه .. ولكنه يضطر فى الازمات والضائقات الى اللجوء الى مدخراته من القوى البدنية والعاطفية ، فاذا كان قد استنفدها فى صراع داخلى مستمر فى أطواء نفسه ، فانه يتبين فجاة انعدام قواه .. وهذا هو سر الانهيار عند وقوع الحوادث المحزنة أو النكبات ، وسر الامراض العديدة التى تتزايد فى أوقات الحرب ، أو فى فترات تكييف النفس للتمشى مع ظروف الحياة بعد الحرب ..

والواقع ان مشكلة « التكييف » وتهيئة النفس للتمشى مع الظروف والملابسات ، مشكلة مستمرة ، لان الانسان فى نمو مستمر .. وقد يشتد أوار الكفاح من أجل التكيف فى بعض مراحل العمر ، كفترة المراهقة ، اذ يفاجأ الشاب بتغيرات وتطورات فى جسمه وشخصيته ، فضلا عن اشتداد شعوره بالرغبة فى الاستقلال ، واستيقاظ شهواته الجنسية .. وهو فوق هذا مطالب بأن يواجه ، للمرة الاولى ، اعباء ومسئوليات جديدة ، كعضو فى عالم البالغين .. فلا تلبث أن تجابهه مشكلة اختيار المهنة ، ثم اختيار الزوجة ، وما الى ذلك من آلاف المطالب المترتبة على النضوج .. ثم يجد نفسه فى حاجة الى التكيف مع الاوضاع الجديدة فى العمل والزواج .. الخ

ومن هنا تكون فترة المراهقة والسنوات التى تليها حتى الخامسة

والعشرين من أعمارنا ، حافلة بالآلام والاضطرابات العاطفية ، وبالقلق ، والحيرة ، والخوف .. وفى هذه السنوات يتعرض المرء لأمراض خاصة ، كالسل والحمى الروماتزمية ..

ومن المراحل الاخرى المحفوفة بالخطر فى أعمارنا ، سن الخامسة والثلاثين ، اذ يراها معظمنا - سواء فطنوا لذلك أو لم يفطنوا - نقطة الوسط فى أعمارنا ، فننزعج اذ نشعر أن نصف العمر قد ولى ولما نحقق أهدافنا وغاياتنا !.. ويزداد الانزعاج والاضطرابات كلما مر الزمن ، فان معظم الناس يخالون ان لا أمل لهم فى بلوغ غاياتهم اذا هم لم يبلغوها فعلا فى سن الخمسين ، فاذا كان نصف العمر قد ولى ولما يحققوا شيئا يذكر ، تولاهم القنوط .. ومن ثم تكون هذه المرحلة حافلة بالازمات العصبية والانهيار !

كذلك تختلف حالتنا النفسية تبعا لفصول السنة.. وقد كان البروفيسور « هيلباخ » - أستاذ الطب بجامعة فرانكفورت الذى أصبح عميدا لجامعة (بادن) - أول من فطن ، منذ ربع القرن ، الى أن ثمة علاقات بين تغير الفصول وبين الزيادة المفاجئة فى حالات الحمل ، والجرائم الجنسية ، وحوادث الانتحار ، والاختلال العقلى ، التى تحدث بين خطى العرض ٣٥ و ٦٠ فى المدة بين أول ابريل وآخر يونيو .. وفى المنطقة المقابلة - تحت خط الاستواء - بين أول اكتوبر وآخر ديسمبر من كل عام .. ذلك أن تجدد الخلايا الاساسية يبلغ ذروة نشاطه فى الربيع ، ومن ثم نلاحظ ازدياد النشاط الغريزى والجسدى لدى الانسان العادى ، كمانلاحظ ارتفاع نسبة الاصابة بمرض الغدة الدرقية الذى ينتج من افراطها فى النشاط .. أما فى الخريف فيحدث العكس ، اذ أن اكتهال الاشياء - كتساقط أوراق الشجر وذبول النبات - يؤثر عادة على حالتنا الطبيعية. دون أن نفطن .. فاذا الغريزة الهدامة تنشط للعمل ، واذا العلل تتفشى فى الخريف !

على أن العلاقة بين الظواهر التى تنتاب الطبيعة ، والتطورات التى تلم بالانسان ، ميدان واسع لا يزال فى حاجة الى رواد يكشفون أسراره ..!

مسلكنا فى وقت الشدة ، والامراض التى تنشأ عنه !

◆ **والامراض التى تصيبنا قد تبدو ولا رابط بينها ، فى حين أن ثمة** نظاما يشملها .. فالطبيعة لا تعرف الفوضى ، وما قد يبدو للناس فيها من مظاهر الفوضى انما مرجعه الى نقص ادراكهم لحقائقها !.. مثال ذلك ان العلماء - من نفسانيين وأطباء - تبينوا أن الانسان يعمد فى أوقات الشدة الى احد مسلكين : اما أن يتلقي الضائقات في عدوان ، كالحيوان اذ يتحفز

ازاء عدوه .. واما أن يتهرب ويتحول الى طفل ينشد العون والحماية ممن هم أقوى منه !.. وفى أى المسلكين قد تعترضه عقبة خارجية ، أو عقبة منبعثة من أطواء نفسه .. ففى المسلك الاول تكون العقبة المنبعثة من نفسه هى .. الخوف .. الخوف من الفشل ، أو من العقاب .. أما فى المسلك الثانى ، فقد تعترضه كرامته وكبرياؤه ، أو شعوره بالذنب ..

وفى الحالين ، يثير كل من المسلكين سلسلة من الحركات فى الجسم تنتج عنها نتائج مختلفة : فاذا قامت عقبة فى طريقه الى التصرف العدائى ، فان هذا قد يؤدى به الى مجموعة من الامراض ، منها : مرض القلب، وارتفاع ضغط الدم ، واختلالات الدورة الدموية ، والروماتيزم المفصلى ، ومرض السكر .. أما اذا اعترضته عقبة فى المسلك الثانى، فانه قد يتعرض لامراض اخرى ، منها حالات الشعور بالتعب ، واضطرابات الهضم ، ومختلف الامراض المعوية ، والقرح ، وأمراض الحساسية ، وأمراض المسالك التنفسية ..

ومن ثم نرى فى الزيجات غير الموفقة أمثلة لتوزيع هذه الامراض : فقد تكون الزوجة نشيطة ، مليئة بالحيوية وقوة الشخصية ، بينما يكون الزوج خجولا ، منكمشا .. فاذا ما اعترضت حياتهما المشكلات ، دب الصداع الى الزوجة أو عانت من الروماتزم المفصلى ، وأخذ الزوج يشكو من متاعب معوية .. أو من نزلة شعبية .. فاذا انفصلا ، تلاشت الامراض ، بزوال المشكلات والخلافات التى سببتها لهما !

ذلك لان لدينا فى الجسم ثلاثة أجهزة عصبية : الجهاز الرئيسى الذى يخضع لتوجيه الارادة الواعية .. والجهاز السطحى ، الخاص بأعضاء الحس .. والجهاز الذاتى المختص بالنشاط الداخلى ، فهو يوجه العضلات الدقيقة المتصلة بالاوعية الدموية ، وتصل فروعه الى كل خلية فى الجسم .. وهذا الجهاز — وهو الذى يعنينا من الثلاثة — لا يأتمر بالارادة الواعية ، وانما هو يعمل من تلقاء نفسه مستوحيا انفعالاتنا العاطفية .. وهو يتألف من فرعين لابد من أن يعملا فى تناسق وانسجام لكى نظل معافين : احدهما ، الجهاز السمبتاوى —أو الحافز — وهو الذى يحفز ويستفز .. والآخر ، الجهاز الباراسمبتاوى — أو المدافع — الذى يمنع ويصد ويكبح ..

والجهاز المدافع يسير فى مجرى لا يحيد عنه ، فهو يعد الطعام ، ويختزن السكر ، ويحمى الجسم ضد البرد عن طريق اتصاله بالاوعية الدموية .. وهو الذى يجعلك تسعل اذا وجدت فى غرفة يثقل الدخان هواءها .. اما الجهاز الحافز فهو المسيطر فى أوقات السلام ، وهو الذى يعمل فى حالات الطوارئ .. فاذا دخل لص دارك ، حمل هذا الجهاز الانذار الى الاعضاء

لتنشط للدفاع : فاذا الدم يتدافع الى الرئتين والعضلات ، والمخ يحمل اليها مزيدا من الطاقة لتنعلق للعمل ٠٠ ويرتفع ضغط الدم ٠٠ وتخرج المواد الكربوهيدراتية من مخازنها لتتحول الى وقود ٠٠ وتنشط غدد القتال لتصب عصاراتها المهيجة فى الدم ٠٠ وهكذا يغدو الجسم متأهبا للحرب ٠٠ أو للهرب !

ولما كان كل من هذين الجهازين يعمل على نقيض الآخر ، لذلك فان استتباب السيطرة لاحدهما يتوقف على الحالة العاطفية ٠٠ والمسيطر منهما يحدد حالة الجسم : فاذا كانت الغلبة للجهاز المدافع ، مال الجسم الى الخمول ٠٠ الى الراحة بعد الاكل، والنوم بعد العمل ، والتحفظ والتأهب لمطالب العيش ٠٠ أما الجهاز الحافز فيدفع الى العمل ، والحشد ، والانتاج ، وانفاق المدخرات والموارد ٠٠

ومن هنا نرى فى الشخص الواحد معالم شخصيتين ، ودلائل اتجاهين رئيسيين فى الحياة ٠٠ ففى الشخص المتزن ، المتماسك ، يعمل الجهازان فى تناسق وانسجام ويكون لكل منهما من السيطرة بقدر ما يتطلب الموقف ٠٠ أما اذا كان الفرد فى تناقض عاطفى ، فان الانسجام والتعاون بين الجهازين يضطربان ٠٠

نوعان من التصرف ازاء الطوارىء !

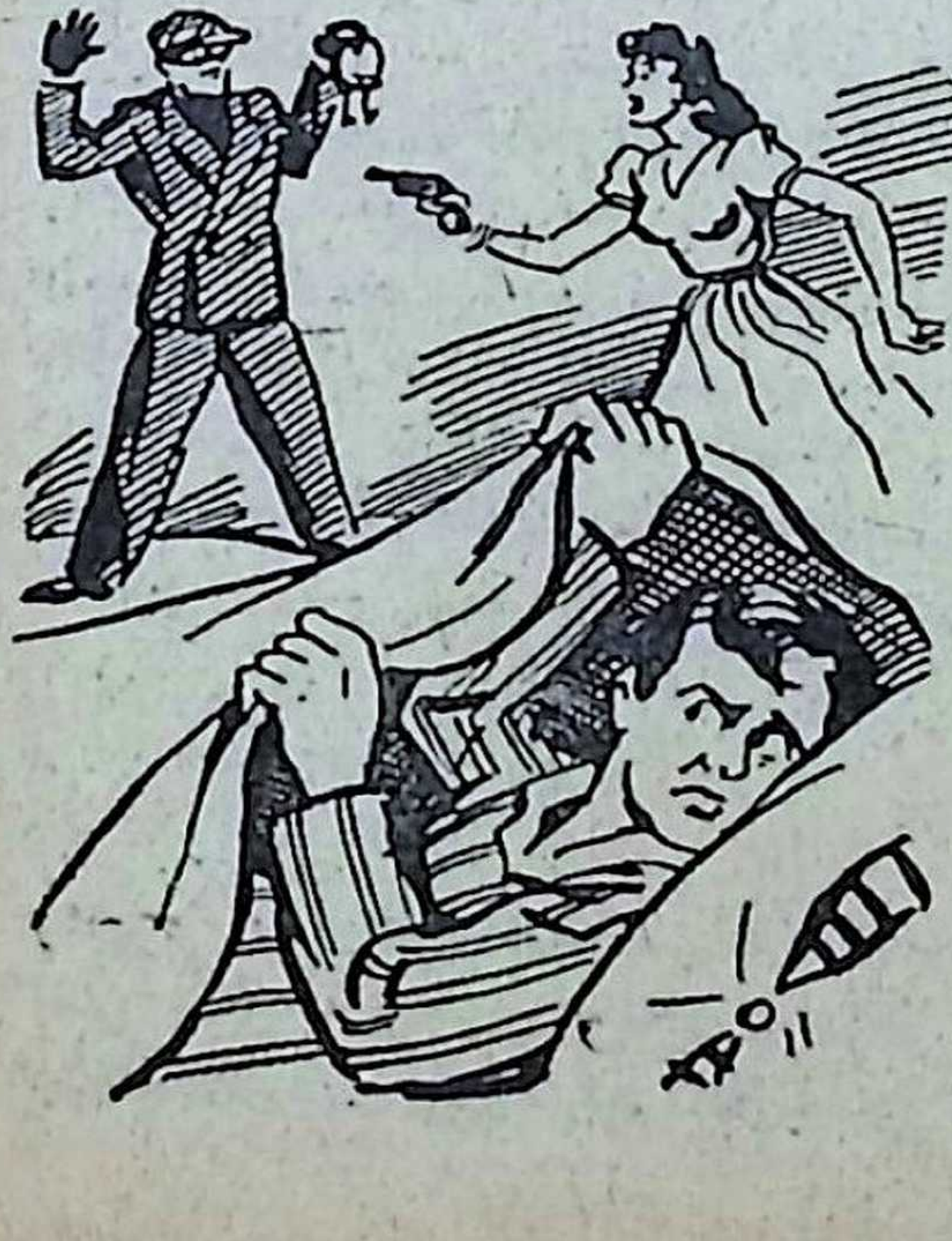

◆ **ولنفترض** أن لصا ولج دار « العمة مارتا » و « العم هنرى » ٠٠ فان العمة النشيطة المتحفزة ، التى يستأثر الجهاز العصبى الحافز عندها بالسيطرة ، تقفز من فراشها فتقبض على أى سلاح تجده ، وتبادر الى لقاء اللص ٠٠ أما « العم هنرى » — الذى يستأثر الجهاز السلبى المدافع لديه بالسيطرة — فيرفع الغطاء الى رأسه ٠٠ وينكمش فى الفراش !

ولكن هب ان المشكلة ليست بهذه البساطة ٠٠ ليست مشكلة لص ، وانما مشكلة عاطفية معقدة ٠٠ هب ان العمة مارتا مضطرة الى أن تواجه يوما بعد يوم

حقيقة زواجها من رجل خجول، متردد، جبان٠٠ وهب ان العم هنرى مضطر الى أن يواجه على مر السنين عجزه عن أن يفوز بنجاح باهر، وان يحفظ قدره كرجل فى نظر زوجته ! ٠٠ اذ ذاك نجد العمة مارتا بحكم اضطرارها الى مواجهة مواقف الحياة فى تحفز ، تكون فى حالة استعداد مستمر للعمل ، ولكنها لا تستطيع أن تعمل ، لان مبادئها الخلقية تمنعها من أن تهجر زوجها ٠٠ كما انها لا تقوى على احتماله على ما هو عليه ، ولكن جهودها لاذكاء روحه تفشل لعجزه عن التغير ٠٠ ومن هنا تمتلىء نفسها بالكثير مما تضطر الى كبته لانه من غير اللائق أن تبديه ، فاذا ما اشتد ضغط المكبوت ، واستفحل توتر أعصابها ، شعرت بصداع ودوار عنيفين ٠٠ أو قد يؤدى مضيها فى الحياة وهى فى حالة تحفز وتأهب مستمرين ، الى تكرر ارتفاع ضغط الدم بدرجة قد تفضى الى اصابتها فى احدى النوبات بالشلل ٠٠ أو بالسكر ٠٠ أو قد يسبب لها التوتر العصبى المزمن أمراضا أخرى كالروماتيزم المفصلى ٠٠

أما العم هنرى ، فيعيش وهو يتوق - دون أن يفطن - الى الانسحاب من الصراع ، والى أن يجد من يعوله ويرعاه كما لو كان طفلا ٠٠ وهو قد يظفر بشىء من الراحة والحماية فى شخصية زوجته القوية ، ولكن على حساب كرامته كرجل ، مما يمضه ويعذبه ٠٠ مثل هذا الشخص الهياب المتخاذل يصاب بعسر الهضم واضطراباته ، لانه يغدو أشبه بالطفل ، والطفل فى باكورة طفولته يمارس الراحة والحماية على أنهما متصلتان بالغذاء - فان الجوع أول شىء يقض راحته ٠٠ والاكل أول مبعث للراحة ! - ومن هنا يغدو العم هنرى كالطفل ، يتلمس الخلاص من المتاعب بالاكل ٠٠ ومن ثم يكون الجهاز الهضمى عنده هو هدف الغريزة الهدامة والمنفذ الذى تمارس عن طريقه مهمتها! على أن هذا التقسيم لا يحول دون أن يكون من الناس من يجمع بين التحفز والتقاعس ٠٠ فيستجيب جسمه لحوافز القتال ، بينما يئن الطفل القابع فى أعماقه ، ينشد الحماية ٠٠

«الارهاق» مصدر امراض العصر الحاضر !

◆ و«الارهاق» هو الاصطلاح الذى يستخدمه الطب لكل الحالات الداخلية والخارجية ، العاطفية والبدنية ، التى يتعرض لها الجسم من فرط الاجهاد ٠٠ وقد وصف الاستاذ هانز سيلى - من جامعة مونتريال - ثلاثة من الامراض التى تصيب الجسد من تأثير الحياة الحديثة التى طابعها الارهاق والتوتر ٠٠ وهذه الامراض هى : افراط الغدة الدرقية فى النشاط ، والقرحة التى تصيب الجزء من الامعاء المعروف باسم « الاثنى عشر » ، وارتفاع ضغط الدم ٠٠ ويضيف الطب الى هذه الامراض قائمة أخرى منها : الهزال،

وامراض القلب والاوعية الدموية .. ويرى « سيلى » ان كل حالة تسبب ارهاقا أو توترا - بدنيا أو عاطفيا - تؤدى الى أحد تلك الامراض

ومن ثم فالامر فى أيدينا .. ولن يكون للادوية الحديثة أى نفع ، ما لم تتوفر لدينا « الرغبة فى الحياة » .. وخير سبيل لتوفرها ، التمشى الصادق مع الظروف التى نعانيها ، والتكيف تبعا لها .. وبذلك نضمن الصحة والسلام ..

ولقد عرفت سيدة عالية الثقافة ، تزوجت وعاشت مع زوجها فى جبال « الأنديز » بأمريكا الجنوبية .. وبعد سنوات قلائل عاد بها زوجها الى نيويورك وقد ارتفع ضغط الدم عندها الى ما فوق المائتين ، وصارت تعانى آلاما فى عنقها وصدغيها ، وحشرجة فى حلقها ، وأصيبت بضعف فى ابصار عينيها .. ولما كانت صديقة لى ، فقد استبقيتها عندى للعشاء ، فلم تنقض ساعتان حتى كانت قد ارتدت شابة ، مليئة بالحيوية والمرح .. وكان التطور عجيبا .. ولاحظت انها خلال الحديث كررت مرارا : « لم أكن أطيق النظر الى الجبال القائمة أمامى كسور السجن ! »

وأجريت لها عملية بسيطة فى العينين .. وعندما استردت صحتها وآن لها أن تعود الى الجبال ، ارتفع ضغط دمها من جديد ! .. ولم ينقض عام حتى عادت ثانية الى نيويورك مصابة بانفصال فى شبكة العين .. وأجريت لها عملية أخرى لم يقدر لها النجاح .. ولكن ، ما ان بدأ زوجها يفكر جديا فى أن يهجر أمريكا الجنوبية ، حتى بدأت تتحسن رويدا ، وأخذت عينها تسير نحو الشفاء .. اذ لم تعد بها حاجة الى أن تحجب ابصارها !

نحن نختار موعد الامراض التى تصيبنا !

◆ ومن الامثلة الدالة على اننا نختار موعد المرض ، ان رجلا قويا ، محترما ، أصيب بنزيف داخلى وهو يحتفل مع زوجته وأصدقائهما باليوبيل الذهبى لزواجهما .. ودل التشخيص على وجود تورم فى «البروستاتا» والمثانة .. وبسؤال هذا الرجل اعترف لى بأن زوجته كانت ذات غريزة جنسية باردة، مما اضطره فى شبابه الى أن يتخذ لنفسه عشيقة .. وقد اكتشفت زوجته ذلك ، فكانت لا تفتأ تلومه وتؤنبه ، حتى اذا ما اقتصر عليها ، واصبح بحاجة اليها - اذ تقدمت به السن - راحت تسف فى تعذيبه بهذه الذكرى .. فأخذ الشعور بالذنب يستفحل فى نفسه حتى أثر على بعض أعضائه ذات العلاقة بالجنس .. فلما كانت ليلة اليوبيل الذهبى، اشتد عليه الاثر .. وقد عولج بالهرمونات فشفى ، وظل سبع سنوات فى أحسن حال ، الى أن ماتت زوجته، فاذا الشعور بالذنب ينشط فى نفسه فجاة .. وعاوده التورم الذى أثبت الفحص انه تورم خبيث .. وقدر للغريزة الهدامة ان تنتصر !!

بل ان المـــرء يتسبب ـ دون أن يفطن ـ فى اصابة نفسه بأى مرض معد ! ٠٠ وأذكر أن رجلين تصيدا احدى نساء الشارع ، وكان أحدهما جريئا ، بينما كان الآخر خجولا ، حييا ٠٠ وبعد أن استمتعا بها بزمن ، ظهرت آثار من مرض تناسلى قبيح على الرجل الخجول !٠٠ ويقـول « كارل مينتجر » ـ وهو من أفذاذ علماء ولاية كنساس بأمريكا ـ **ان مشاهداته تؤكد له ان الامراض السرية تكتسب أحيانا « لان المريض يجتذب العدوى ، لا باهماله فحسب ، بل بحيائه الذى يضعف مقاومة أنسجة جسمه للمرض ! »**

ولكن ، الى أى حد يبلغ اصرار الفريزة الهدامة على اهلاك النفس ؟

القرح المعوية تنشأ عن العلل النفسية !

◆ جاءنى يوما رجل مسن يشكو من قرحة فى الجزء من الامعاء المسمى بالاثنى عشر ٠٠ وتبين أنه خلو من أية غاية أو هدف يحفزه على الرغبــة فى أن يكون بصحة جيدة ليعمل على تحقيقه ٠٠ وعرفت انه قضى أربعين عاما يشكو من المرض ، وقد اعتاد أن يلقى مواساة ومجاملات من زملائه ، وأن يجد رعاية واهتماما من اسرته ٠٠ **فكان شفاؤه من القرحة معناه ان يفقـد هذه المكانة التى يستمتع بها ، والرعاية التى يلقاها !٠٠ ومن ثم كان وجود القرحة مبعثا للامتيازات التى كان ينعم بها فى الحياة !**

وهذا صحيح ، وكثيرا ما يمكن الوصول الى شفاء مريض من القرحة بالوسائل الطبية ، ولكن ٠٠ كثيرا ايضا ما ترتد القرحة ثانية ، لان المريض لم يبذل جهدا صادقا فى مغالبتها ، لحاجته الى الحب ، أو الى اجتذاب رعاية الغير واهتمامهم !

وافتقاد الحب فى بيئة الفرد او فى محيط الاسرة كثيرا ما يكون سببا فى الاصابة بالقرح ٠٠ بل ان اهمال ربة البيت لشئون بيتها ، وفتور رعايتها لزوجها وابنها قد يصيب الاثنين بالقرحة !٠٠ ولقد قام طبيب سويدى فى سنة ١٩٥٠ بدراسة حال ١٠٨ من المرضى بالقرحة ، فاذا الفحص النفسى يكشف عن أن ٥٤ منهم وجدوا مصابين بخلل عقلى حاد ، و٢٩ مصابين بخلل عقلى مزمن ، و ٢٢ مصابين بعلل نفسية أخرى ٠٠ ولم يكن عدد الخالين من العلل النفسية يزيد على ٣ ٠٠!

« الحساسية » ٠٠ هذا المرض العجيب !

◆ **ونستطيع أن ندرج أمراض** «الحساسية» بين الامراض التى تدل على الرغبة غير المكتملة فى اهلاك النفس !٠٠ ويرجع التفكير فى أن هذه الامراض بالذات تنشــأ عن انفعالات عاطفية ، الى أول عهد الانسانية بالطب ٠٠ ومع ذلك فقد أدرج الربو ، وتهيجات البشرة ـ كالارتيكاريا ـ والمــرض الجلدى

« الاكزيما » ، حوالى سنة ١٩١٥ ، فى قائمة أطلق عليها اسم (مجموعة الامراض « الغريبة ») ، وابتكرت لها أدوية تعالجها ٠٠ ولكنا اليوم بدانا نتجه اتجاها جديدا فى فهمها ، ووجدت أمارات تدل على ماكان معروفا أيام «ابقراط» من أن لها علاقة باحوال الحياة التى ترهق أعصاب المرء أو تجعلها فى توتر ٠٠ اذ وجد ان تهيج البشرة مرتبط ارتباطا وثيقا باضطرابات عاطفية من نوع خاص ، هى الاضطرابات التى يعانيها المرء فى مواقف يشعر فيها بالاستياء والغيظ لانه ضحية معاملة ظالمة لا سبيل له الى تغييرها ! ٠٠ كما ان للانفعـالات الجنسية المبلبلة أثرا فى ذلك ٠٠ وكم من حالات للربو نجمت عن انفعالات عاطفية منيت بالخيبة !٠٠ ومن ثم نرى اننا ، حتى فى هذه الامراض الغريبة نختار مرضنا : ففى حالة الاستياء والغيظ نختار التهيج الجلدى ٠٠ وفى حالة الحاجة الى العاطفة نختار الربو !٠٠ ويصف علماء النفس أزمات الربو بانها صرخات صبيانية تطلب النجدة !

ضيق التنفس والالتهاب الرئوى !

◆ وامراض التنفس من مظاهر نشاط الغريزة الهدامة ! وقد استطعنا أن نكتشف أدوية لشفائها ، قبل أن نكتشف حقيقة اسبابها ٠٠ فالواقع أن هذه الاسباب نفسية : فانت مثلا حين تسعل فى غرفة مثقل هواؤها بالدخان، انما تعبر عن احتجاج مكبوت فى نفسك ضد هذا الجو !٠٠ ولقد حضرت من عهد غير بعيد احدى جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة ، واستمعت الى خطاب لاحد المندوبين يدافع فيه عن موقف بلاده فى قضية كانت كل الوقائع تؤكد أنها خاسرة ٠٠ وكان المعروف عن الرجل أنه خطيب مصقع ، ومتحدث لبق ، ولكنه فى تلك الجلسة كان لا يكاد يمضى فى خطابه حتى يصاب بنوبة من السعال !٠٠ وعللت ذلك بانه ولا بد قد اصيب ببرد ، ولكننى لم أجده يسعل اطلاقا فى بقية الجلسة ، بعد أن انتهى من خطابه المحرج !

وقد اثبتت المشاهدات فى حياة رجال السياسة ، والممثلين ، والمطربين : أنهم يصابون بالالتهابات الرئوية اذا شعروا بانهم مقدمون على مواقف حرجة٠٠ فالمرء فى ساعات الذعر الطارىء ، العابر ، يصاب بالنزلات الرئوية ٠٠ وغالبا ما لا تكون هناك مقدمات ـ من برد أو خلافه ـ تنذر بهذه النزلات ٠٠ وهذا مما يؤكد انها تترتب على انفعالات عاطفية !

وفى العدد القادم ، تقرأ معى الجزء الثالث من هـذا الكتاب٠٠ ويدور حول «طريق العـودة الى الصحة»

نحن وأكبادنا

البيت والعائلة والطفل

عزيزى القارىء ..

فى هذا الباب قدمت لك فى اعداد سالفة عددا من القصص الكلاسيكية ، المبسطة خصيصا كى يقراها الصبيان ، او يقراها الكبار ثم يحكونها لاطفالهم ..

وابتداء من العدد (٣١) قدمت لك فى هذا الباب مادة من نوع آخر .. فهى ليست للاطفال ، وانما عنهم .. ذلك ان علم النفس الحديث قد فتح آفاقا فسيحة لمحاولة اتاحة اكبر قسط ممكن من السعادة للانسان فى مختلف مراحل حياته ، عن طريق فهم ومعالجة نفسيته منذ نعومة اظفاره ، ومن ثم تربيته التربية الصحيحة التى تكفل له نفسا سليمة من العقد والمنغصات وامراض الشخصية .. كما تكفل له جسما سليما من العلل والامراض البدنية

وفى الصفحات التالية اقدم لك المحاضرة الخامسة من سلسلة محاضرات اعدها خصيصا للامهات والآباء نفر من اشهر الاخصائيين الفرنسيين فى علم « تربية الطفل »..

مدرسة الآباء - ٢

الطفل والأسرة

للدكتور اندريه بيرج
الإخصائي في تربية النشء

ترجمة : الاستاذ كليم أبو سيف

دستور التربية

في العددين السابقين ، قدمت لـك المحاضرتين الاوليين للطبيب الفرنسي الدكتور ((اندرية بيرج)) ، الاخصائي في تربية الاطفال ، وقد حدثنا فيهما عن مرحلة اعداد ((الوالدين)) لتربية الطفل ((قبل)) مولده، ثم عن علاقتهما به في المرحلة الباكرة من طفولته ٠٠ واليوم تقرأ فيما يلي المحاضرة الثالثة والاخيرة لهذا الباحث الكبير ، وقد تناول فيهـا علاقة الطفل باخوتـه ٠٠ وفي الاعداد التاليـة نتابـع السلسلـة بمحاضرات اخصائيين آخرين من المشرفين على ((مدرسة الاباء)) بجامعة باريـس

علاقات الطفـــــل بأخوته

◆ كيف يواجه الوالدان المشكلات التى تتصل بعلاقة الطفل بأخوته ؟ وكيف يوجهان هذه العلاقة الوجهة السليمة التى يحتاج اليها ابنهما فى حياته الاجتماعية وصلاته بالناس ؟

لقد دلت التجارب على أن ((الابن الوحيد)) يصادف من المصـاعب فى مسايرة الحياة الاجتماعية اكثر مما يصادف غيره ، لانه تنقصه احـدى المراحل الهامة التى تعينه على اكتشاف أساليب هذه الحياة ، وهى مرحلة الألفة بين الاخوة والاخوات .. وكثيرا ما يلاحظ أن المشكلات التى تنشأ بين الآباء والابناء فى علاقتهم المتبادلة ، تعود الى الظهور فى صورة أخرى بين الاخوة والاخوات .. ولكن هذا التكرار لظهور نفس المشكلة يساعد علـى حلها ، لان عاطفة الطفل أو تعلقه الشديد بالشخص المقرب اليه من أفراد أسرته يوزع فى هذه المرحلة على عدد أكبر من الاشخاص ، الامر الذى يخفف من حدة ذلك التعلق بشكل ملحوظ ..

ونستطيع أن نضرب مثلا لهذا التعلق أو ((الانصباب)) العاطفى ، بذلك الشاب الذى بلغ العشرين من عمره ، ولكنه رغم ذلك لم يستطع أن يبرأ من أثر صدمة أصابته وهو فى سن الخامسة أو السادسة ٠٠ وتلك الصدمة هى زواج أخته الكبرى وهو فى تلك السن !٠٠ وذلك لانه كان يحس نحـو أخته بشعور من الحب ((البنوى)) الخالص ، الذى يشعر به الابن نحو أمه !٠٠ ونظرا لان تركيز ذلك التعلق العاطفى كله كان واقعا على أخته الكبرى فقد ظلت هذه المشكلة قائمة كما هى ، رغم تقدمه فى السـن نظرا لما كان

يبديه من عدم اكتراث بأى شخص آخر من أفراد أسرته .. أى أنه ظل يعانى هذا « الشذوذ » فى شعوره نحو أخته بشعور الابن نحو أمه !

والواقع أنه اذا كانت مرحلة علاقة الابن بأبويه هى بالنسبة له أولى اتصالاته بالحياة الاجتماعية ، فان المرحلة التى تليها مباشرة هى مرحلة علاقة الابن باخوته .. ولكى ندرس هذه العلاقة ينبغى أن نتدبر ثلاثة أمور :

أولا : سن كل ابن على حدة ، ومركزه الخاص فى الاسرة
ثانيا : الدور الذى يلعبه « الجنس » فى حياته !
ثالثا : ما يستطيع الآباء صنعه فى هذه الاحوال

القسم الاول

ونعنى به علاقة الأبناء بعضهم ببعض ، باعتبار سن كل ابن على حدة ومركزه الخاص فى الاسرة .. وهذا يقودنا الى تحليل الاعتبارات الآتية :

أولا : مولد طفل أصغر
ثانيا : مركز الابن الاكبر
ثالثا : المركز الخاص بكل ابن فى الاسرة على حدة

١ ـ مولد طفل أصغر !

◆ ان المشكلة الاولى التى تواجهنا فى هذا الشأن هى أن يتقبل الطفل بالرضا مولد طفل آخر أصغر منه !.. وهنا يجدر بنا ان نسلط بعض الضوء على الاصطلاح الذى تعودنا اطلاقه على «المضاعفات» العدائية التى يخلقها فى نفس الطفل مولد طفل آخر أصغر منه ، وهو ما تعودنا تسميته « بالغيرة » !.. و « الغيرة » تعبير خاطىء ووصف غير صحيح لظاهرة طبيعية للغاية ، لان الغيرة التى يحس بها الطفل ان هى الا نوع من الالم رغم ارادته ، فلا ينبغى ان يؤاخذ عليه باسم الاخلاق !.. ولكن مما يؤسف له اننا نجد دائما ذلك الشخص الذى يقول للطفل : « ما اقبح ان لا تحب اخاك الاصغر ! » .. ولانه قال له : « ان هذا الفعل ردىء » ، فقد جعله يجتهد أمام نفسه وأمام الآخرين فى أن يكتم هذا الاحساس الذى يخجله أمامنا !.. والواقع ان الطفل يستطيع أن يحب أخاه الاصغر حبا جما ، و « يغار » منه فى الوقت نفسه .. ولكن اذا افهمناه ان الغيرة أمر ردىء، جعلناه يخفيها حتى عن نفسه !.. وهنا قد تقول : « ان الغيرة والحب نقيضان ! » .. ولكن وجود أمرين متناقضين فى وقت واحد أمر ثابت لا شك فيه من الناحية النفسية .. والصعوبة هى فى « توحيد »

النقيضين .. أما اخفاء « الفيرة » فى قرارة الضمير ، لانها عمل ردىء ، فهو ليس جمعا للنقيضين ، ولا يعتبر حلا للاشكال أو استئصالا للداء !

فالغيرة موجودة ، ولكنها ظاهرة طبيعية لا تتنافى مع الحب !.. وقد تظهر فى بعض الاوقات واضحة صريحة لا لبس فيها - بل قد يفزع مظهرها الآباء أحيانا ! - لكن الحوادث المروعة التى يأتيها الكبار مع اخوتهم الصغار ما تزال حوادث « استثنائية » .. وكثيرا ما نرى انفجارات فظيعة تتخللها ألفاظ قاسية تصدر عن الاخوة الكبار بدافع الفيرة ، بينما تظل الاعمال المادية التى يأتونها أعمالا صبيانية ! وقد يحب الاخ أخته الصغرى حبا مفرطا ، ثم يصب جام غضبه على ابنة أخرى .. انها الغيرة التى يحس بها من أخته الصغرى ، قد أصاب رشاشها طفلة أخرى !

وليس من الضرورى أن تظهر الفيرة ساعة الولادة .. فالاغلب أن يقابل الطفل هذا الحادث بفرح ، لانه ما يزال يجهل المتاعب التى سيسببها له !.. لكن الفيرة لا تلبث أن تبدو واضحة عندما يرى الطفل الكبير نفسه وقد حرم مثلا من لبن الام بسبب قدوم الطفل الآخر !.. وهو قد يكون « فطم » قبل قدوم أخيه ، لكن لذة الرضاعة تعاوده من جديد عندما يرى أخاه الاصغر يرضع ثدى أمه !

وتظهر الفيرة عند الطفل الاكبر فى الوقت الذى تبدأ فيه شخصية الاصغر فى التكون ، لان هذه هى التى يطلب أثناءها فى العادة من الكبير أن يتساهل فى حقوقه من اجل الصفير بحجة انه هو « الاكبر » !.. وكثيرا ما لا يبدى الكبير استعدادا لاجابة هذا الطلب !.. والذى ينبغى أن يعلمه الآباء ، ان المسلك الجديد الذى يسلكه الابوان مع الكبير ، كثيرا ما يكون مبعثا لشتى الانفعالات التى تضطرم بها نفسه ، والتى قد تظهر فيما بعد فى أشكال مختلفة ، وبأساليب متباينة !.. ولعل أكثر سن يصعب فيها أن يتقبل الطفل وجود اخ له اصفر منه ، هو سن الرابعة أو الخامسة .. ومن المهم أن نتبين هنا ان المشكلة تختلف كل الاختلاف اذا حدث أن كان هناك بين الاخ الاكبر والطفل الوليد طفل ثالث يتوسطهما .. فان الطفل الاكبر فى هذه الحالة يرى فى قدوم الطفل الجديد نوعا من « الانتقام » من أخيه الاوسط ، لان الطفل الجديد سيأخذ له بثاره منه ، ويلعب معه نفس الدور الذى لعبه أخوه الاوسط معه هو !

بل ان مما يستحق التسجيل ، ان الغيرة تستحوذ على « الابن الوحيد » اذا رأى أبويه يبذلان أقل عناية أو رعاية لأى طفل آخر « غريب » !.. ولنضرب هذا المثل العجيب للغيرة : فقد كان الطفل « ا » موضع رعاية

أمه التامة . وفجأة عن للام أن تربى فى المنزل كلبا .. ومن الطبيعى أن الكلب كان يقتضيها بعض الرعاية وبعض العناية ، فلاحظ الطفل أن عناية أمه لم تعد منصبة كلها عليه ، وان الكلب بدأ يشاركه فيها .. فقال ، والحزن باد عليه ، هذه العبارة العجيبة : « قديما كانت أمى اذا غضبت صبت جام غضبها على فصفعتنى .. أما الآن فهى اذا غضبت صبت جام غضبها على الكلب ! . »

فهذا الطفل يحزن لان جزءا من « اهتمام » أمه به ، حتى فى ساعة غضبها ، قد انصرف الى الكلب .. وهو يغار من الكلب لانه استولى على صفعات أمه التى كانت تخصه بها !.. فان هذه الصفعات كانت فى تقديره دليل الرعاية ، بل دليل الحب !

والخلاصة ، أو « القانون الاساسى » فى هذا الموضوع ، هو ان الحب ، والكراهية ، والغيرة ، تنمو جميعا وفقا لعلاقات الاولاد بآبائهم ، وليست الغيرة الا وسيلة التعبير عن خطورة هذه المسألة عند الطفل .. هذا التعبير الذى يترجم رد الفعل الذى يشعر به الطفل فى أعماقه ، والذى يتلخص فى هذه العبارة : « أريد أن لا تنسانى ! »

٢ ـ الابن الاكبر !

◆ **والمشكلة** الثانية التى تواجهنا ونحن نستعرض الموقف الخاص بكل ابن فى الاسرة ، هى مشكلة مسلك الاخوة الصغار وموقفهم بالنسبة للاخوة الكبار .. كيف يعامل الاخوة الصغار اخوتهم الكبار ؟.. فكثيرا ما تلاحظ « كراهية » يبديها الصغار نحو الكبار ! .. وفى حالات كثيرة يفشل الصغار فيما ينجح فيه أخوتهم الكبار ، فيعمد الصغار الى اختيار طريق فى الحياة والدراسة يناقض تماما الطريق الذى سلكه الكبار ، كما لو كان هذا التناقض ضروريا لاثبات شخصية كل فرد !

ومنافسة الاخ الاصغر لاخيه الاكبر أمر مألوف . وكثيرا ما يزيدها الآباء عنفا بتصرفاتهم ـ مثل ذلك الأب الذى اذا تحدث عن ابنه الاكبر وصفه بقوله « ابنى الممتاز ! » . فاذا تحدث عن الاصغر وصفه بقوله : « هذا الولد المسكين ! » .. ان « هذا الولد المسكين » يحب أخاه الاكبر حبا جما ، لانه يرى فيه الكمال بالنسبة له . وكلما عجز عن ايجاد مطعن فيه قل حبه له ! ونظرا لعجزه عن بلوغ مرتبة النجاح التى بلغها الاكبر ، فانه يعمد الى اختيار ميدان آخر يخالف ميدان أخيه كل المخالفة ، وذلك حتى يبرز ويتفوق فى شىء كما برز أخوه وتفوق ! أو بعبارة أخرى ان الاصغر ، رغبة منه فى أن يكون الاول المتفوق فى شىء ما ، يلجأ الى

موقف يناقض موقف الاكبر الى الحد الذى يجعله بالنسبة للاكبر بمثابة ((العفريتة)) السلبية السوداء للصورة !

٣ - المركز الخاص لكل ابن فى الاسرة

◆ **ومهما** كانت الظروف ، فان تسلسل أعمار الاولاد يجعل لكل منهم مكانه الخاص فى الاسرة !.. ونظرا لاضطلاع الابن الاكبر ببعض المسئوليات بحكم سنه ، فانه كثيرا ما يكون مستبدا ، متخذا نحو اخوته الصغار خطة ((التحفظ)) !.. بينما يحدد الاخوة الباقون علاقاتهم فيما بينهم ، متخذين أخاهم الاكبر منوالا ينسجون عليه ! وطبقا لمشاهدات العلامة ((أدلر)) ، يكون الابن الثانى ثائرا دائما .. أما الثالث فيفضل الانسحاب من الميدان وعدم الزج بنفسه فى معمعان الاسرة ، مفضلا مزاجه الخاص ونزواته وهواياته الشخصية على كل ما عداها !

وليس مكان الاخ الاكبر فى الاسرة بالمكان الذى يحسد عليه ! ذلك لان دوره فيها بالغ الدقة ، وكثيرا ما لا يقدر الآباء دقته وصعوبته حق قدرها !.. فالآباء يكلفونه أحيانا شططا ، ويفرضون عليه ما لا يطيق ، بحجة ((الواجبات المفروضة عليه بحكم مركزه فى الاسرة)) !.. أى ان عليه ان يحب اخوته الصغار فى جميع الظروف .. وان يتنازل لهم عن حقوقه على طول الخط ، لانه أكبرهم !.. ومن هنا نسمع الأم تقول له مثلا : ((اذهب لتنام مع أختك الصغيرة ، مخافة أن تبكى اذا ذهبت لتنام وحدها !))

أما أصغر الاولاد فمشكلته مختلفة كل الاختلاف هو الآخر .. فانه يخاف أن ((ينساه)) الباقون ، وعلى الاخص اذا لم يكن فارق السن بينه وبين الذى يكبره أكثر من سنتين أو ثلاث .. أو اذا كان من الجنس الآخر .. ففى هذه الاحوال تتجه الاسرة الى منحه نفس الحقوق التى يتمتع بها اخوته الكبار ، دون الالتفات الى الصعوبات التى تواجهه من جراء ذلك .. هذه الصعوبات التى تتزايد امامه عند ما يرى اغضاء الكبار عنه وعدم التفاتهم اليه ، مع انه يتمتع بنفس الحقوق التى يتمتعون هم بها !

وينعكس الموقف اذا كان فارق السن بين الأصغر واخوته هو عشر سنوات مثلا .. اذ فى هذه الحالة يصبح اخوته بالنسبة له ((آباء)) ، فيفصل عن معرفة حقيقة الاواصر الاخوية !

أما الاولاد الذين يتوسطون بين الابن الاكبر والابن الاصغر ، وهم الذين نستطيع أن نسميهم ((بالاولاد المعاصرين)) - لانهم يعاصرون من يكبرهم ومن يصغرهم على السواء ، ويختلطون بالفريقين - أما هذا الفريق من الاولاد فانه لا يمكن معاملتهم جميعا على قدم المساواة ، لان الاولاد يختلفون فيما

بينهم اختلافا كبيرا : فلكل منهم طابعه الخاص • ويظهر هذا الاختلاف حتى فى الذين تربوا على نسق واحد وبأسلوب واحد ، بل انه ليظهر أيضا فى « التوائم » ، فأنت لن تجد طفلين متشابهين كل الشبه •• وذلك لانه ، لكى يعبر كل واحد عن وجوده المستقل ، وشخصيته الخاصة ، نراه يجتهد فى أن يميز نفسه عن الآخرين بمميز خاص ! •• فالفارق بين التوأمين طفيف باهت ، ومع ذلك فان كلا منهم يحاول أن يخلق شيئا يميزه عن أخيه!

وفى كثير من الاحيان ، يتضايق الاولاد مضايقة كبرى من رغبة الام البريئة فى توحيد الزى واللون فى ملابسهم جميعا ، لان هذا يعدم شخصياتهم فلا تتميز احداها عن الاخرى بأى طابع ، أو فارق خاص ! •• وفى هذه « الملحمة » التى يقاتل الصغار فيها لبناء شخصياتهم ، يستطيع الكبار أن يلعبوا الدور الذى كان آباؤهم قد لعبوه معهم عندما كانوا صغارا••فالمشاهد أن الاخ الاصغر يكون أميل الى ان يقلد ويتقمص شخصية أخيه الاكبر وليس شخصية أبويه • وهو يحاول أن يتقدمه ويبزه • وهذا قبول مؤقت من الصغير بتفوق أخيه الاكبر عليه يحل محل المنافسة بينهما •• فاذا لم يرد الكبار أن يقوموا بدور « الآباء » مع الصغار ، رغبة منهم فى عدم استعمال الشدة التى يستعملها الآباء عادة مع الاولاد •• فلا أقل من ان يتبادلوا معهم الاحاديث والمناقشات الودية ، فان لها تأثيرا مباشرا انجع وافعل من أية سلطة قد يلجأ الآباء الى استعمالها !

القسم الثانى

الدور الذى يلعبه اختلاف الجنسين بين الأخوة ••

الأقليات المسحوقة : وهذا الوصف ينطبق غالبا على حالة الابن الاصغر – وعلى الاخص اذا كان من «الجنس الآخر» – • ويمكننا أن نضرب لذلك هذا المثل : يحدث أن يثور الاخ الاصغر ثورة عنيفة لانه لم يعط مفتاح المنزل اسوة باخوته الكبار • ان هذا يعنى فى نظره ان دخول المنزل محظور عليه فى بعض الاوقات ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى فانه يرى فى هذا التصرف هدما لاستقلاله ! •• ومن هنا نرى الاخ الاصغر المسلوب الحق – دون سائر اخوته الذين يراهم قد شقوا أمامه طريق الحياة بنجاح – يلجأ فى حياته الى المثل العليا ، هائما باحثا فى عالم الخيال عن ميدان يستخدم فيه النشاط الذى حرم منه فى الحياة العملية ! •• واذا كان الامر متعلقا ببنت ، وكانت هى الصغرى ، فاننا نرى نموها يتعثر من رؤيتها اهتمام الاسرة كله منصبا على الابن الذكر !

وهناك صعوبة اخرى يكابدها الولد بازاء أخته الكبرى ٠ انه يطيق هذه الاخت بصعوبة ، وهى من ناحيتها تعانى عقدتين نفسيتين ، بحكم مركزها فى الاسرة : العقدة الاولى هى مركب النقص الذى تحسه البنت دائما بازاء الولد ٠٠ والعقدة الثانية هى نقيضها تماما ، اى الاحساس «بالتفوق» لانها الكبرى! ٠٠ وهكذا تتلخص المشكلة فى نظر هذه البنت الكبرى الى وجوب العمل بكافة الطرق لتتفوق على اخوتها الصغار وتحاول أن تظهر غيرة ملتهبة كغيرتهم فى جميع ما يعملون !

المحافظة على الاستقلال : وهنا نرى المشاكل التى صادفتنا ونحن نحلل علاقات الآباء بالابناء ، تعود الى الظهور هنا مرة أخرى ونحن نحلل علاقات الاخوة بعضهم ببعض ! وهذه المشاكل تتعلق بانصباب «الطفل العاطفى» نحو الوالد الذى يكون من الجنس الآخر ، فيتعلق الابن بالام ، والبنت بالاب ! ٠٠ بل يتعلق الاخ بالاخت أكثر من تعلق الأخ بالاخ ٠٠ وذلك لان كلا الجنسين يرى فى تعلقه بجنس مغاير ، محافظة على شخصيته ، واستقلالها، وكيانها

والطبيعى أن لا تتخذ هذه الانفعالات العاطفية مظهرا خطيرا فى الاسرة ٠٠ لكن من المفيد أن نعلم أن هذه الظواهر تختلف فى درجة حدتها وشدتها اذا ما خرجت من محيط الاسرة الى الحياة العملية العامة !

القسم الثالث

ماذا يستطيع الآباء أن يفعلوا فى هذه الاحوال ؟

◆ ما هو دور الآباء فى علاقات الاخوة بعضهم ببعض ؟

ان الآباء ، على وجه التحقيق ، هم الوحيدون القادرون على التغلب على هذه الصعوبات ٠٠ كما انهم ، على وجه التحقيق أيضا ، هم الوحيدون القادرون على زيادة هذه العلاقات سوءا !

فأولا : يتعين علينا أن نفرق بين أنواع الوالدين : فهناك فريق منهم يتحيز عادة « للابن الاكبر » ، وهناك فريق يتحيز « للابن الاصغر » ٠٠ وفريق ثالث يتحيز « للذكور » ، وفريق رابع يتحيز «للاناث» !

فالمتحيزون « للابن الاكبر » يرونه دائما على صواب ، ويمنحونه احيانا حق تاديب اخوته الصغار ! ٠٠ ومن هنا يتصور نفسه بناء على ذلك وقد منح سلطة الابوين ! وهم يخلعون عليه امتيازا لا يخلعونه على سائر اخوته ، الذين يشعرون بازاء هذا المسلك بقلق وضيق شديدين ٠٠٠ أما المتحيزون «للابن الاصغر» ، فانهم يعجبون بالصغار مادامو صغارا ٠٠ فاذا كبروا قل

اهتمامهم بهم شيئا فشيئا ! .. وسوء التفاهم الناجم هنا مرجعه الى أن هؤلاء الآباء يريدون ، عامدين أو غير عامدين ، أن يظل هؤلاء الصغار صغارا مدى حياتهم ، فيظلون فى كنفهم ورعايتهم وفى طاعتهم دائما ! .. وهم لا يتقبلون فى سهولة أن تتكون للصغير شخصيته شيئا فشيئا ، لان هذا يقوده الى الاستقلال عنهم !

وفى الاسر التى تكون الافضلية فيها للبنات ، نلاحظ تخنثا فى الولد ينتهى به الى محاولة تقليد أخته فى كل شىء ، ليحظى بمثل ما تحظى هى به من رعاية وتدليل ! والعكس صحيح : فانه فى الاسرة التى تكون الافضلية فيها للولد ، نرى البنات يحاولن أن ((يسترجلن)) ، ليظفرن من رعاية الابوين وتدليلهما بما يظفر به الذكور !

وثانيا : هناك فريق آخر من الوالدين يعانى كثيرا من الرغبة فى ((المساواة)) بين جميع الابناء ، مساواة عادلة بالقسطاس ! .. ويهمنى أن أقول هنا انه يندر أن تكون هذه الرغبة الملحة فى المساواة عند هذا الفريق هى رغبة منزهة عن الغرض ، اذ كثيرا ماتكون علامة على وجود ((تفضيل خبىء)) لفريق منهم على فريق ، يحاول الآباء اخفاءه فى تضاعيف أنفسهم ، بالتذرع بذريعة المساواة بين الجميع ! .. على ان وزن كل شىء بالميزان ليس بالعمل المحمود، اذ يجب أن يلقن الطفل فكرة أرحب أفقا وأكثر صحة عن ((العدالة)) .. ولذا يكفى أن نفهمه بأنه لم تسيطر رغبة ((غير عادلة)) على أبويه فى تصرفاتهم! فماذا يهم اذا أخذ الاخ الاصغر قطعتين من الحلوى بدل قطعة واحدة أخذها سائر اخوته ؟ ان الذى يهم فى نظره هو أن يحس بعدالة أبويه المطلقة فى ((جوهرها)) لا فى ((موازينها)) ..

وثالثا : يميل بعض الآباء ـ ميلا مفرطا ـ الى التدخل فى الخلافات التى تنشب بين الاخوة والاخوات .. هذه الخلافات التى مبعثها الاول فى الحقيقة هو مركز هؤلاء الابناء بالنسبة لآبائهم ، وبالنسبة للحب الذى كانوا يوزعونه عليهم فى البداية !.. ومن الواضح أن تدخل الآباء فى هذه الخلافات مهما كان فى صالح أحد ((المتحاربين)) ،فهو عادل .. ولو انه قد يبدو للابن الآخر كعلامة من علامات التفضيل الذى يحظى به أخوه من أبويه ! وعليه فمن الافضل أن نترك الاولاد يفضون مشاكلهم بأنفسهم ، اذا لم يكن هناك خطر من ذلك .. وفى العادة يخرج الاصغر من هذه المعارك رابحا .. يضاف الى ما تقدم انه من المستحب جدا أن يتفاهم الابناء فى غيبة الآباء !

رابعا : يستطيع الآباء ، لتسوية المشاكل التى قد تنجم بين الابناء ، أن يسلكوا معهم مسلكا آخر ايجابيا ، غير مسلك ((عدم التدخل)) الذى أشرنا اليه .. فمثلا يمكنهم أن يحولوا بين الكبير ورغبته فى السيطرة على الصغير،

وذلك باقناع الاخ الاكبر أو الاخت الكبرى بأن ينظر كل الى اخـوته الصغار نظرة «أبوية» ! .. **وبذلك تتحول معاملة الكبير للصغير من معاملة مسيطرة غاشمة ، الى معاملة يشعر فيها بمسئولية حماية الصغير ! وبذلك ينقلب الوضع انقلابا كبيرا ..**

ولقد ظهر أخيرا مقال قيم للباحثة الكبيرة الدكتورة « فرنسواز دولتو » (التى نشرنا لها فى «كتابى» المحاضرتين الاوليين من هذه السلسلة) ، أوضحت فيه ضرورة التهوين من شأن أخطاء الطفل ، وذلك بأن نفصل هذين الاحساسين المتناقضين اللذين يتنازعان أخلاقه أحدهما عن الآخر : احساسه بالحنان على أخيه الاصغر .. واحساسه بالرغبة فى الاعتداء عليه !! .. أى اننا ينبغى أن نساعد كلا من هذين الشعورين على الظهور والتعبير عن وجوده ، لنتقى بذلك الشر الذى قد يكمن فى نفس الطفل من كبتهما فيها !

ولكن ، كيف يكون ذلك ؟

يكون بأن نسمح أولا لروح الاعتداء بأن تنفلت وتفرغ كل مافى جوفها ، وذلك بأن نصف الاصغر أمام أخيه الذى يكبره أوصافا بعيدة عن الاطراء والمديح ، لانه « يبول » في فراشه مثلا .. ثم نعلق بعبارة مناسبة على قبح هذا الفعل !.. فنفرغ بذلك ما فى جوف الاخ الكبير من كراهية يشعر بها نحو أخيه الصغير ـ لاننا سمحنا لهذه الكراهية بأن تعبر عن وجودها ! ـ ثم نأتى الى الصنف الآخر أو القسم الثانى من هذا الاحساس ونجعل الطفل يعبر عن وجوده ويفرغه من جوفه أيضا ، وذلك بأن نعنى فى الوقت نفسه بالطفل الذى بول فى فراشه ، عناية دقيقة كلها حنان وعطف ، أمام أخيه الذى يكبره .. وبذلك « نعزل» الاحساسين أحدهما عن الآخر ونسمح لكل منهما بأن يظهر ويعبر عن وجوده . وبهذه الطريقة يظل الشطر الثانى من هذا الاحساس ، وهو الخاص بالعناية بالطفل والحنو عليه ، راسخا فى نفس الطفل الاكبر !

والخلاصة ، أننا ينبغى أن نعاون الطفل على أن يبنى نفسه بنفسه .. وأن يقوم بالواجب المفروض عليه . وعلينا أن لا نفرض عليه الاندماج فى الاسرة فرضا ، بل ندفع به الى التعاون معها تعاونا يعرف بمقتضاه كل فرد مكانه الصحيح فيها ، حتى لا يغتصب مكان الآخرين .. فان الابن الذى يستطيع التغلب على الصعوبات التى قد تعترضه مع اخوته ، يكون أقدر على التغلب على الصعوبات التى قد تعترض طريقه الى المجتمع والحياة !

وفى العدد القادم نتابع محاضرات «مدرسة الآباء» ..

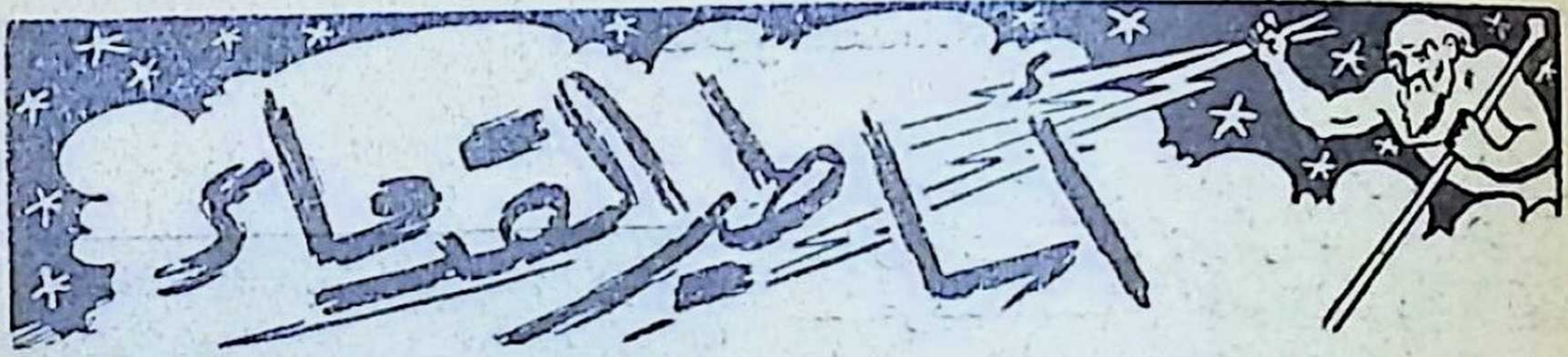

◆ فى الفصل السابق من هذه السلسلة ، الذى نشرناه فى العدد (٣٠) ، رأينا كيف غضب كبير الالهة ((زيوس)) على البشر لامعانهم فى شرورهم ، فأهلكهم بطوفان مروع لم يبق منهم الا على الزوجين الصالحين ((دوكاليون)) و ((بيرا)) .. ثم أوحى اليهما بأن يهبطا من الجبل ويلقيا الاحجار وراء ظهريهما : فاذا الاحجار التى ألقاها الزوج تتحول الى رجال ، وتلك التى ألقتها الزوجة تتحول الى نساء .. وهكذا امتلأت المعمورة بجيل جديد من البشر .. الابرار !

والآن تستطيع ان تتابع القراءة :

((زيوس)) .. العاشق الماجن !

◆ ورزق ((دوكاليون)) و ((بيرا)) بعد حين بطفل ذكر أطلقا عليه ((هيلين)) ، ومنه انحدرت سلالة الشعب الاغريقى أو اليونانى ، الذى ما يزال يطلق عليه بالفرنسية إسم HELLENES نسبة الى جده هيلين المذكور ..

ولنترك الارض وقد عمرت بالبشر من الجنسين ، ولنعد الى ((زيوس)) رب الآلهة ، وصاحب المغامرات الغرامية المتوالية مع الكثيرات من نساء الالهة والبشر ! .. كان زيوس - أو ((جوبيتر)) ، أو ((يهوه)) بلغة الرومان واللاتين - يحمل عشرات الالقاب : كان يطلق عليه : ملك الآلهة ، والحاكم الأعلى للكون ، ورب البشرية ، وحارس النظام السياسى والسلام ، واله الرعد والبرق ، الذى تتجسم فيه السماء وجميع الظواهر الفلكية ، ورئيس جميع آلهة جبل الأوليمب ! .. كان الآخرون جميعا يخضعون لمشيئته ، ويرتجفون فرقا من مجرد ايماءته التى لها سلطان على البر والبحر ! .. وهكذا لم يكن يجرؤ على مخالفة ارادته الملكية غير اثنين : القضاء ، والقدر ! .. اللذين استمرا يصدران مراسيمهما النافذة التى لا تنقض ، حتى بعد ان عزل أباه وتولى حكم الكون ..

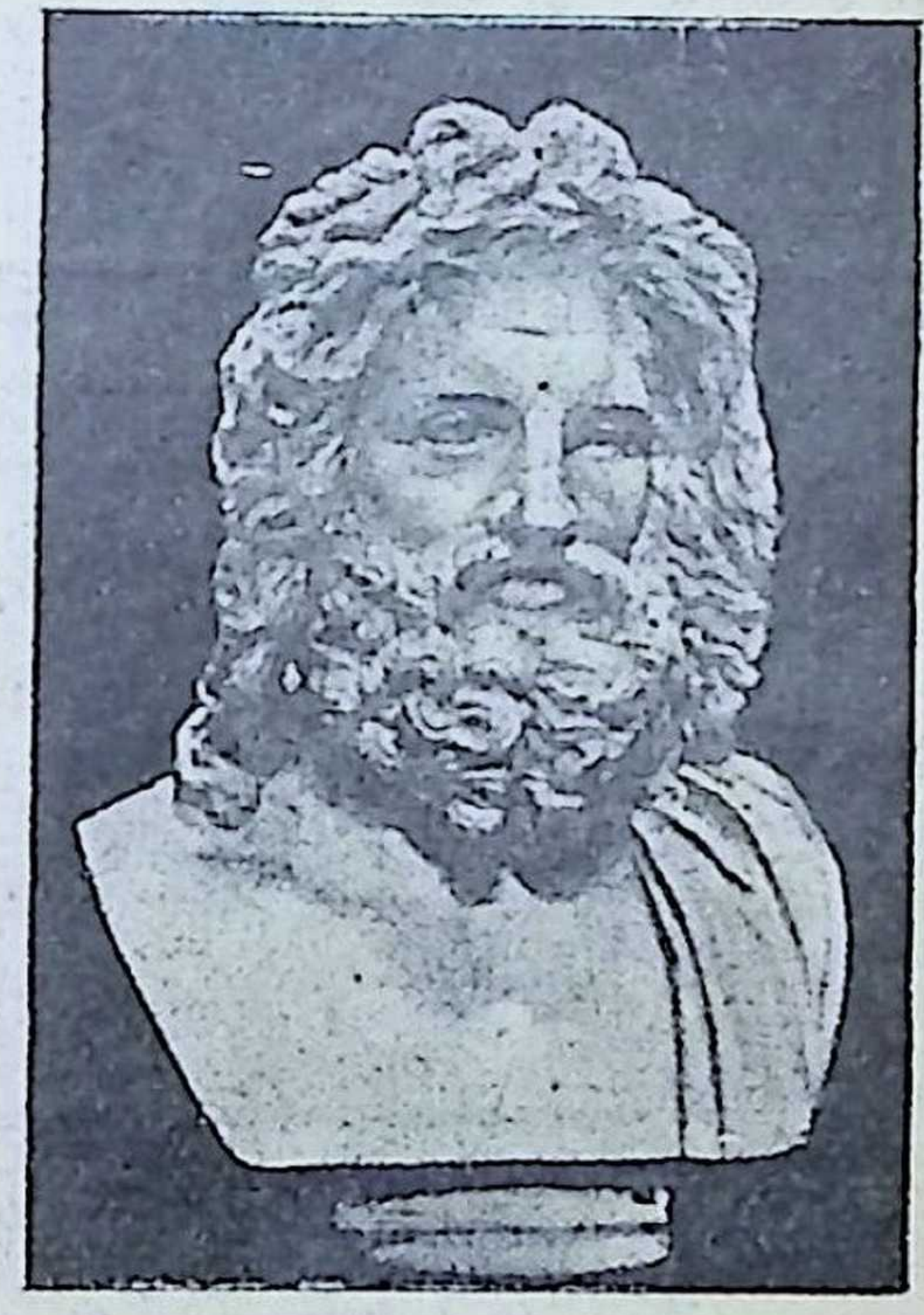

تمثال بمتحف الفاتيكان
يمثل ((زيوس)) كبير الآلهة

ومثل جميع الآلهة الاخرى للاغريق والرومان ، كان زيوس ـ رغم خلوده ـ عرضة لسائر العواطف والانفعالات التى تتملك قلوب البشر ، من فرح ، وألم ، وشجن ، وغضب .. الخ ..
وكان يرأس « مجلس الآلهة » الذى ينعقد فوق جبل الاوليمب ذى القمم المسنونة ، فكان يستدعى اليه أعضاء المجلس من الآلهة كلما أراد أن يناقش معهم مسألة هامة ، أو ينغمس واياهم فى وليمة باذخة يأكلون فيها المروخ العطرى ـ طعام الآلهة ـ ويجرعون رحيق الزهر ، شرابهم المفضل !

أما عن هيئة « زيوس » أو شكله، فقد تمثله أساطين الفن على ضوء أوصافه الواردة فى الأساطير فى صورة انسان مسن ، مهيب الطلعة ، طويل القامة ، ذى شعر طويل مجعد ولحية كثيفة ، يرتدى ثوبا فضفاضا ويمسك صولجانه المشور ـ اداة الصواعق ـ فى يد ، وتمثال «النصر» فى اليد الاخرى .. وأحيانا يرى مرتديا درعا من الغمام « مثل جلد عنزة غبراء » ! .. الكرة الارضية موطىء قدميه ، والنسر ـ رمز القوة والسلطان ـ يرى دائما قيد انملة منه !.. أما مهبط وحيه فكان فى غابة بلوط فى (دودونا) ، حيث كان كهنته يفسرون حفيف الاغصان ووسوسة الشجر !

وكانت لزيوس ((وصيفاته)) الخصوصيات ، مثل ((فيكتوريا)) الهة الانتصار ، التى كانت مستعدة أبدا لأن تطيع أتفه ايماءة منه ـ ويقال انه كان يكن لها من الحب والاعزاز ما يجعله يمسك بصورة لها فى يده على الدوام ! ـ أما الرومان فكانوا يتمثلونه وقد قامت على خدمته ((فاما)) الهة الشهرة، وفى يدها بوق كبير ، أو ((فورتونا)) الهة الحظ ، بعجلتها المشهورة .

وكانت الوصيفة المختصة بحمل كاس كبير الالهة تدعى ((هيبى)) .. فلما تزوجت هيبى من ابنة البطل هرقل ، راح زيوس يبحث عمن يخلفها

.. وذات يوم اتخذ هيئة نسر وهبط محلقا نحو الارض ، فما لبث ان لمح شابا رائع الوسامة يجلس وحيدا فوق قمة جبل « ايدا » .. فانقض عليه في لحظات واختطفه بين مخالبه الجبارة ، عائدا به الى جبل الأوليمب .. وهناك لقن الشاب - الذى لم يكن سوى « جانيميد » ابن ملك طروادة - دقائق المهمة التى أسندت اليه ، مهمة حمل كاس كبير الالهة ! .. (وفى الولائم «الاوليمبية» الكبرى كان يعاونه فى هذه المهمة «فولكان» ، اله النار والمعادن ، ابن زيوس وزوج فينوس)

« فيليمون » .. و « بوكيس »

◆ وبمرور الاجيال ، خفت حدة حنق زيوس على الجنس البشرى ، فكان يتنكر احيانا فى هيئة انسان ويهبط من جبل الأوليمب ليختلط بالبشر ، مجهول الشخصية . وذات مرة ، استصحب معه ابنه «هرمس» - أو «ميركورى» عند الرومان - رسول الالهة واله الفصاحة والتجارة واللصوص ! وهبط الاثنان يتجولان فى مملكة (فريجيا) ، ويطرقان كل باب ، زاعمين انهما شريدان فقيران .. ولكن جميع الأبواب أوصدت فى وجههما ! واخيرا بلغا كوخا من القش يقطنه زوجان طيبان متقدمان فى السن ، هما «فيليمون» و «بوكيس» ، فاستقبلاهما أحسن استقبال ، وأحضر لهما فيليمون مقعدا خشبيا يجلسان عليه .. وجاءت لهما « بوكيس » باناء به ماء كى يغسلا أيديهما ، ثم أذكت النار فى المدفأة وزودتها بوقود جديد .. وبدأت تعد لهما وجبة بسيطة من لحم الخنزير المملح وبعض الاعشاب والجبن والبيض ، ثم أجلستهما الى مائدة عرجاء اتكأت رجلها الرابعة على قطعة من الاردواز ، وقدمتا لهما الطعام فى اوان خشبية .. ثم صبت لهما نبيذا غير معتق فى اقداح متواضعة ، وانتهت الوجبة بالتفاح والعسل البرى ..

على ان الزوجين لاحظا ان قدحى الضيفين كانا يمتلئان من تلقاء نفسيهما بالنبيذ كلما فرغا ! فادرك الساذجان ، مرتاعين ، انهما امام ضيفين من الالهة لا البشر ! واذ ذاك خرا على ركبتيهما ساجدين ، ملتمسين الصفح عن تواضع وجبة طعامهما .. ولم يجدا سبيلا للتكفير عنها غير ذبح أوزتهما الوحيدة المدللة ، التى شاخت فى صحبتهما دون ان يفكرا فى التضحية بها من اجل وجبة طعام زائلة ! .. لكن الأوزة الماكرة قاومت كل محاولة لاقتناصها ، واخيرا لاذت بحمى الالهين فاختبأت بينهما .. واذذاك ادركتهما الشفقة عليها فرفضا ان تذبح لاطعامهما !

لكن الالهين اللذين أشفقا على الأوزة المرتاعة ، لم تأخذهما الشفقة بأهل القرية الجاحدة التى أبت ايواءهما .. فأغرقاها بأكملها بسيل غزير أحالها الى بحيرة عميقة الغور ، فيما عدا كوخ فيليمون وبوكيس الذى رفعاه فوق الماء ، ثم حولاه الى معبد كبير منيف ، أقاما الزوجين الطيبين عليه ، كاهنا وكاهنة ..

ثم سألاهما عن الامنية التى يطلبانها لنفسيهما ، جزاء ما قدما من خير للالهين ؟ فتشاور الزوجان برهة ، ثم أخبرا « زيوس » بأن لهما أمنية واحدة ، هى أن تنتهى حياتهما معا ، فى لحظة واحدة !

وأجيبا الى أمنيتهما .. فبعد قيامهما على شؤون المعبد سنوات عديدة ، حولا فجأة الى شجرتين : شجرة بلوط وشجرة زيزفون ! (ما تزالان قائمتين جنبا الى جنب فيما يقول الشاعر أوفيد)

أما زيوس فعاد مع مرافقه الى جبل الاوليمب ، ليستأنف حياته الحافلة بالمغامرات والمتع !

وفى العدد القادم نقرأ قصة غرامه بالحسناء « يوروبا » ، ابنة ملك فينيقيا !

لكل تمثال قصة !

مذبحة « ديانا » و « أبوللو »

◆ فى صفحتى ٣ ، و ١٦٧ من هذا العدد ، ترى صورتين على ورق مصقول لتمثالين رائعين : أحدهما تمثال « نيوبيد » المعروض بالمتحف الاهلى بروما ، والآخر تمثال « ديانا » الذى يزين أحد أبهاء متحف اللوفر بباريس .. فما هو مغزى هذين التمثالين .. وما قصتهما ؟

كانت « ديانا » ــ الهة القمر والصيد ــ و « أبوللو » اله الفنون والنور ، توأمى كبير الالهة « زيوس » من زوجته « لاتونا » ، وكانت أمهما تفخر بتفوقهما على جميع الالهة فى الجمال ، والذكاء ، والقوة .. فلما سمعت بتفاخرها هذا زوجة ملك طيبة ــ المدعوة « نيوبى » ــ ضحكت ساخرة ، فقد كان لها هى نسل « جرار » ، مؤلف من سبعة ذكور وسبع بنات ! .. فاطلقت لسانها تعير لاتونا بنسلها القاصر على اثنين .. بل تمادت فى تحدى

غريمتها فحرمت على شعبها عبادة ديانا وابوللو ، وأمرت بتدمير تماثيلهما فى جميع انحاء مملكة طيبة !

وثارت ثائرة لاتونا لهذه الاهانة ، فاستدعت توأميها أبوللو و ديانا ، وامرتهما بابادة نسل غريمتها عن بكرة ابيه ! .. فخرج الاثنان مسلحين بقوسيهما وسهامهما ، وفاجأ أبوللو أبناء نيوبى السبعة يصطادون فى الغابة ، فصرعهم جميعا .. وفيما كانت أمهم المفجوعة تبكيهم ملتاعة وقد فاضت كأس أحزانها ، فوجئت بديانا تهاجم بناتها السبع بدورهن فيتساقطن تباعا صريعات بين ذراعى أمهن ، وهى لا تقوى على دفع غائلة الردى عنهن !

واشفقت الآلهة على الأم المكلومة ، فأحالتها الى تمثال من الحجر ، فى نفس الوضع الذى كانت فيه واقفة تشهد الفاجعة : بوجه يتوسل ، وشفتين تختلجان ، وعينين تنهمر منهما الدموع !.. واقيم التمثال فوق جبل (سيبيلاس) ، بقرب غدير ماء .. ورغم تحجر ((نيوبى)) ، فانها لم تفقد احساسها بالفجيعة ، فظلت دموعها تنحدر منذ ذلك اليوم على خديها المرمريين .. الى المجرى القريب !

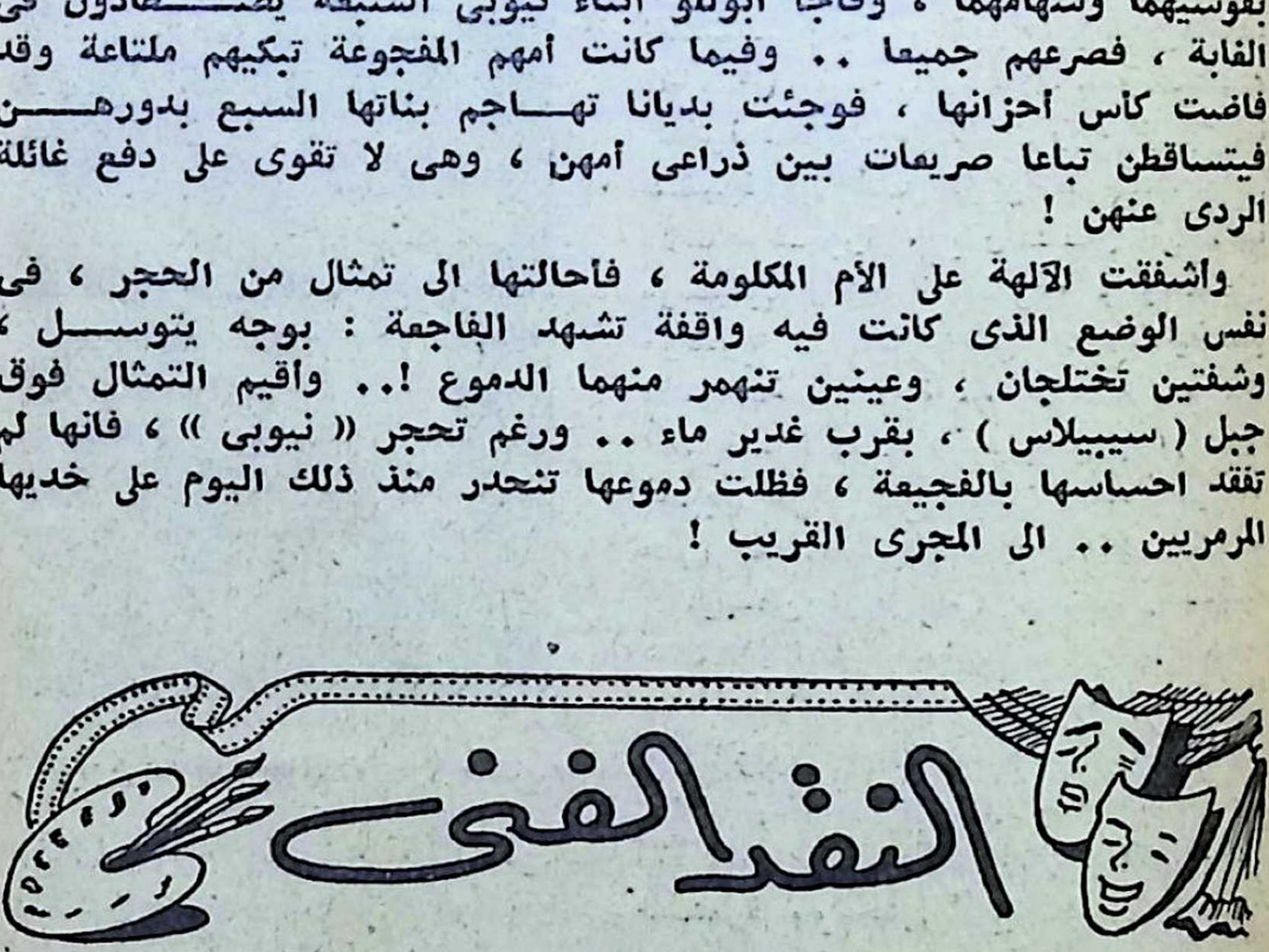

غرام الكسيح

◆ كان حدث الموسم الفنى ، بغير نزاع ، حضور فرقة الزنوج الامريكيين الى مصر - لاول مرة - وقيام أفرادها بعرض انتاجهم الفنى الرفيع ، الجديد على مصر ، فى القاهرة والاسكندرية .. ثم ذلك الاقبال والحماس الشديدين ، اللذين قوبل بهما برنامج الفرقة فى العاصمة والثغر !

وقبل ان ألخص لك قصة المسرحية الغنائية («بورجى» و «بيس») التى قدمتها الفرقة ، أقدم لك قصة هذه القصة ، وتاريخها :

فى سنة ١٩٢٧ مثلت على أحد مسارح نيويورك مسرحية عنوانها «بورجى»، تصور حياة الزنوج فى ولاية (كارولينا الجنوبية) .. وكان قد كتبها

((كراون)) يهم باختطاف ((بيس))

((دى بوز هيوارد)) بالاشتراك مع زوجته دوروثى .. فلما شاهدها الموسيقى الامريكى الموهوب ((جورج جيرشوين)) ، وجد فيها فرصته المنشودة لتلحين أوبرا أمريكية صرفة، كما كان حلمه القديم !.. وتملكته الفكرة ، فأخذ مؤلف الرواية الى جزيرة صغيرة فى تلك الولاية ، حيث عاش الاثنان شهورا ، يدرسان عن كثب موسيقى زنوج الجنوب ، ويعالجان موضوع اقتباس أوبرا غنائية من المسرحية المذكورة .. ثم عادا بعد تلك الفترة ، ليعكف ((جيرشوين)) عامين آخرين على وضع الحان هذه الأوبرا، حتى قدمت على مسارح مدينة (بوسطن) فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٣٥ ، فظفرت من فورها بنجاح فريد .. ثم مثلتها على مسارح نيويورك فرقة من الزنوج فاستمرت تمثل صيلة ١٢٤ ليلة على التوالى .. وظفرت من الاقبال بما لم تظفر به أوبرا أمريكية أخرى.. ومنذ ذلك التاريخ وهى تمثل على أكبر مسارح العالم ، فى جولات مستمرة .. حتى أتيح لمصر أن تشهدها فى هذا الموسم ، لاول مرة !

واليك فكرة الاوبرا بايجاز :

- ١ -

◆ **ترفع الستار** ، فاذا نحن فى حى الزنوج العتيق ((كاتفيش رو)) بمدينة (تشارلستون) ، التى أسسها المستعمرون الانجليز سنة ١٦٧٠ فى ولاية كارولينا الجنوبية .. وقد كان هذا الحى فى ،،الل عهده عامرا بالقصور الفخمة لنبلاء المدينة ، أما الان فيقطنه خليط من صيادى السمك ، والحمالين، والمتسولين !.. ونشهد صورة من حياة أولئك الزنوج فى المساء : فاذا ام تغنى لطفلها أغنية تعينه على النوم ، بينما انهمك الرجال فى مباراة ((نرد))

حامية ، فوق أرض الطريق اشترك فيها الكسيح المتسول ((بورجى)) ، والحمال السكير ذو السمعة السيئة ((كراون))، وبرفقته صديقته ((بيس)) التى تحتقرها جميع سيدات الحى لسوء سلوكها !.. كما يرى بين الحاضرين المدعو ((سبورتن لايف)) ، بائع المخدرات الذى عاد من نيويورك ليبيع ((الكوكايين)) لمدمنيه من أهل المنطقة .. وهو يرمق ((بيس)) بنظرات كلها معانى !.. بينما تفضح نظرات المتسول الكسيح ((بورجى)) حبه هو بدوره لها .. وان اختلف معنى الحب عند كل منهما !

((بورجى الكسيح ..
يناجى محبوبته ((بيس))

ويتشاجر ((كراون)) تحت تأثير الخمر والمخدرات مع الحمال ((روبنز)) بشأن اللعب ، ويقتله .. فيتفرق الحاضرون قبل حضور رجال البوليس، وتودع ((بيس)) صديقها ((كراون)) - القاتل - الذى يغادر المكان ليختبىء فى غابات النخيل بجزيرة (كيتيوا) .. ثم تبحث هى لنفسها عن مخبأ تأوى اليه ، لكن جميع الابواب توصد فى وجهها ! وهنا يراودها ((سبورتن لايف)) كى ترافقه الى نيويورك ، لكنها تأبى بشدة .. واخيرا ينتهى بها المطاف الى الباب الوحيد الذى يرحب بها : باب الكوخ الحقير الذى يقطنه ((بورجى))

- ٢ -

◆ فاذا كان الفصل الثانى ، فقد انقضت أسابيع ، واخلدت بيس للحياة فى كنف بورجى .. ونرى الصيادين ساعة الفجر يتهيأون للخروج الى مهمتهم اليومية ، ويعدون شباكهم .. بينما أخذ ((بورجى)) يشرح لهم فلسفة حياته ، وكيف انه لا يملك من حطام الدنيا شيئا ، لكنه رغم ذلك ((غنى)) سعيد ، ما دامت بيس معه ! .. ويأتى ((فرازييه)) المحامى فيعرض على بيس أن يطلقها من كراون مقابل دولار واحد ، فتعترف له بانها لم تكن يوما زوجة شرعية لكروان .. ثم يأتى ((سبورتن لايف)) ليعرض عليها الحياة فى جنة ثرائه ومخدراته ، فيتصدى له بورجى ويصده ..

ويحين وقت رحيل اهل الحى فى رحلتهم السنوية الى جزيرة (كيتيوا) ، فتتردد بيس فى مرافقتهم ، ثم تغريها احدى جاراتها بالذهاب .. فيبقى بورجى الكسيح وحيدا

فاذا كان المنظر التالى فنحن فى الجزيرة الساحرة ، وقد تزعم سبورتن لايف حلقات المرح والغناء ، وحاول ان يقلب الرحلة الى مجال قصف ومجون .. لولا ان تنهره احدى الحاضرات بشدة ، فينفض عقد الحاضرين وينسحبون ليستقلوا السفينة التى ستعود بهم الى حيهم . ويتفق ان تكون بيس آخر من تهم بمغادرة الجزيرة ، فيظهر لها كراون فجأة من حيث كان مختبئا فى الغابة ، ويحاول ان ياخذها لتقضى معه ليلة ، يجددان فيها ذكريات الماضى .. لكنها تصارحه بانها الآن صديقة بورجى ، فيسخر منها ، ويظل يراودها .. حتى تضعف وتتخاذل بين ذراعيه ، فياخذها الى مخبئه فى الغابة ..

فاذا انقضى اسبوع فنحن نراها قد عادت الى كوخ بورجى ، محمومة تهذى ، وتعترف له بأنها قد وعدت كراون - فى ساعة ضعف - بأن تعود اليه نهائيا ، وهى تخشى أن يأتى ليستردها عنوة . وفجأة تدق الاجراس معلنة هبوب عاصفة هوجاء . وحين تهدأ ، يقبل كراون نحو كوخ بورجى ليختطف محبوبته .. فلا يكاد يهم بالدخول حتى ينقض عليه بورجى ويقتله بسكينه !

ورغم انكار أهل الحى ، تتجه شبهة البوليس الى بورجى ، فيقبض عليه رهن التحقيق .. وينتهز تاجر المخدرات الفرصة فيعود الى ملاحقة ((بيس)) ، ملقيا فى روعها أن بورجى ان نجا من الاعدام فسوف يقضى بقية عمره فى السجن .. ثم يمنيها بمباهج الثراء والحياة الناعمة فى نيويورك .. فترضخ للاغراء ، وتذهب معه !

.. ولا تمضى ايام ، حتى يفرج عن بورجى ، لعدم ثبوت التهمة عليه .. فيعود الى حيه ، حاملا معه هدايا لجميع الجيران والاصدقاء .. وبعد أن يوزع الهدايا يسال عن بيس ، كى يفاجئها بهديته الكبرى لها .. فيروغ الجميع من الاجابة على تساؤله ! .. واذ يعرف الحقيقة ، يسال فى سذاجة ولوعة عن المسافة التى تفصله عن نيويورك ، والطريق المؤدية اليها .. فيجيبونه يائسين : ((انها تبعد اكثر من الف ميل !)) .. ولدهشتهم ، يلف الكسيح عجلات مقعده ، فى عزم وتصميم ، ساعيا الى مكان عنزته .. ثم ينطلق واياها ، ينشد المدينة العظيمة .. ليبحث فيها عن محبوبته !

وتسدل الستار ، وهو يطلق من حنجرته - وقلبه - أغنيته الاخيرة : ((انى فى الطريق اليها !))

وزارة الشئون البلدية والقروية

المراقبة الاقليمية بالشرقية ـ اعلان

تعلن المراقبة الاقليمية بالشرقية عن عملية توريد وتركيب مواسير وقطع زهر لمجلس قروى العدلية مركز بلبيس جلسة يوم ١٩٥٥/٢/٢٤ وتطلب الشروط والمواصفات من ديوان المراقبة الاقليمية بالزقازيق بمبنى البلدية الجديد على ورقة تمغة فئة الخمسين مليما نظير دفع مبلغ خمسمائة مليم بخلاف مائة مليم أجرة البريد وكل عطاء غير مصحوب بتأمين قدره ٢٪ من قيمته لا يلتفت اليه . وللمراقبة الحق فى قبول أو رفض اى عطاء بدون ابداء الاسباب .

٩٩١٨

وزارة التربية والتعليم

تقبل العطاءات بعنوان السيد الوكيل المساعد لوزارة التربية والتعليم بشارع الفلكى بالقاهرة عن طريق البريد او بوضعها فى الصندوق المخصص لذلك بادارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين الموافق ١٩٥٥/٢/٢١ عن توريد أجهزة الكيمياء اللازمة لمدارس الوزارة لسنة ١٩٥٥/١٩٥٤ ويمكن الحصول على الشروط وقوائم المناقصة من مراقبة التوريدات بشارع صفيه زغلول بالقاهرة نظير دفع مبلغ ٢٥٠ مليما خلاف اجرة البريد .

٩٩٥٩

مديرية الفيوم ـ اعلان

تعلن مديرية الفيوم عن عرض بيع ١٢ س ، ٢٠ ط بحوض ابو جحشة الشرقى رقم ٢١ قطعة ضمن رقم ٤ من تكليف حامد حسن حامد محجوز عليها عقاريا نظير المتاخر من أثمان أطيان الحكومة المبيعة بالتقسيط على البيعة رقم ٣١٥٠ بناحية الربع مركز ابشواى ومحدد لجلسة البيع يوم ١٩٥٥/٢/١٢ بثمن أساسى قدره ٩٦ جنيها للقدر المحجوز بناقص الخمس الثانى وضع يد عبد العزيز مهدى عويس وأخيه عبد الفتاح مسلسلة رقم ٦٥

والبيانات التفصيلية موجودة بقلم حجوز المديرية وموضحة بعدد الوقائع المصرية الصادر فى ٢٦/ ٨/٩٥٤/٦٧ لمن اراد الاطلاع عليها .

ح ـ ٩٩٨٧

اعلان

تقبل العطاءات بمجلس المحلة الكبرى البلدى حتى ظهر يوم ١٩٥٥/٢/٢٦ عن توريد قطع غيار لماكينات ديزل وتطلب الشروط والمواصفات من المجلس على ورقة تمغة فئة خمسين مليما نظير دفع مبلغ جنيه مصرى واحد للنسخة الواحدة خلاف خمسين مليما اجرة البريد وكل عطاء لا يرفق به تامين ابتدائى قدره ٢٪ لايلتفت اليه .

٩٩٧٣ ـ ١

محتويات الكتاب

الموضـــوع

الصفحة

افتتاحية العـدد ٧

رأيت وسمعت لك فى ايطاليا : مشاهدات وتعليقـــات للمحـــرر ٩

عندما يولى الشباب : قصة ممصرة ، للمحرر ٣٩

سالومى : المسرحية الخالدة **لاوسكار وايلد** ٤٩

بوذا : الزاهد الهندى الذى بشر بدعوة الحب ، والصبر ، والتسامح (قصة حياته وفلسـفته) ٨١

البجعة السوداء (خريف امرأة) : أحدث قصـة طويلة لعميد الادب الالمانى المعاصر « **توماس مان** » ٩٥

أقنعة الحب السبعة : قصة « جوليا » (هيلويز الجديدة) **لجان جاك روسو** ، تلخيص وتعليق الكاتب الفرنسى الكبير « **أندريه موروا** » ١١٩

ملكات ونساء (كليوباترا .. المفترى عليها !) : للأديب الفرنسى المعاصر « **هنرى بوردو** » ١٣٥

الرغبة فى الحياة : كتاب علم النفس ، للدكتور « أرنولد هتشنيكر » ١٥٧

الطفل والاسرة : (من محاضرات « مدرسة الآباء » بجامعة باريس) للاخصائى الفرنسى « **أندريه بيرج** » ١٨١

أساطير القدماء : « زيوس » العاشق الماجن ١٩١

لكل تمثال قصة : مذبحة « ديانا » و « أبوللو » ١٩٤

النقد الفنى : غرام الكسيح (عرض وتلخيص لقصـــة أوبرا « **بورجى** » و « **بيس** » ١٩٥

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

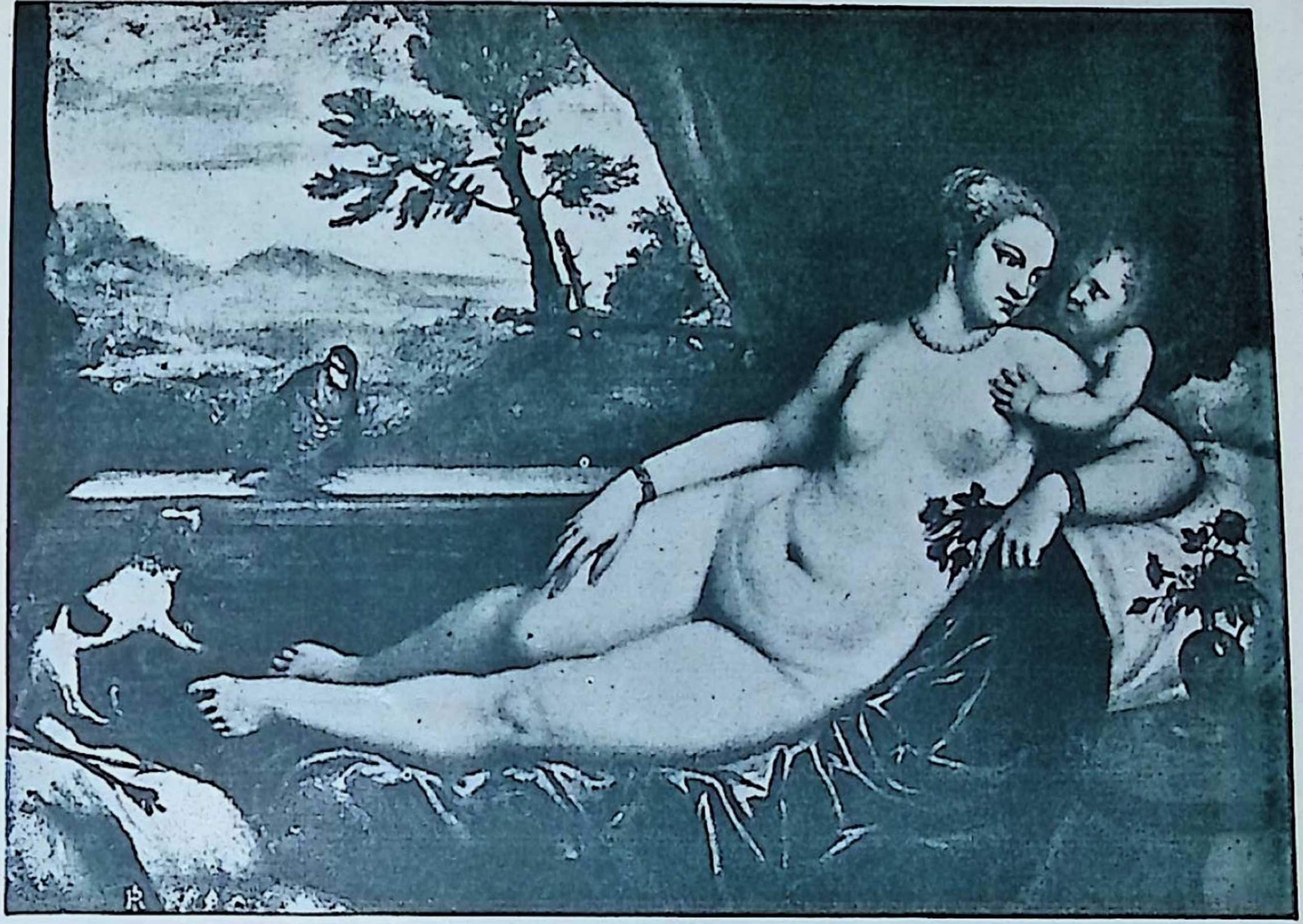

« فينوس » (للرسام « تيسيان » ، لوحة بمتحف « افيزى » بفلورنسا)

المرأة ذات الوشاح

من لوحات «رفاييل» الخالدة ،
بمعـرض « بيتي » بفلورنسا

كتابي

الهوى .. والشباب !

« قفز قلب عبد الرحمن بين ضلوعه ، وغاص فى مقعد مريح والخطاب بين أصابعه .. وشرد بصره إلى الجدار الذى أمامه ، لكن فكره اخترق الجدار والفضاء ، والحى بأكمله ، وقد تملكته مشاعر دافقة عنيفة أرسلت الدمع إلى عينيه !.. لئن كان قد أحب فى حياته امرأة ، فتلك المرأة هى "سنية" ، ذات العينين الغيراوين ، الشاحبتين ، والكيان الذى يفوح سحرًا ، وعطرًا ، وأنوثة .. أواه ، أية مخلوقة جذابة شهية كانت سنية .. فى شبابها ؟!

« وتدافعت إلى رأسه عشرات الصور والذكريات البعيدة العذبة .. وذكر آخر مرة رآها فيها ، ليلة جاءته خفية وهو يستعد للامتحان النهائى .. كم ذرفت من دموع بين ذراعيه ليلتئذ تحت سقف "التكعيبة" الخشبية - أو خميلة العشاق كما سمياها - التى كانا يلتقيان فيها خلسة فى حديقة منزله بالمنيرة !.. إنه ليذكر رائحة جسدها فى تلك الليلة ، وهو يهصره بين ساعديه فى عناق الوداع ، فينتفض صدرها الصغير صدره انتفاضة الطير المذبوح ، ثم يهدأ .. ويستكين .. »

من قصة "عندما يولى الشباب" ، احدى محتويات هذا العدد

شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩